سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٧٣)

الحياء من اللّه

تعريف وتوجيه

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"معها إلى توبة. وقال الكلبي: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع عن الذنب، والاطمئنان على أنه لا يعود .. وقال سعيد بن جبير: هي التوبة المقبولة، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تقبل، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعات. وقال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم. وقال القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، وإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الخلان. وقال سفيان الثوري: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة والعلة والذلة والغربة. وقال الفضيل بن عياض: هو أن يكون الذنب بين عينيه، فلا يزال كأنه ينظر إليه. ونحوه عن ابن السماك: أن تنصب الذنب الذي أقللت **فيه الحياء من الله أمام** عينك وتستعد لمنتظرك. وقال أبو بكر الوراق: هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك، كالثلاثة الذين خلفوا «١». وقال أبو بكر الواسطي: هي توبة لا لفقد عوض، لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الآخرة، فتوبته على حفظ نفسه لا لله. وقال أبو بكر الدقاق المصري: التوبة النصوح هي رد المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمان الطاعات. وقال رويم: هو أن تكون لله وجها بلا قفا، كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه. وقال ذو النون: علامة التوبة النصوح ثلاث: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام. وقال شقيق: هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة، ولا ينفك من الندامة، لينجو من آفاتها بالسلامة. وقال سري السقطي: لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين، لان من صحب توبته أحب أن يكون الناس مثله. وقال الجنيد: التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدا، لأن من صحت توبته صار محبا لله، ومن أحب الله نسي ما دون الله. وقال ذو الأذنين: «٢» هو أن يكون

(١). الثلاثة الذين خلفوا هم: كعب بن مالك، مرارة بن ربيعة العامري، هلال بن أمية الواقفي. راجع ج ٨ ص ٢٨٢ وج ٢ ص ٩٠٧ من سيرة ابن هشام طبع أو ربا.

(٢). ذو الأذنين: لقب أنس بن مالك رضي الله عنه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قيل: معناه الحض على حسن الاستماع والوعى. وقيل: إن هذا القول من جملة مزحه صلوات الله وسلامه عليه.." [١]

"ما يأمل الخطاءون إلا رحمة من أسبل على خطاياهم ذيل الكرم فسترها، لولا أن حلمه وسع الخلق لهلكوا.

قال هارون بن رئاب: حملة العرش أربعة يتجاوبون بالتسبيح يقول اثنان منهم: سبحانك وبحمدك، على حلمك بعد علمك؟ ويقول الآخران: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك؛ لما يرون من ذنوب بني آدم.

وقال محمد بن النضر الحارثي: أصبت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول: يا ابن آدم، لو يعلم الناس منك ما أعلم لنبذوك، فقد سترت عليك، وغفرت لك على ما كان منك، ما لم تشرك بي شيئا.

وفي "الصحيحين" (١) عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله ليدعو العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه ويقول: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ فلا يزال يقرره حتى إذا رأى أنه

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩٨/١٨

هلك قال له: إني قد سترها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

وفي رواية: «يأتي الله تعالى بالمؤمن يوم القيامة، فيقربه حتى يجعله في حجابه من جميع الخلق، فيقول له: اقرأ، فيعرفه ذنبا ذنبا: أتعرف؟ أتعرف؟ فيقول: نعم، نعم، ثم يلتفت العبد يمنة ويسرة، فيقول الله: لا بأس عليك يا عبدي أنت في ستري من جميع خلقي، ليس بيني وبينك اليوم أحد يطلع على ذنوبك غيري، اذهب فقد غفرتها لك اليوم بحرف واحد من جميع ما أتيتني به، قال: ما هو يا رب؟ قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيري».

إخواني: هب أنه تجاوز عن الزلل، فأين ما يلقاه العاصي عند تقريره بذنوبه من الحياء والخجل؟!

العارفون يشتد قلقهم من الحياء من الله عند الوقوف بين يديه.

قال بعضهم: ما يمر بي أشد من الحياء من الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).." [1]

"وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف أنه قال: "ما يمر علي أشد من الحياء من الله عز وجل".

وفي الأثر المعروف الذي رواه أبو نعيم وغيره عن علقمة بن مرثد: أن الأسود بن يزيد لما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: "ما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه".

ومن هذا قول الفضيل بن عياض بالموقف: "واسوأتاه منك وإن عفوت" والمقصود هنا أن آلام الذنوب ومشاقها وشداتها التي تزيد على لذاتها أضعافا مضاعفة، لا تتخلف عن صاحبها لا مع توبة ولا عفو.

فكيف إذا لم يوجد واحد منهما؟! ويتضح هذا بما نذكره في:

الوجه السابع وهو: أن المقدم على موافقة المحظور إنما أوجب إقدامه عليه ما فيه من اللذة الحاصلة له به فظن أنه تحصل له لذته العاجلة ورجى أن يتخلص من تبعته بسبب من الأسباب ولو بالعفو المجرد فينال به لذة ولا يلحقه به مضرة وهذا من أعظم الجهل، والأمر بعكس باطنه فإن الذنوب يتبعها ولابد من الهموم والآلام وضيق الصدر والنكد وظلمة القلب وقسوته أضعاف أضعاف ما فيها من اللذة، ويفوت بها من حلاوة الطاعات وأنوار الإيمان وسرور القلب ببهجة الحقائق والمعارف ما لا يوازي الذرة منه جميع لذات الدنيا، فيحصل لصاحب المعصية العيشة الضنك وتفوته الحياة الطيبة فينعكس قصده بارتكاب المعصية؛ فإن الله ضمن لأهل الطاعة الحياة الطيبة ولأهل المعصية العيشة الضنك قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (١) وقال: ﴿وإن للذين ظلموا عذابا دون

---

(١) طه: ١٢٤.." [2]

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ١/٣٦٥

(٢) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ٢/٨٠٠

"وقد فسر طائفة من العلماء المثل العلي المذكور في قوله تعالى: ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾ [الروم: ٢٧] بهذا، ومثله قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥].

وقد فسرها أبي بن كعب وغيره من السلف بأن المراد مثل نور الله في قلب المؤمنين.

ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال النبي صلى الله عليه وسلم "وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا؛ وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، إلى أهل النار يتعاوون فيها.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه".

وهذا الحديث مروي مرسلا، وروي مسندا متصلا، لكن من وجوه ضعيفة (١).

"وخطب عروة إلى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يجبه بشيء، ثم رآه بعد ذلك فاعتذر إليه. وقال: كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا".

خرجه أبو نعيم (٢) وغيره (٣).

ويتولد من هذين المقامين للعارفين **مقام الحياء من الله** –عز جل–، وقد أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده (٤) "أنه سئل عن كشف العورة خاليا، فقال: الله أحق أن يستحيا منه"

وقد ندب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى دوام استحضار معية الله وقربه وإلى الحياء منه بذلك

---

(١) تم تخريجه في موضع آخر من مجموع الرسائل.

(٢) في الحلية (١/ ٣٠٩).

(٣) وأخرجه الفاكهي في "أخبار مكة" (٣٣٩).

(٤) علقه البخاري (١/ ٤٥٨).

وأخرجه أبو داود (٣٩٩٨ – عون)، والترمذي (٢٩١٩، ٢٩٤٦ – تحفة) وقال: حسن، إلا أن المزي نقل عنه في أحد الموضعين أنه قال: غريب كما في تحفة الأشراف (٨/ ٤٢٨).." [١]

"يريدون رضا ربهم –عز وجل".

وقال جعفر بن سليمان: قال مالك بن دينار "وددت أن الله –تعالى– إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول لي: يا مالك، فأقول: لبيك، فيأذن لي أن أسجد بين يديه سجدة، فأعرف أنه قد رضي عني، فيقول: يا مالك، كن اليوم ترابا".

وكان أبو عبيد البسرى يقول: "ما غمي ولا أسفي إلا أن يجعلني ممن عفي عنه. فقيل له: [أليس] (١) الخلق على العفو يتذابحوا؛ فقال: أجل، ولكن أي شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غدا بين يدي الله –عز وجل– فيقال له: شيخ سوء كنت؛ اذهب فقد عفوت عنك، أنا أملي في الله أن يهب لي كل من أحبني".

ومما يشتد قلق العارفين **منه الحياء من الله** –عز وجل– عند الوقوف بين يديه.

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ٣/٣٣٢

قال بعضهم: ما يمر بي أشد **من الحياء من الله** -عز وجل.

وقال الحسن: "لو لم نبك إلا من الحياء من ذلك المقام؛ لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء".

وكان الفضيل يقول: "واسوءتاه منك وإن عفوت".

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت محمد بن حاتم أبا جعفر يقول: قال الفضيل بن عياض: "لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة وبين أن لا أبعث اخترت أن لا أبعث. قال: فقلت لمحمد: هذا من الحياء؟ قال: نعم". وقال أحمد [بن أبي الحواري] (٢): وسمعت مضاء بن عيسى يقول:

كان بعض التابعين يقول: "لئن يؤمر بي من (الجنة) (٣) إلى النار أحب

---

(١) من المطبوع.

(٢) من المطبوع.

(٣) كتب في هامش الأصل: "لعله القبر".." [1]

"والعمل مولود. وكان العمل لمكان العلم، ولم يكن العلم لمكان العمل. وقال: العمل خادم للعلم، والعمل غاية، والعلم رائد، والعمل مرسل (١).

ومما نقله من كلمات فيثاغورس (٢) الحكمية: الأقوال الكثيرة في الله – سبحانه – علامة تقصير الإنسان عن معرفته. وقال: احذر أن تركب قبيحا من الأمر لا في خلوة، ولا مع غيرك (٣)، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل ....

---

(١) قال الماوردي في " أدب الدنيا والدين " (ص٨٤): وليكن من شيمته العمل بعلمه، وحث النفس على أن تأمر بما يأمر به ولا يكن ممن قال الله تعالى فيهم: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) قال بعض العلماء: ثمرة العلم أن يعمل به، وثمرة العمل أن يؤجر عليه.

(٢) فيثاغورس ولد في ساموس باليونان، عاش فيما بين ٥٧٢ – ٤٩٧ قبل الميلاد وهو فيلسوف يوناني ذاع صيته لمعلوماته العلمية والرياضية.

" تاريخ الفلسفة اليونانية " (ص ٢٠ – ٢١).

(٣) أخرج مسلم في صحيحه رقم (٣٨/ ٨) من حديث عمر بن الخطاب وفيه: " فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".

وأخرج الترمذي في " السنن " رقم (٢٤٥٨) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " استحيوا من الله حق الحياء " قال: قلنا: يا رسول الله! إنا نستحي والحمد لله؟! قال: " ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ٣/٣٧٤

حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله الحياء ".

وهو حديث حسن.

وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٩) ومسلم رقم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان ".

قال الماوردي في " أدب الدنيا والدين " (ص ٢٤٢ – ٢٤٤): الحياء في الإنسان قد يكون ثلاثة أوجه:

١ **– الحياء من الله تعالى** فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره.

٢ – حياؤه من الناس. فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح وهذا من كمال المروءة وحب الثناء.

٣ – حياؤه من نفسه: فيكون بالعفة وصيانة الخلوات.

قال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

قال بعض الأدباء: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر.

وهذا النوع من الحياء يكون من فضيلة النفس، وحسن السريرة فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا، وبالجميل مذكورا، وقال بعض الشعراء:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا ... وعن شتم ذي القربى طلائق أربع

حياء وإسلام وتقوى وأنني ... كريم، ومثلي من يضر وينفع." [١]

"أحد (١) وقال: إذا سمعت كذبا فهون على نفسك الصبر عليه.

وقال: ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن تخطره ببالك، وقال: الأشكال المزخرفة، والأمور المموهة في اقتضاء الأزمان تتبهرج.

وقال: الإنسان الذي اختبرته بالتجربة، فوجدته لا يصلح أن يكون صديقا وخلا احذر أن تجعله لك عدوا. وقال: ينبغي أن تعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام، والوقت الذي يحسن فيه السكوت (٢).

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه رقم (٣٨/ ٨) من حديث عمر بن الخطاب وفيه: " فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".

وأخرج الترمذي في " السنن " رقم (٢٤٥٨) عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " استحيوا من الله حق الحياء " قال: قلنا: يا رسول الله! إنا نستحي والحمد لله؟! قال: " ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله الحياء ".

وهو حديث حسن.

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ٥٧٩٠/١١

وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٩) ومسلم رقم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان ".

قال الماوردي في " أدب الدنيا والدين " (ص ٢٤٢ – ٢٤٤): الحياء في الإنسان قد يكون ثلاثة أوجه:

١ **– الحياء من الله تعالى** فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره.

٢ – حياؤه من الناس. فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح وهذا من كمال المروءة وحب الثناء.

٣ – حياؤه من نفسه: فيكون بالعفة وصيانة الخلوات.

قال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

قال بعض الأدباء: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر.

وهذا النوع من الحياء يكون من فضيلة النفس، وحسن السريرة فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا، وبالجميل مذكورا، وقال بعض الشعراء:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا ... وعن شتم ذي القربى طلائق أربع

حياء وإسلام وتقوى وأنني ... كريم، ومثلي من يضر وينفع

(٢) قال تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) [القصص: ٥٥].

وقال سبحانه وتعالى: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) [المؤمنون: ١ – ٤].

واعلم أن شروط الكلام أربعة:

١ – أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر.

قال عمر بن عبد العزيز: من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه.

وقال بعض الحكماء: عقل المرء مخبوء تحت لسانه.

٢ – أن يأتي بالكلام في موضعه.

٣ – أن يقتصر منه على قدر حاجته، فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يقدر بالكفاية؛ لم يكن لحده غاية. ولا لقدره نهاية.

وأنشدت لأبي الفتح البستي:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولا سديدا تقوله ... فصمتك عن غير السداد سداد

٤ – أن يختار اللفظ الذي يتكلم به فلأن اللسان عنوان الإنسان يترجم عن مجهوله، ويبرهن عن محصوله؛ فيلزم أن يكون بتهذيب ألفاظه حريا، وبتقويم لسانه مليا.

" أدب الدنيا والدين " (ص ٢٦٦ – ٢٦٨).

* وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٦٤٧٨) ومسلم رقم (٢٩٨٨) ومالك (٢/ ٩٨٥) عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم ".." [١]

"ينبغي أن تفرده بالطاعة ، ولأنه إذا عبده أحد مخلصا كفاه كل شيء ، وأما غيره فلو أخلص له أحد لم يمكن أن يكفيه شيئا من الأشياء فضلا عن كل شيء والدين الذي هو أهل للإخلاص هو الإسلام الذي كان في كل ملة المنبني على القواعد الخمس المثبتة بالإخلاص المحض الناشئ من المراقبة في الأوامر والنواهي وجميع ما يرضي الشارع للدين أو يسخطه ، فتكون جملته لله من غير شهوة ظاهرة أو باطنة في شهرة ولا غيرها ، وإنما استحقه سبحانه دون غيره لأنه هو الذي شرعه ولا أمر لأحد معه فكيف يشركه من لا أمر له بوجه من الوجوه ، وأما ما كان فيه أدنى شرك فهو رد على عامله والله غني حميد ، وهذه كما ترى مناداة لعمري تخضع لها الأعناق فتنكس الرؤوس ولا يوجد لها جواب إلا بنعم وعزته وأي وكبريائه وعظمته ، قال القشيري : وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد اللهم إلا أن يكون بأمره فإنه إذا أمر العبد أن يحتسب الأجر على طاعته فأطاعه لا يخرج عن الاحتساب باحتسابه أمره فيه ، ولولا هذا لما صح أن يكون في العالم مخلص ، قال ابن برجان : وذلك – أي ترك الإخلاص – كله مولد عن حب البقاء في الدنيا ونسيان لقاء الله تعالى ، ثم قال ما معناه : إن ذلك من الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك في الإلهية وهو أن يرى مع الله إلها آخر ، وهو شرك المجوس والمجسمة : والوثنية ، ويضاهيه غلط القدرية ، الثاني شرك في العبادة بالرياء وإضافة العمل إلى النفس ، والثالث الشرك الخفي وهو الشهوة الخفية ، وهو أن يخفي العمل ويخاف من إظهار ويحب لو اطلع عليه ومدح بأسراره ، ومن أحسن العون على **الإخلاص الحياء من الله أن** تتزين لغيره بعمل إلهمك إياه وقواك عليه وخلت فيه وزعمت تطلب التقرب إليه فأتاك عدوه إبليس الذي عاداه فيك فتطيعه فيما يضرك ولا ينفعك ، فاستعن على عبادتك بالستر فاستر حسناتك كما تستر سيئاتك ، فإن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، وذلك كالشجرة إذا ظهرت عروقها ضعف شربها ، وأضر بها." [٢]

" صفحة رقم ٤١٥

ينبغي أن تفرده بالطاعة ، ولأنه إذا عبده أحد مخلصا كفاه كل شيء ، وأما غيره فلو أخلص له أحد لم يمكن أن يكفيه شيئا من الأشياء فضلا عن كل شيء والدين الذي هو أهل للإخلاص هو الإسلام الذي كان في كل ملة المنبني على القواعد الخمس المثبتة بالإخلاص المحض الناشئ من المراقبة في الأوامر والنواهي وجميع ما يرضي الشارع للدين أو يسخطه ، فتكون جملته لله من غير شهوة ظاهرة أو باطنة في شهرة ولا غيرها ، وإنما استحقه سبحانه دون غيره لأنه هو الذي شرعه ولا أمر لأحد معه فكيف يشركه من لا أمر له بوجه من الوجوه ، وأما ما كان فيه أدنى شرك فهو رد على عامله والله غني حميد ،

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ٥٧٩١/١١

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، ٦١١/٦

وهذه كما ترى مناداة لعمري تخضع لها الأعناق فتنكس الرؤوس ولا يوجد لها جواب إلا بنعم وعزته وأي وكبريائه وعظمته ، قال القشيري : وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد اللهم إلا أن يكون بأمره فإنه إذا أمر العبد أن يحتسب الأجر على طاعته فأطاعه لا يخرج عن الاحتساب باحتسابه أمره فيه ، ولولا هذا لما صح أن يكون في العالم مخلص ، قال ابن برجان : وذلك أي ترك الإخلاص كله مولد عن حب البقاء في الدنيا ونسيان لقاء الله تعالى ، ثم قال ما معناه : إن ذلك من الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك في الإلهية وهو أن يرى مع الله إلها آخر ، وهو شرك المجوس والمجسمة : والوثنية ، ويضاهيه غلط القدرية ، الثاني شرك في العبادة بالرياء وإضافة العمل إلى النفس ، والثالث الشرك الخفي وهو الشهوة الخفية ، وهو أن يخفي العمل ويخاف من إظهار ويحب لو اطلع عليه ومدح بأسراره ، ومن أحسن العون على **الإخلاص الحياء من الله أن** تتزين لغيره بعمل إلهمك إياه وقواك عليه وخلت فيه وزعمت تطلب التقرب إليه فأتاك عدوه إبليس الذي عاداه فيك فتطيعه فيما يضرك ولا ينفعك ، فاستعن على عبادتك بالستر فاستر حسناتك كما تستر سيئاتك ، فإن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، وذلك كالشجرة إذا ظهرت عروقها ضعف شربها ، وأضر بها حرارة الهواء وبرده ، وتعرضت للآفات من قطع وييس وغير ذلك ولم تحسن فروعها وخف ورقها فقل نفعها ، وإذا غاصت عروقها غابت عن الآفات وأمنت القطع من أيدي الناس ، فكثر شربها فجرى ماؤها فيها ، فتزايدت لذلك فروعها واخضر ورقها وكثر خيرها وطاب ثمرها لجانيها ، فكذلك العمل إذا كانت له أصول في القلب مستورة زكا في نفسه وطهر من الأدناس وكثر خيره وطاب ثوابه لعامله ، وإذا بدا لم يؤمن عليه من أبصار الناظرين ، وإذا خفي لم يبق ما يخاف منه إلا العجب ومحبة أن يطلع عليه ، وهي الشهوة الخفية ، ومن قولهم (من عرف الله بعد الضلالة وعرف الإخلاص بعد الرياء وأنزل الموت حق منزلته لم يغفل عن الموت والاستعداد له بما أمكنه) انتهى .." (١)

" فصل الخوف يثمر الورع والاستعانة وقصر الأمل وقوة الإيمان باللقاء

تثمر الزهد والمعرفة تثمر المحبة والخوف والرجاء والقناعة تثمر الرضاء والذكر يثمر حياة القلب والإيمان بالقدر يثمر التوكل ودوام تأمل الأسماء والصفات يثمر المعرفة والورع يثمر الزهد أيضا والتوبة تثمر المحبة أيضا ودوام الذكر يثمرها والرضا يثمر الشكر والعزيمة والصبر يثمران جميع الأحوال والمقامات والإخلاص والصدق كل منهما يثمر الآخر ويقتضيه والمعرفة تثمر الخلق والفكر يثمر العزيمة والمراقبة تثمر عمارة الوقت وحفظ الأيام والحياء والخشية والإنابة وإماتة النفس وإذلالها وكسرها : يوجب حياة القلب وعزه وجبره ومعرفة النفس ومقتها **يوجب الحياء من الله عز** و جل واستكثار ما منه واستقلال ما منك من الطاعات ومحو أثر الدعوى من القلب واللسان وصحة البصيرة تثمر اليقين وحسن التأمل لما ترى تسمع من الآيات المشهودة والمتلوة يثمر صحة البصيرة وملاك ذلك كله : أمران أحدهما : أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته تنزلها على داء قلبك فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب ولا جوع ولا عطش ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق ألبتة وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٤١٥

فيها ويحميهم ويدفع عنهم ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وآفاتها وقطاعها والله المستعان ." (١)

" تنقصه أو تذهب به أو تذهب رونقه وبهجته أو تطفيء نوره أو تضعف قوته أو تنقص ثمرته هذا أمر ضروري بين المعصية وبين الإيمان يعلم بالوجود والخبر والعقل كما صح عنه : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع إليه الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن فإياكم إياكم والتوبة معروضة بعد وأما الحذر عن الحرام : فهو الصبر عن كثير من المباح حذرا من أن يسوقه إلى الحرام ولما كان الحياء من شيم الأشراف وأهل الكرم والنفوس الزكية : كان صاحبه أحسن حالا من أهل الخوف ولأن في الحياء من الله ما يدل على مراقبته وحضور القلب معه ولأن فيه من تعظيمه وإجلاله ما ليس في وازع الخوف

فمن وازعه الخوف : قلبه حاضر مع العقوبة ومن وازعه الحياء : قلبه حاضر مع الله والخائف مراع جانب نفسه وحمايتها والمستحي مراع جانب ربه وملاحظ عظمته وكلا المقامين من مقامات أهل الإيمان غير أن الحياء أقرب إلى مقام الإحسان وألصق به إذ أنزل نفسه منزلة من كأنه يرى الله فنبعت ينابيع الحياء من عين قلبه وتفجرت عيونها

قال : الدرجة الثانية : الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواما وبرعايتها إخلاصا وبتحسينها علما هذا يدل على أن عنده : أن فعل الطاعة آكد من ترك المعصية فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في الدرجة وهذا هو الصواب كما تقدم فإن ترك المعصية إنما كان لتكميل الطاعة ." (٢)

" ومن كلام بعض الحكماء : أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيي منه وعمارة القلب : بالهيبة والحياء فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير وقال ذو النون : الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال السري : إن الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع وإلا رحلا وفي أثر إلهي يقول الله عز و جل : ابن آدم إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة وفي أثر آخر : أوحى الله عز و جل إلى عيسى عليه الصلاة و السلام : عظ نفسك فإن اتعظت وإلا فاستحي مني : أن تعظ الناس وقال الفضيل بن عياض : خمس من علامات الشقوة : القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الأمل وفي أثر إلهي ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أن أرده ويعصيني ولا يستحيي مني

وقال يحيى بن معاذ : من استحيى من الله مطيعا استحيى الله منه وهو مذنب

وهذا الكلام يحتاج إلى شرح ومعنا : أن من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه إطراق مستح خجل : فإنه إذا واقع ذنبا استحيى الله عز و جل من نظره إليه في تلك الحال لكرامته عليه فيستحيي

---

(١) مدارج السالكين، ٢٨/٢

(٢) مدارج السالكين، ١٦٥/٢

أن يرى من وليه ومن يكرم عليه : ما يشينه عنده وفي الشاهد شاهد بذلك فإن الرجل إذا اطلع على أخص الناس به وأحبهم إليه وأقربهم منه من صاحب أو ولد أو من يحبه وهو ." (١)

" فلا يشبع منه وإذا سمعه هدأ قلبه به كما يهدأ الصبي إذا أعطي ما هو شديد المحبة له ثم يفتح له باب شهود عظمة الله المتكلم به وجلاله وكمال نعوته وصفاته وحكمته ومعاني خطابه بحيث يستغرق قلبه في ذلك حتى يغيب فيه ويحس بقلبه وقد دخل في عالم آخر غير ما الناس فيه

ثم يفتح له **باب الحياء من الله وهو** أول شواهد المعرفة وهو نور يقع في القلب يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه عز و جل فيستحي منه في خلواته وجلواته ويرزق عند ذلك دوام المراقة للرقيب ودوام التطلع إلى حضرة العلي الأعلى حتى كأنه يراه ويشاهده فوق سماواته مستويا على عرشه ناظرا إلى خلقه سامعا لأصواتهم مشاهدا لبواطنهم فإذا استولى عليه هذا الشاهد غطى عليه كثيرا من الهموم بالدنيا وما فيها فهو في وجود والناس في وجود آخر هو في وجود بين يدي ربه ووليه ناظرا إليه بقلبه والناس في حجاب عالم الشهادة في الدنيا فهو يراهم وهم لا يرونه ولا يرون منه إلا ما يناسب عالمهم ووجودهم

ثم يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية فيرى سائر التقلبات الكونية وتصاريف الوجود بيده سبحانه وحده فيشهده مالك الضر والنفع والخلق والرزق والإحياء والإماتة فيتخذه وحده وكيلا ويرضى به ربا ومدبرا وكافيا وعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه وصفات كماله ونعوت جلاله فلا يحجبه خلقه عنه سبحانه بل يناديه كل من المخلوقات بلسان حاله اسمع شهادتي لمن أحسن كل شيء خلقه فأنا صنع الله الذي أتقن كل شيء

فإذا استمر له ذلك فتح عليه باب القبض والبسط فيقبض عليه حتى يجد ألم القبض لقوة وارده ثم يقبض وعاءه بأنوار الوجود فيفنى عن وجوده وينمحي كما يمحو نور الشمس نور الكواكب ويطوي الكون عن قلبه بحيث لا يبقى ." (٢)

"والكفارة من الكفر بمعنى الستر ، وهي اسم للفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة ، أي تسترها وتمحوها ، لأن الشيء الممحي يكون كالشيء المستور الذي لا يرى ولا يشاهد .

وكلمة ﴿ أَوْسَطِ ﴾ يرى بعضهم أنها بمعنى الأمثل والأحسن . لأن لفظ الأوسط كثيراً ما يستعمل بهذا المعنى ومنه قوله – تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ ﴾ أي : قال أحسنهم عقلا وأمثلهم فكرا ونظراً .

ويرى آخرون أن الأوسط هنا بمعنى المتوسط لأن هذا هو الغالب في استعمال هذه الكلمة ، أي يطعمهم لا من أفخر أنواع الطعام ولا من اردئه ولكن من الطعام الذي يطعم منه أهله في الغالب .

والمعنى : لقد تفضل الله عليكم – أيها المؤمنون – بأن رفع عنكم العقوبة والكفارة في الأيمان اللغو ، ولكنه – سبحانه – يؤاخذكم بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها إذا ما حنثتم فيها ومتى حنث أحدكم في يمينه ، فمن الواجب عليه لتكفير هذا اليمين

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٢٦٠

(٢) مدارج السالكين، ٣/٣٨٠

ومحو إثمه أن يطعم عشرة مساكين طعاما يكون من متوسط ما يطعم منه أهله في الجودة والمقدار ، أو أن يكسو هؤلاء المساكين العشرة كساء مناسبا ساترا للبدن أو أن يحرر رقبة بأن يعتق عبدا من الرق فيجعله حراً .

قال الجمل ما ملخصه : وقوله : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ ﴾ مبتدأ وخبر .

وقوله : إطعام مصدر مضاف لمفعوله ، وهو مقدر بحرف وفعل مبني للفاعل أي فكفارته أن يطعم الحانث عشرة ، وفاعل المصدر يحذف كثيراً .

وقوله : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ ﴾ في محل نصب مفعول ثان لإطعام؛ ومفعوله الأول عشرة أي : فكفارته أن تطعموا عشرة مساكين إطعاما من أوسط ما تطعمون أهليكم . . وقوله : ﴿ مَا تُطْعِمُونَ ﴾ مفعوله الأول : أهليكم ، ومفعوله الثاني : محذوف أي : " تطعمونه إهليكم " .

فأنت ترى أن الله – قد خبر الحانث في يمينه بين أمور ثلاثة يختار إحداها ، فإذا لم يستطع إحداها ، فقد بين سبحانه له حكما آخر فقال : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ﴾ .

أي : فمن لم يجد ما يكفر حنثه في يمينه من إطعام أو كساء أو تحرير رقبة فعليه حينئذ أن يصوم ثلاثة أيام ، تطهيرا لنفسه ، وتكفيرا عن ذنبه ، وتقوية لإرادته وعزيمته .

واسم الإشارة في قوله : ﴿ ذلك كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ يعود إلى المذكور من الإطعام والكساء وتحرير الرقبة والصوم .
أي : ذلك الذي شرعناه لكم كفارة لأيمانكم إذا حلفتم وحنثتم فيها ، وخالفتم طريق الحق الذي أمركم الله تعالى باتباعه .
وقوله : ﴿ واحفظوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ أمر من الله تعالى لعباده بأن يصونوا أنفسهم عن الحنث في أيمانهم ، وعن الإكثار منها لغير ضرورة ، فإن الإكثار من الحلف بغير ضرورة يؤدي إلى **قلة الحياء من الله تعالى** . كما أن الحلف الكاذب يؤدي إلى سخطه سبحانه على الحالف وبغضه له .." (١)

"وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ ، انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

وبعد أن ساق القرآن كل هذه النعم التي أسبغها الله على الناس ، والتي من شأنها أن تجعلهم يخصونه بالعبادة والاستعانة ، بعد كل ذلك صرح بأنه – مع كل هذه النعم – أضحى الكثيرون من خلقه يشركون معه آلهة أخرى ، ويزعمون أن له بنين وبنات.

ولقد رد القرآن على هؤلاء الجاحدين بالحجة البالغة التي تدمغ باطلهم وتخرس ألسنتهم ، وتنزه الخالق – عز وجل – عما قالوه وافتروه بغير علم فقال : وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

ثم تتابع في الربع السادس منها حديثها عن المكابرين الذين لم يكتفوا بالقرآن معجزة للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل طلبوا منه – على سبيل التعنت – معجزات أخرى حسية ، فتحكى السورة أقوالهم وترد عليهم بما يفضح أكاذيبهم ، لأنهم

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/١٣٥٢

لعنادهم وجحودهم لو أن الله – تعالى – أجاب لهم مطالبهم ما كانوا ليؤمنوا ، إذ هم لا تنقصهم الآيات الدالة على صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما الذي ينقصهم هو القلب المنفتح للحق ، والنفس المتقبلة للهداية.قال تعالى : وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها ، قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ. وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ.

ثم تستطرد السورة الكريمة فتحكى بعض رذائل المشركين في مآكلهم وذبائحهم ، وتنهى المؤمنين عن الأكل من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها إلا في حالة الاضطرار ، ثم تغرس فيهم **خلق الحياء من الله فتأمرهم** أن يتركوا الفواحش ما ظهر وما بطن ، ثم تبين لهم أن المشركين سيثيرون الشكوك والشبهات حول عقيدتهم فعليهم أن يهملوا مجادلاتهم وأن يتركوهم في طغيانهم يعمهون : قال تعالى : فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ وَما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَباطِنَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِما كانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ.." (١)

"ومن ثم يجيء في استعراض قصة البشرية ، وفي التعقيب عليها ما يناسب ويواجه هذه الحالة الواقعية في الجاهلية .. وفي كل جاهلية في الحقيقة .. أليست سمة كل جاهلية هي التعري والكشف **وقلة الحياء من الله وقلة** التقوى؟

وهذا يدلنا على سمة من سمات المنهج القرآني جديرة بالتأمل .. إنه حتى القصص في القرآن لا يسرد إلا لمواجهة حالة واقعة بالفعل. ولأنه يواجه – في كل مرة – حالة معينة ، فإن الحقيقة التي تذكر منه والحلقة التي تعرض في موضع من المواضع ، تعرض بقدر الحالة الواقعة التي يواجهها النص حينذاك وفي جوها ..

وهذا بالإضافة إلى ما قلناه عن المنهج القرآني في التعريف بسورة الأنعام يكون قاعدة هامة .. هي أن المنهج القرآني لا يعرض شيئا لا تستدعيه حالة واقعة .. إنه لا يعرف اختزان المعلومات والأحكام – ولا حتى القصص – إلى أن يجيء وقت الحاجة الواقعة إليها ..

والآن – وقبل أن تنطلق القافلة في طريقها ، وقبل أن يواجهها الرسل بالهدى ، وقبل أن يفصل السياق كيف تحركت العقيدة مع التاريخ البشري بعد آدم وزوجه وتجربتهما الأولى .. الآن يبادر بتصوير مشهد النهاية ، نهاية المرحلة الكبرى ، وذلك على طريقة القرآن الغالبة في عرض الرحلة بشطريها في دار الابتلاء وفي دار الجزاء ، كأنما هي رحلة متصلة ممدودة.

وهنا نجد أطول مشهد من مشاهد القيامة ، وأكثرها تفصيلا ، وأحفلها بالمناظر المتتابعة والحوار المتنوع ..

وموقعه في السورة تعقيبا على قصة آدم وخروجه من الجنة بإغواء إبليس له ولزوجه وتحذير الله لأبنائه أن يفتنهم الشيطان كما أخرج أبويهم من الجنة وإخبارهم بأنه سيرسل إليهم رسلا يقصون عليهم آياته ..

موقعه كذلك يجعله مصداقا لما ينبئ به أولئك الرسل. فإذا الذين أطاعوا الشيطان قد حرموا العودة إلى الجنة ، وفتنوا عنها

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، ص/٢٧٥

كما أخرج الشيطان أبويهم منها وإذا الذين خالفوا الشيطان وأطاعوا الله قد ردوا إلى الجنة ، ونودوا : «أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» .. فعاد المغتربون إلى دار النعيم!!! والمشهد طويل لا نملك إثباته هنا في هذا التعريف المجمل وسنواجهه فيما بعد بالتفصيل.

والسياق يتخذ من هذا المشهد مناسبة للتعقيب بالإنذار والتذكير ، وتحذير الذين يواجهون القرآن بالتكذيب ، ويطلبون الخوارق لتصديقه ، من سوء المصير : «وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ ، هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ؟ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ : قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ. فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا ، أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» ..

وبعد تلك الرحلة الواسعة الآماد ، من المنشأ إلى المعاد ، يقف السياق ليعقب عليها ، مقررا «حقيقة الألوهية» و«حقيقة الربوبية» في مشاهد كونية تشهد بهذه الحقيقة على طريقة القرآن في جعل هذا الكون." (١)

"عنه ولا يكفي العلم دون هذه الحال فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب **اليمين الحياء من الله وهو** يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات وكانت ثمرتها عند المقربين الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فقوله أن تعبد الله كأنك تراه إشارة إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين فلما فسر الإحسان ... ١٢٩." (٢)

"الإشارة : درجهم في آخر السورة في مدارج السلوك حتى زجهم في حضرة ملك الملوك ، وأمرهم أن يتقوا ما يخرجهم عن مشاهدة ظلمة أنوار الربوبية ، ثم دلاهم في أول السورة إلى التنزل لآداب العبودية بشهود آثار القدرة الإلهية ، في النشأة الأولية ، ليعلمهم الجمع بين آداب المراقبة ودوام المشاهدة ، أو بين الفناء والبقاء.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣

وقد تكلم ابن جزي هنا على أحكام المراقبة ، فقال : إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها ، استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين. أما العلم : فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه ، ناظر إليه في جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل ما يخطر على باله. وأما الحال : فهو ملازمة هذا العلم بالقلب ، بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه. ولا يكفي العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتهما عند أصحاب اليمين **: الحياء من الله** ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات ، وكانت ثمرتهما عند المقربين : المشاهدة ، التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال. وإلى هاتين الثمرتين أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، فقوله : " أن تعبد الله كأنك تراه " إشاره إلى الثمرة الثانية ، وهي الموجبة للتعظيم ، كمن يشاهد ملكا

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، ص/٣٣٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٢٣٠

عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله : " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " إشارة إلى الثمرة الأولى ، ومعناه : إن لم تكن من أهل المشاهدة . التي هي مقام المقربين . فاعلم أنه يراك ، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين ،
٤
فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى ، ورأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه ، تنزل منه إلى المقام الآخر.
(١) ".

"فأما مراقبة الظواهر : فهي اعتقاد العبد أن الله يراه ، ومطلع عليه في كل مكان ، فينتج **له الحياء من الله** ، فيستحيي أن يسيء الأدب معه وهو بين يديه ، وفي بعض الأخبار القدسية : " إن كنتم تعتقدون أني لا أراكم ، فالخلل في إيمانكم ، وإن كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم ؟ ". وقال . عليه الصلاة والسلام " أفضل الناس إيمانا من يعلم أن الله معه في كل مكان " أو كما قال صلى الله عليه وسلم : وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه مر براعي غنم ، فقال له : أعطنا شاة من غنمك ، فقال له : ليست لي. فقال له : لصاحبها أكلها الذئب ، فقال له الراعي : وأين الله ؟ !. وروي أن رجلا خلا بجارية فراودها على المعصية ، وقال لها : لا ترانا إلا الكواكب ، فقال له : وأين مكوكبها ؟
.
وأما مراقبة القلوب فهي : تحقيق العبد أن الله مطلع على قلبه ، فيستحي منه أن
١٧١
يجول فيما لا يعني ، أو يدبر ما لا يفيد ولا يجدي ، أو يهم بسوء أدب ؛ فإن جال في ذلك استغفر وتاب.
وأما مراقبة السرائر فهي : كشف الحجاب عن الروح ، حتى ترى الله أقرب إليها من كل شيء ، فتستحي أن تجول فيما سواه من المحسوسات ، فإن فعلت بادرت إلى التوبة والاستغفار ، فالتوبة لا تفارق أهل المراقبة مطلقا ، وقد تقدم في أول سورة النساء بعض الكلام على المراقبة ، فمن لم يحكم أمر المراقبة ، لم يذق أسرار المشاهدة.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٧٠
قلت : " الذين آمنوا " : صفة للأولياء ، أو منصوب على المدح ، أو مرفوع به على تقدير : " هم " أو مبتدأ ، و " لهم البشرى " : خبر ،
يقول الحق جل جلاله : ﴿ألا إن أولياء الله﴾ الذين يتولونه بالطاعة ، وهو يتولاهم بالكرامة ﴿لا خوف عليهم﴾ من لحوق مكروه ، ﴿ولا هم يحزنون﴾ بفوات مأمول.
(٢) ".

"فقد تبين أن الصبر بجميع أقسامه أصل مقامات الإيمان، وهو أصل لكمال العبد الذى لا كمال له بدونه، ولا يذم منه إلا قسم واحد وهو الصبر عن الله [سبحانه] فإنه صبر المعرضين المحجوبين، فالصبر عن المحبوب أقبح شيء وأسوؤه،

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٤/٢
(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٢٣٥/٣

وهو الذى يسقط المحب من عين محبوبه، فإن المحب كلما كان أكمل محبة كان صبره عن محبوبه متعذرا.

الوجه العاشر: قوله: ((الثالث الاصطبار، وهو التلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى. وهذا هو الصبر على الله وهو صبر العارفين)). فيقال: الاصطبار افتعال من الصبر كالاكتساب والاتخاذ، وهو مشعر بزيادة المعنى على الصبر، كأنه صار سجية وملكة: فإن هذا البناء مؤذن بالاتخاذ والاكتساب، قال تعالى: ﴿فارتقبهم واصطبر﴾ [القمر: ٢٧] ، فالاصطبار أبلغ من الصبر كما أن الاكتساب أبلغ من الكسب، ولهذا كان فى العمل الذى يكون على صاحبه، والكسب فيما له، قال تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾* [البقرة: ٢٨٦] تنبيها على أن الثواب يحصل لها بأدنى سعى وكسب، وأن العقاب إنما هو باكتسابها وتصرفها وما تعانيه.

وإذا علم هذا فالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار الله سبحانه لا يخص الاصطبار، بل يكون مع الصبر ومع [التصبر]. ولكن لما كان الاصطبار أبلغ من الصبر وأقوى كان بهذا التلذذ والاستبشار أولى. والله أعلم

قاعدة الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل، كما يحمى الوالد الشفيق [والده] عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد بالعذاب.

السبب **الثانى: الحياء من الله سبحانه**، فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع- وكان [حيا] حييا- استحى من ربه أن يتعرض لمساخطه.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٤ ، ص : ٢٦٧

يستطعإحداها ، فقد بين سبحانه له حكما آخر فقال : فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

أى : فمن لم يجد ما يكفر حنثه في يمينه من إطعام أو كساء أو تحرير رقبة فعليه حينئذ أن يصوم ثلاثة أيام ، تطهيرا لنفسه ، وتكفيرا عن ذنبه ، وتقوية لإرادته وعزيمته.

واسم الإشارة في قوله : ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم يعود إلى المذكور من الإطعام والكساء وتحرير الرقبة والصوم.

أى : ذلك الذي شرعناه لكم كفارة لأيمانكم إذا حلفتم وحنثتم فيها ، وخالفتم طريق الحق الذي أمركم الله تعالى باتباعه.

وقوله : واحفظوا أيمانكم أمر من الله تعالى لعباده بأن يصونوا أنفسهم عن الحنث في أيمانهم ، وعن الإكثار منها لغير ضرورة ، فإن الإكثار من الحلف بغير ضرورة يؤدى إلى **قلة الحياء من الله تعالى**. كما أن الحلف الكاذب يؤدى إلى سخطه سبحانه على الحالف وبغضه له.

وقوله : كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون تذييل قصد به التذكير بنعم الله حتى يداوم الناس على شكرها وطاعة واهبها عز وجل.

أى : مثل هذا البيان البديع الجامع لوجوه الخير والفلاح ، يبين الله لكم آياته المشتملة على الأحكام الميسرة ، والتشريعات الحكيمة ، والهدايات الجليلة لعلكم بذلك تستمرون على شكر الله وطاعته ، وتواظبون على خشيته ومراقبته فتنالون ما

---

(١) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، ٢٣/١

وعدكم من فلاح وسعادة.

هذا ، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى :

١ – أن اليمين اللغو لا مؤاخذة فيها. أى : لا عقوبة عليها في الآخرة ولا كفارة لها في الدنيا لقوله تعالى : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم.

ونعني بها – كما سبق أن أشرنا – أن يقول الرجل من غير قصد الحلف لا والله وبلى والله.

ومع هذا فمن الأفضل للمؤمن ألا يلجأ إلى الحلف إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو لذلك لأن الإكثار من الحلف يسقط مهابة الإنسان ، وقد يفضى به إلى الاستهانة بالآداب الحميدة التي شرعها الله.

قال تعالى : ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم « ١ ».

٢ – أن اليمين التي يحلفها الحالف بالقصد والنية وهو كاذب فيها ، يستحق صاحبها العذاب

---

(١) سورة النحل الآية ٩٤.." [1]

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٥ ، ص : ١٩

و ندرهم في طغيانهم يعمهون. ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون

.

ثم تستطرد السورة الكريمة فتحكى بعض رذائل المشركين في مآكلهم وذبائحهم ، وتنهى المؤمنين عن الأكل من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها إلا في حالة الاضطرار ، ثم تغرس فيهم **خلق الحياء من الله فتأمرهم** أن يتركوا الفواحش ما ظهر وما بطن ، ثم تبين لهم أن المشركين سيثيرون الشكوك والشبهات حول عقيدتهم فعليهم أن يهملوا مجادلاتهم وأن يتركوهم في طغيانهم يعمهون :

قال تعالى : فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ، إن ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون.

ثم تضرب السورة الأمثال للكفر والإيمان ، فتشبه الكفر بالموت وتشبه الإيمان بالحياة ، فكما أنه لا يتساوى الميت مع الحي ، فكذلك لا يتساوى الضال الذي هو كالميت مع المؤمن الذي يحيا حياة طيبة وله نور يمشى به في الناس ، ثم تبين أنه من دأب الجاحدين والحاقدين محاربة الحق ، وأنه ليس بغريب أن يحارب زعماء قريش الدعوة الإسلامية لأنهم يحسدون صاحبها

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤/٢٦٧

على ما آتاه الله من فضله ، ويطلبون أن تكون النبوة فيهم مع أن النبوة هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده ، وأنهم بسبب هذا الحقد سيصيبهم عذاب شديد من الله – عز وجل – .

قال تعالى : أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون.

فإذا ما وصلنا إلى الربع الثامن من سورة الأنعام ، رأيناها تعرض مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، تعرض مشهد الحشر للجن والإنس وهم يتناقشون ويتلاومون ويتحسرون ، ولكن ذلك لن يفيدهم لأنهم قد وسوس بعضهم إلى بعض زخارف من الأباطيل والأكاذيب. تعرض." (١)

"التوبة منهم ، فثبت أن هذا الجواب مطابق للسؤال على جميع التقديرات. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٥ صـ ٨١ . ٨٢﴾

لطيفة

قال سهل أدنى مقامات القرب الحياء من الله عز وجل. أ هـ ﴿حقائق التفسير صـ ٧١﴾

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن القرب :

وهو على فى دنوه قريب فى علوه. أ هـ ﴿مجموع الفتاوى حـ ٣ صـ ١٤٢﴾

قوله تعالى : ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾

قال الفخر :

قال أبو سليمان الخطابي : الدعاء مصدر من قولك : دعوت الشيء أدعوه دعاء ثم أقاموا المصدر مقام الاسم تقول : سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم : رجل عدل.

وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية واستمداده إياه المعونة.

وأقول : اختلف الناس في الدعاء ، فقال بعض الجهال الدعاء شيء عديم الفائدة ، واحتجوا عليه من وجوه أحدها : أن المطلوب بالدعاء إن كان معلوم الوقوع عند الله تعالى كان واجب الوقوع ، فلا حاجة إلى الدعاء ، وإن كان غير معلوم الوقوع كان ممتنع الوقوع ، فلا حاجة أيضا إلى الدعاء وثانيها : أن حدوث الحوادث في هذا العالم لا بد من انتهائها بالآخرة إلى المؤثر القديم الواجب لذاته ، وإلا لزم إما التسلسل ، وإما الدور وإما وقوع الحادث من غير مؤثر وكل ذلك محال وإذا ثبت وجوب إنتهائها بالآخرة إلى المؤثر القديم ، فكل ما اقتضى ذلك المؤثر القديم وجوده اقتضاء قديما أزليا كان واجب

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٩/٥

الوقوع ، وكل ما لم يقتض المؤثر القديم وجوده اقتضاء قديما أزليا كان ممتنع الوقوع ، ولما ثبتت هذه الأمور في الأزل لم يكن للدعاء ألبتة أثر ، وربما عبروا عن هذا الكلام بأن قالوا : الأقدار سابقة والأقضية متقدمة والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا ينقص شيئا منها ، فأي فائدة في الدعاء ، وقال عليه الصلاة والسلام." (١)

"كلام نفيس فى المراقبة

قال العلامة ابن جزى عليه رحمة الله :

﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾

إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة وهو مقام شريف أصله علم وحال ثم يثمر حالين

أما العلم فهو معرفة العبد لأن الله مطلع عليه ناظر إليه يرى جميع أعماله ويسمع جميع أقواله ويعلم كل ما يخطر على باله وأما الحال فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه ولا يكفي العلم دون هذه الحال فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب **اليمين الحياء من الله وهو** يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات وكانت ثمرتها عند المقربين الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فقوله أن تعبد الله كأنك تراه إشارة إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم كمن يشاهد ملكا عظيما فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة." (٢)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا ﴾ [٤٣]

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر في جماعة كانوا يشربونها ثم يصلون ، أي : من مقتضى **إيمانكم الحياء من الله** ، ومن الحياء منه أن لا تقوموا إلى الصلاة وأنتم سكارى لا تعلمون ما تخاطبونه ، فالحياء من الله يوجب ذلك ، وتصدير الكلام بحرفي النداء والتنبيه ، للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي ، وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة ، مع أن المراد هو النهي عن إقامتها ، للمبالغة في ذلك .

قال الحافظ ابن كثير : كان هذا النهي قبل تحريم الخمر ، كما دل عليه الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ [البقرة : من الآية ٢١٩] ، الآية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات ، حتى نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩٠-

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٦٢/٤

(٢) جامع لطائف التفسير، ٤٠١/١٩

٩١] فقال عمر : انتهينا انتهينا .
ولفظ أبي داود عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر فذكر الحديث ، وفيه نزلت الآية التي في النساء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قامت الصلاة ينادي : لا يقربن الصلاة سكران .
وروى ابن أبي شيبة وابن [أبي] حاتم عن سعد – رضي الله عنه – قال : نزلت في أربع آيات : صنع رجل من الأنصار طعاما فدعا أناسا من المهاجرين وأناسا من الأنصار ، فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ، ثم افتخرنا ، فرفع رجل لحي بعير فغزز بها أنف سعد فكان سعد مغروز الأنف ، وذلك قبل تحريم الخمر ، فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ الآية . والحديث بطوله عند مسلم ، ورواه أهل السنن إلا ابن ماجه .
وروى أبو داود والنسائي عن علي – رضي الله عنه – أن أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ فخلط فيها ، فنزلت : ﴿ لا تقربوا ﴾ الآية .
وروى ابن أبي حاتم عن علي – رضي الله عنه – قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة ، فقدموا فلانا ، قال فقرأ : قل يا أيها الكافرون ما أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون ، فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ﴾ . الآية ، وكذا رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .
﴿ ولا جنبا ﴾ عطف على قوله : ﴿ وأنتم سكارى ﴾ إذ الجملة في موضع النصب على الحال ، والجنب الذي أصابته الجنابة ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب .
﴿ إلا عابري سبيل ﴾ أي : مارين بلا لبث .
﴿ حتى تغتسلوا ﴾ من الجنابة : أي : لا تقربوا موضع الصلاة ، وهو المسجد ، وأنتم جنب ، إلا مجتازين فيه ، إما للخروج منه أو للدخول فيه .
روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في معنى الآية قال : قال : لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابري سبيل ، قال : تمر به مرا ، ولا تجلس ، ثم رواه عن كثير من الصحابة ، منهم ابن مسعود وثلة من التابعين .
وروى ابن جرير عن الليث قال : حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن قول الله عز وجل : ﴿ ولا جنبا إلا عابري سبيل ﴾ إن رجالا من المسجد تصيبهم الجنابة ، ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا إلا في المسجد ، فأنزل الله : ﴿ ولا جنبا إلا عابري سبيل ﴾ .
قال الحافظ ابن كثير : ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب رحمه الله ، ما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (١).
وهذا قاله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته ، علما منه أن أبا بكر – رضي الله عنه – سيلي الأمر بعده ويحتاج إلى الدخول في المسجد كثيرا للأمور المهمة فيما يصلح للمسلمين ، فأمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا بابه – رضي

---

(١) سدوا كل خوخة في المسجد ، إلا خوخة أبي بكر

الله عنه – ، ومن روى إلا باب علي كما وقع في بعض السنن فهو خطأ والصواب ما ثبت في الصحيح .

ومن هذا التأويل احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ، ويجوز له المرور .

وثمة تأويل آخر في قوله تعالى : ﴿ إلا عابري سبيل ﴾ وهو أن المراد منه المسافرون ، أي : لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين ، فيكون هذا الاستثناء دليلا على أنه يجوز للجنب الإقدام على الصلاة عند العجز عن الماء ، وقد روى ابن أبي حاتم عن زر بن حبيش عن علي في هذه الآية ، قال : لا يقرب الصلاة لا أن يكون مسافرا تصيبه الجنابة ، فلا يجد الماء ، فيصلي حتى يجد الماء ، ثم رواه من وجه آخر عن علي : ورواه عن جماعة من السلف أيضا : أنه في السفر .

قال ابن كثير : ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(١)]، وفي هذا التأويل بقاء لفظ الصلاة على معناه الحقيقي في الجملتين المتعاطفتين ، وفي التأويل السابق تكون الصلاة ، في الجملة الثانية محمولة على مواضعها .

قال في " فتح البيان " : وبالجملة ، فالحال الأولى أعني قوله : ﴿ وأنتم سكارى ﴾ تقوي بقاء الصلاة على معناه الحقيقي ، من دون تقدير مضاف ، وسبب نزول الآية السابق يقوي ذلك ، وقوله : ﴿ إلا عابري سبيل ﴾ يقوي تقدير المضاف ، أي : لا تقربوا مواضع الصلاة ، ويمكن أن يقال : إن بعض قيود النهي (أعني لا تقربوا وهو قوله : ﴿ وأنتم سكارى ﴾) يدل على أن المراد بالصلاة معناها الحقيقي ، وبعض قيود النهي (وهو قوله : ﴿ إلا عابري سبيل ﴾) ، يدل على أن المراد مواضع الصلاة ، ولا مانع من اعتبار كل واحد منهما مع قيده الدال عليه ، ويكون ذلك بمنزلة نهيين مقيد كل واحد ، منهما بقيد ، وهما : لا تقربوا الصلاة التي هي ذات الأذكار والأركان وأنتم سكارى ، ولا تقربوا مواضع الصلاة حال كونكم جنبا إلا حال عبوركم المسجد من جانب إلى جانب ، وغاية ما يقال في هذا إنه من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وهو جائز بتأويل مشهور .

وقال ابن جرير (بعد حكايته للتأويلين) : وأولى القولين بالتأويل لذلك ، تأويل من تأوله : ﴿ ولا جنبا إلا عابري سبيل ﴾ إلا مجتازي طريق فيه ، وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا عدم الماء ، وهو جنب ، في قوله : ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر ﴾ إلى آخره ، فكان معلوما بذلك أن قوله : ﴿ ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ لو كان معنيا به المسافر لم يكن لإعادة ذكره في قوله : ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر ﴾ معنى مفهوم ، وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك .

وإن كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة ، مصلين فيها ، وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوها أيضا جنبا حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل .

قال : و (العابر السبيل) المجتازه مرا وقطعا ، يقال منه : عبرت هذا الطريق فأنا أعبره عبرا وعبورا ، ومنه [في المطبوع : مه] قيل : عبر فلان النهر إذا قطعه وجازه ، ومنه قيل ، للناقة القوية على الأسفار : هي عبر أسفار ، وعبر أسفار ،

---

(١) الصعيد الطيب طهور المسلم ، وإن لم تجد الماء عشر حجج ، فإذا وجدت الماء فأمسه بشرتك فإن ذلك خير لك

لقوتها على الأسفار .

قال ابن كثير : وهذا الذي نصره (يعني ابن جرير) هو قول الجمهور وهو الظاهر من الآية ، وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة تناقض مقصودها ، وعن الدخول إلى محلها على هيئة ناقصة وهي الجنابة المباعدة للصلاة ولمحلها أيضا ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ حتى تغتسلوا ﴾ غاية للنهي عن قربان الصلاة ومواضعها ، حال الجنابة ، والمعنى : لا تقربوها حال الجنابة حتى تغتسلوا ، إلا حال عبوركم السبيل .

تنبيهات :

الأولى : في الآية تحريم الصلاة على السكران حال سكره حتى يصحو ، وبطلانها وبطلان الاقتداء به ، وعلى الجنب حتى يغتسل إلا أن يكون مسافرا ، فيباح له التيمم .

الثاني : تمسك بالآية من قال : إن طلاق السكران لا يقع لأنه إذا لم يعلم ما يقوله انتفى القصد ، وبه قال عثمان بن عفان وابن عباس وطاوس وعطاء والقاسم وربيعة والليث بن سعد وإسحاق وأبو ثور والمزني واختاره الطحاوي ، والمسألة مبسوطة في " زاد المعاد " للإمام ابن القيم .

الثالث : في الآية دليل على أن ردة السكران ليست بردة : لأن قراءة سورة الكافرين ، بطرح اللاءات ، كفر ، ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان ، وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتفريق بينه وبين امرأته ، ولا بتجديد الإيمان ، ولأن الأمة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا ، لا يحكم بكفره ، قاله النسفي .

الرابع : استدل بأحد التأويلين السابقين على تحريم دخول المسجد على السكران ، لما يتوقع منه من التلويث وفحش القول ، فيقاس به كل ذي نجاسة يخشى منها التلويث والسباب ونحوه ، كذا في " الإكليل " .

الخامس : استدل ابن الفرس بتوجيه الخطاب لهم في الآية على تكليف السكران ودخوله تحت الخطاب ، وفيه نظر ، لأن الخطاب عام لكل مؤمن ، وعلى تقدير أنه قصد به الذين صلوا في حال السكر ، فإنما نزل بعد صحوهم ، كذا في " الإكليل " .

السادس : في قوله تعالى : ﴿ حتى تغتسلوا ﴾ رد على من أباح جلوس الجنب مطلقا إذا توضأ ، لأن الله تعالى جعل غاية التحريم الغسل ، فلا يقوم مقامه الوضوء ، كذا في " الإكليل " .

أقول : إنما يكون هذا حجة لو كانت الآية نصا في تأويل واحد ، وحيث تطرق الاحتمال لها ، على ما رأيت ، فلا .

وقد تمسك المبيح ، وهو الإمام أحمد ، بما روى هو وسعيد بن منصور في " سننه " بسند صحيح ، أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك .

قال سعيد بن منصور في " سننه " : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، هو الدراوردي ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال : رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون ، إذا توضؤوا وضوء الصلاة .

قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم .

السابع : قال العلامة أبو السعود : لعل تقديم الاستثناء على قوله : ﴿ حتى تغتسلوا ﴾ للإيذان ، من أول الأمر ، بأن حكم النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق ، كما في صورة السكر ، تشويقا إلى البيان ، وروما لزيادة تقرره في الأذهان .

الثامن : قال أيضا : في الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتحرز عما يليه ويشغل قلبه ، وأن يزكي نفسه عما يدنسها ، ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية ، عند إمكان أعاليها .

التاسع : أشعر قوله تعالى : ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ بالنهي عن الصلاة حال النعاس ، كما روى الإمام أحمد والبخاري والنسائي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١).

وفي رواية : (٢).

وقد روى ابن جرير عن الضحاك في الآية قال : لم يعن بها سكر الخمر ، وإنما عنى بها سكر النوم .

قال ابن جرير : والصواب أن المراد سكر الشراب .

قال الرازي : ويدل عليه وجهان :

الأول : أن لفظ السكر حقيقة في السكر من شرب الخمر ، والأصل في الكلام الحقيقة .

والثاني : أن جميع المفسرين اتفقوا على أن هذه الآية إنما نزلت في شرب الخمر ، وقد ثبت في أصول الفقه أن الآية إذا نزلت في واقعة معينة ، ولأجل سبب معين ، امتنع أن لا يكون ذلك السبب مرادا بتلك الآية .

العاشر : قال الحافظ ابن كثير : قد يحتمل أن يكون المراد من الآية التعريض بالنهي عن السكر بالكلية ، لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات ، من الليل والنهار ، فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائما ، والله أعلم . وعلى هذا فيكون كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وهو الأمر لهم بالتأهب للموت على الإسلام ، والمداومة على الطاعة لأجل ذلك . انتهى .

الحادي عشر : قال الرازي : قال بعضهم : هذه الآية ، أي : ﴿ لا تقربوا ﴾ الخ منسوخة بآية المائدة ، وأقول : الذي يمكن ادعاء النسخ فيه أن يقال : نهى عن قربان الممدود إلى غاية ، يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية ، فهذا يقتضي جواز قربان الصلاة مع السكر إذا صار بحيث يعلم ما يقول ، ومعلوم أن الله تعالى لما حرم الخمر بآية المائدة ، فقد رفع هذا الجواز ، فثبت أن آية المائدة ناسخة لبعض مدلولات هذه الآية ، هذا ما حضر ببالي في تقرير هذا النسخ .

والجواب عنه : أنا بينا أن حاصل هذا النهي راجع إلى النهي عن الشرب الموجب للسكر عند القرب من الصلاة ، وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه إلا على سبيل الظن الضعيف ، ومثل هذا لا يكون نسخا . انتهى .

﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ أي : ولم تجدوا بقربكم ماء تستعملونه ، ومنه فقد من يناوله إياه ، أو خشيته الضرر به .

﴿ أو على سفر ﴾ لا تجدونه فيه .

---

(١) إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف ولينم حتى يعلم ما يقول

(٢) فلعله يذهب يستغفر فيسب نفسه

﴿ أو جاء أحد منكم من الغآئط ﴾ أي : أو كنتم محدثين ، والغائط هو المكان المنخفض ، فالمجيء منه كناية عن الحدث ، لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس .

قال الخازن : كانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث ، فكنوا به عن الحدث ، وذلك أن الرجل منهم ، كان إذا أراد قضاء الحاجة ، طلب غائطا من الأرض ، يعني مكانا منخفضا منها يحجبه عن أعين الناس ، فسمي الحدث بهذا الاسم ، فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه . انتهى .

وإسناد المجيء إلى واحد مبهم من المخاطبين دونهم ، للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيا منه أو يستهجن التصريح به ، كذا قاله أبو السعود .

ثم قال : وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ على التصريح بالجماع ، قال الشهاب : وفي ذكر (أحد) دون غيره إشارة إلى أن الإنسان ينفرد عند قضاء الحاجة كما هو دأبه وأدبه .

﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ قال المهايمي : أي : فلا تستحيوا من الله ، بل اعتذروا إليه .

﴿ فتيمموا ﴾ أي : اقصدوا : ﴿ صعيدا ﴾ أي : ترابا ، أو وجه الأرض .

﴿ طيبا ﴾ أي : طاهرا .

﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا ﴾ تعليل للترخيص والتيسير ، وتقرير لهما ، فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين ، لا بد أن يكون ميسرا لا معسرا ، وفي هذه الآية مسائل :

الأول : الظاهر أن قوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ﴾ راجع إلى جميع ما قبلها وحينئذ لا يجوز التيمم في الكل إلا عند عدم الماء ، وأما ما قيل أنه راجع إلى قوله تعالى : ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء ﴾ لأنه قد وجد المانع ههنا من تقييد السفر والمرض ، بعدم الوجود للماء ، وهو أن كل واحد منهما عذر مستقل في غير هذا الموضع كالصوم – فلا يفيد ، لأن عدم الوجود معتبر فيهما لإباحة التيمم قطعا ، إذ ليس السفر بمجرده مبيحا ، وكذلك المرض .

وأما ما يقال من أنه قد يباح للمريض التيمم مع وجود الماء إذا خشي الضرر به ، فعدم الوجود في حقه إذن غير قيد ، فالجواب : أن هذا داخل تحت عدم الماء لأن من تعذر عليه استعماله هو ، عادم له ، إذ ليس المراد الوجود الذي لا ينفع ، فمن كان يشاهد ماء في قعر بئر ، يتعذر عليه الوصول إليه بوجه من الوجوه ، فهو عادم له ، وهكذا خوف السبيل الذي يسلك إلى الماء ، وهكذا من كان يحتاجه للشرب فهو عادم له ، ولئن سلمنا ، تنزلا ، أن المراد مطلق الوجود فنقول : المدعي أنه تعالى جوز التيمم للمريض إذا لم يجد الماء ، وليس فيه دلالة على منعه من التيمم عند وجوده لعارض يمنعه من الماء .

فإن قيل : من أين تستدلون حينئذ على إباحة تيممه ؟ قلنا : من التحقيق الذي ذكرناه وهو أن المتعذر استعماله معدوم شرعا وكذا من قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : من الآية ٢٩] وقوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : من الآية ١٩٥] ، وقوله : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : من الآية ٧٨] .

ومما أخرجه أبو داود وابن ماجة والدارقطني من حديث جابر – رضي الله عنه – قال : خرجنا في سفر ، فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ، ثم احتلم فسأل أصحابه ، فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة

وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر بذلك فقال : [١].
ومما رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم والدارقطني عن عمرو بن العاص قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت ، أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : [٢]. فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال ، وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يقل شيئا ، فهذا وما قبله يدل على جواز العدول إلى التيمم لخشية الضرر .
قال مجد الدين ابن تيمية : في حديث عمرو ، من العلم ، أن التمسك بالعمومات حجة صحيحة . انتهى .
وقد روى ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ قال : نزلت في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ، ولم يكن له خادم فيناوله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله هذه الآية .
قال ابن كثير : هذا مرسل .
الثانية : ما يصدق عليه مفهوم عدم الوجود المقيد بالقيام إلى الصلاة ، هو المعتبر في تسويغ التيمم ، كما هو الظاهر من الآية ، لا عدم الوجود مع طلب ، مخصوص ، كما قيل : إنه يطلب في كل جهة من الجهات الأربع في ميل ، أو ينتظر إلى آخر الوقت حتى لا يبقى إلا ما يسع الصلاة بعد التيمم ؟ إذ لا دليل على ذلك ، فإذا دخل الوقت المضروب للصلاة ، وأراد المصلي القيام إليها فلم يجد حينئذ ما يتوضأ به ، أو يغتسل في منزله أو مسجده ، أو ما يقرب منهما ، كان ذلك عذرا مسوقا للتيمم ، فليس المراد بعدم الوجود في ذلك أن لا يجده بعد الكشف والبحث وإخفاء [وإحفاء] السؤال ، بل المراد أن لا يكون معه علم أو ظن بوجود شيء منه هنالك ، ولم يتمكن في تلك الحالة من تحصيله بشراء أو نحوه .
فهذا يصدق عليه أنه لم يجد الماء عند أهل اللغة ، والواجب حمل كلام الله تعالى على ذلك ، مع عدم وجود عرف شرعي ، وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم ما يشعر بما ذكرناه ، فإنه تيمم في المدينة من جدار .
كما ثبت ذلك في الصحيحين من دون أن يسال ويطلب ، ولم يصح عنه في الطلب شيء تقوم به الحجة ، فهذا ، كما يدل على وجوب الطلب ، يدل على عدم وجوب انتظار آخر الوقت ، ويدل على ذلك حديث الرجلين اللذين تيمما في سفر ثم وجدا الماء ، فأعاد أحدهما ولم يعد الآخر : فقال صلى الله عليه وسلم للذي لم يعد : [٣]، أخرجه أبو داود والحاكم وغيرهما من حديث أبي سعيد ، فإنه يرد قول من قال بوجوب الانتظار إلى آخر الوقت على المتيمم ، سواء كان مسافرا أو مقيما ، كذا في " الروضة الندية) .
الثالثة : دلت الآية على أن المسافر إذا لم يجد الماء تيمم ، طال سفره أو قصر .

---

(١) قتلوه ، قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا ؟ فإنما شفاء العي السؤال ، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر – أو : يعصب – على جرحه [خرقة] ثم يمسح عليه ، ويغسل سائر جسده

(٢) يا عمرو ! صليت بأصحابك وأنت جنب

(٣) أصبت السنة

الرابعة : قرئ في السبع (لامستم ولمستم) والملامسة واللمس يردان ، لغة ، بمعنى الجس باليد ، وبمعنى الجماع ، قال المجد في " القاموس " لمس يلمسه ويلمسه : مسه بيده ، والجارية جامعها ، ثم قال : والملامسة المماسة والمجامعة .
ومن ثمة اختلف المفسرون ، والأئمة في المعني بذلك هنا ، فمن قائل بأن اللمس حقيقة في الجس باليد ، مجاز في غيره ، والأصل حمل الكلام على حقيقته لأنه الراجح ، لا سيما على قراءة (لمستم) إذ لم يشتهر في الوقاع كالملامسة ، وروي عن ابن مسعود من طرق متعددة أنه قال : الملامسة ما دون الجماع ، وعنه : القبلة من المس وفيها الوضوء ، رواهما ابن جرير .
وروى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال : يتوضأ الرجل من المباشرة ، ومن اللمس بيده ، ومن القبلة ، وكان يقول في هذه الآية : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ هو الغمز .
وروى ابن جرير عن نافع أن ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة ، ويرى فيها الوضوء ، ويقول : هي من اللماس .
وذكر ابن أبي حاتم أنه روي عن كثير من التابعين نحو ذلك ، قالوا : ومما يؤيد بقاء اللمس على معناه الحقيقي قوله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ﴾ [الأنعام : من الآية ٧] ، أي : جسوه ، وقال صلى الله عليه وسلم لماعز ، حين أقر بالزنى ، يعرض له بالرجوع عن الإقرار : (١)؟ .
وفي الحديث الصحيح : (٢).
وقالت عائشة : قل يوم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا ، فيقبل ويلمس .
ومنه ما ثبت في الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الملامسة ، وهو يرجع إلى الجس باليد .
واستأنسوا أيضا بالحديث الذي رواه أحمد عن معاذ ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال : يا رسول الله ! ما تقول في رجل لقي امرأة لا يعرفها ، فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا إلا أتاه منها غير أنه لم يجامعها ، قال فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ﴾ [هود : من الآية ١١٤] الآية ، قال : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (٣)، قال معاذ : فقلت : يا رسول الله ! أنه خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال : (٤).
ورواه الترمذي وقال : ليس بمتصل ، والنسائي مرسلا ، قالوا : فأمره بالوضوء لأنه لمس المرأة ولم يجامعها .
فصل
ومن قائل : إن المعني باللمس هنا الجماع ، وذلك لوروده في غير هذه الآية بمعناه ، فدل على أنه من كنايات التنزيل ، قال تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [البقرة : من الآية ٢٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [الأحزاب : من الآية ٤٩] ، وقال في آية الظهار : ﴿ فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ﴾ [القصص : من الآية ٣] .

---

(١) لعلك قبلت أو لمست

(٢) واليد زناها اللمس

(٣) توضأ ثم صل

(٤) بل للمؤمنين عامة

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ أو لمستم النساء ﴾ قال : الجماع .
وروى ابن جرير عنه ، قال : إن اللمس والمس والمباشرة : الجماع ، ولكن الله يكني ما يشاء بما شاء ، وقد صح من غير وجه عن ابن عباس أنه قال ذلك ، وقد تقرر أن تفسيره أرجح من تفسير غيره ، لاستجابة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بتعليمه تأويل الكتاب ، كما أسلفنا بيان ذلك في مقدمة التفسير ، ويؤيد عدم النقض بالمس ما رواه مسلم والترمذي وصححه عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : [(١)].
وروى النسائي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي وإني لمعترضته بين يديه اعتراض الجنازة ، حتى إذا أراد أن يوتر مسني برجله .
قال الحافظ ابن حجر في " التلخيص " : إسناده صحيح ، وقوله في " الفتح " : يحتمل أنه كان بحائل أو أنه خاص به صلى الله عليه وسلم ، تكلف ، ومخالفة للظاهر .
وعن إبراهيم التيمي عن عائشة – رضي الله عنها – : [(٢)]. رواه أبو داود والنسائي : قال أبو داود : هو مرسل ، إبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة ، وقال النسائي : ليس في هذا الباب أحسن من هذا الحديث ، وإن كان مرسلا ، وصححه ابن عبد البر وجماعة .
وشهد له ما تقدم وما رواه الطبراني في المعجم الصغير من حديث عمرة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقلت : إنه قام إلى جاريته مارية ، فقمت ألتمس الجدار فوجدته قائما يصلي ، فأدخلت يدي في شعره لأنظر : أغتسل أم لا ؟ فلما انصرف قال : أخذك شيطانك يا عائشة ، وفيه محمد بن إبراهيم عن عائشة ، قال ابن أبي حاتم : ولم يسمع منها .
قال ابن جرير : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ ، ثم أسنده من طرق ، وبه يعلم أن حديث عائشة قرينة صرفت إرادة المعنى الحقيقي من اللمس ، وأوجبت المصير إلى معناه المجازي .
وأما ما روي عن ابن عمر وابن مسعود ، فنحن لا ننكر صحة إطلاق اللمس على الجس باليد ، بل هو المعنى الحقيقي ، ولكنا ندعي أن المقام محفوف بقرائن توجب المصير إلى المجاز ، وأما قولهم : بأن القبلة فيها الوضوء ، فلا حجة في قول الصحابي : لا سيما إذا وقع معارضا لما ورد عن الشارع ، ويؤيد ذلك قول اللغويين ، أن المراد بقول بعض الأعراب للنبي صلى الله عليه وسلم : إن امرأته لا ترد يد لامس ، الكناية عن كونها زانية ، ولهذا قال له صلى الله عليه وسلم : [(٣)].
وأما حديث معاذ الذي استأنسوا به فلا دلالة فيه على النقض ، لأنه لم يثبت أنه كان متوضئا قبل أن يأمره النبي صلى الله

(١) اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك
(٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ
(٣) طلقها

عليه وسلم بالوضوء ، ولا ثبت أنه كان متوضئا عند اللمس ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد انتقض وضوؤه كذا في " نيل الأوطار " .

وقال ابن كثير : هو منقطع بين ابن أبي ليلى ومعاذ ، فإنه لم يلقه ، ثم يحتمل أنه إنما أمره بالوضوء والصلاة المكتوبة ، كما تقدم في حديث الصديق : [1]، وهو مذكور في سورة آل عمران عند قوله : ﴿ ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ [آل عمران : من الآية ١٣٥] ، الآية .

الخامسة : التيمم : لغة القصد ، يقال : تيممته وتأممته ويممته ، وآممته أي : قصدته ، وأما الصعيد فهو فعيل بمعنى الصاعد .

قال الزجاج : الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره ، لا أعلم اختلافا بين أهل اللغة في ذلك .

وفي " المصباح " : الصعيد في كلام العرب يطلق على وجوه : على التراب الذي على وجه الأرض ، وعلى وجه الأرض ، وعلى الطريق .

وفي " القاموس " : الصعيد التراب أو وجه الأرض .

قال الأزهري : ومذهب أكثر العلماء أن الصعيد في قوله تعالى : ﴿ صعيدا طيبا ﴾ هو التراب . انتهى .

واحتجوا بما في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [2].

وفي لفظ : [3].

قالوا : فخصص الطهورية بالتراب في مقام الامتنان ، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه ، قالوا : وحديث جابر المتفق عليه : [4]، خصصه ما قبله لأن الخاص يحمل عليه العام ، واحتجوا أيضا بأن الطيب لا يكون إلا ترابا .

قال الواحدي : إنه تعالى أوجب في هذه الآية كون الصعيد طيبا ، والأرض الطيبة هي التي تنبت بدليل قوله تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ [الأعراف : من الآية ٥٨] ، فوجب في التي لا تنبت أن لا تكون طيبة ، فكان قوله : ﴿ فيتمموا صعيدا طيبا ﴾ أمرا بالتيمم بالتراب فقط ، وظاهر الأمر للوجوب ، واحتجوا أيضا بآية المائدة ، قالوا : الآية ههنا مطلقة ولكنها في سورة المائدة مقيدة وهي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ [المائدة : من الآية ٦] وكلمة (من) للتبعيض وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه .

قال الزمخشري : وقولهم إن (من) لابتداء الغاية ، قول متعسف ، ولا يفهم أحد من العرب ، من قول القائل : (مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب) إلا معنى التبعيض ، ثم قال : والإذعان للحق أحق من المراء . انتهى .

وأجاب القائلون ، بجواز التيمم بالأرض وما عليها ، عن هذه الحجج – بأن الظاهر من لفظ الصعيد وجه الأرض لأنه ما صعد أي : علا وارتفع على وجه الأرض ، وهذه الصفة لا تختص بالتراب .

---

(١) ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له

(٢) فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهورا ، إذا لم نجد الماء

(٣) وجعل ترابها لنا طهورا إذا لم نجد الماء

(٤) جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا

ويؤيد ذلك حديث : [١]، وهو متفق عليه من حديث جابر وغيره ، وما ثبت في رواية بلفظ : [٢]كما أخرجه مسلم من حديث حذيفة – فهو غير مستلزم لاختصاص التراب بذلك عند عدم الماء ، لأن غاية ذلك أن لفظ التراب دل بمفهومه على أن غيره من أجزاء الأرض لا يشاركه في الطهورية ، وهذا مفهوم لقب لا ينتهض لتخصيص عموم الكتاب والسنة ، ولهذا لم يعمل به من يعتد به من أئمة الأصول ، فيكون ذكر التراب ، في تلك الرواية من باب التنصيص على بعض أفراد العام ، وهكذا يكون الجواب عن ذكر التراب في غير هذا الحديث ، ووجه ذكره أنه الذي يغلب استعماله في هذه الطهارة ، ويؤيد هذا ما ثبت من تيممه صلى الله عليه وسلم من جدار .

وأما الاستدلال بوصف الصعيد بالطيب ، ودعوى أن الطيب لا يكون إلا ترابا طاهرا منبتا لقوله تعالى : : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾ [الأعراف : ٥٨] – فغير مفيد للمطلوب إلا بعد بيان اختصاص الطيب بما ذكر ، والضرورة تدفعه ، فإن التراب المختلط بالأزبال أجود إخراجا للنبات ، كذا في " الروضة الندية " .

وأما الاستدلال بآية المائدة وظهور التبعيض في (من) فذاك إذا كان الضمير عائدا إلى الصعيد .

قال الناصر في " الانتصاف " : وثمة وجه آخر وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله : ﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ إلى آخرها فإن المفهوم منه : وإن كنتم على حدث في حال من هذه الأحوال : سفر أو مرض ، أو مجيء من الغائط ، أو ملامسة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث ، فتيمموا منه ، يقال : تيممت من الجنابة ، قال : وموقع (من) على هذا مستعمل متداول ، وهي على هذا الإعراب إما للتعليل أو الغاية ، وكلاهما فيها متمكن ، والله أعلم .

السادسة : أفاد قوله تعالى : ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ أن الواجب في التيمم عن وضوء أو غسل هو مسح الوجه واليدين فقط ، وهذا إجماع ، إلا أن في اليدين مذاهب للأئمة ، فمن قائل بأنهما يمسحان إلى المرفقين ، لأن لفظ اليدين يصدق في إطلاقهما على ما يبلغ المنكبين وعلى ما يبلغ المرفقين ، كما في آية الوضوء ، وعلى ما يبلغ الكفين كما في آية السرقة : ﴿ فاقطعوا أيديهما ﴾ [المائدة : من الآية ٣٨] ، وقالوا : وحمل ما أطلق ههنا ، على ما قيد في آية الوضوء ، أولى لجامع الطهورية .

وروى الشافعي عن إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الأعرج عن ابن الصمة قال : [٣].

وهذا الحديث منقطع ، لأن الأعرج ، وهو عبد الرحمن بن هرمز ، لم يسمع هذا من ابن الصمة ، وإنما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة ، وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال : دخلنا على أبي جهيم بن الحارث ، فقال أبو جهيم : [٤].

---

(١) جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا

(٢) وتربتها طهورا

(٣) مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول ، فسلمت عليه فلم يرد علي ، حتى قام إلى الجدار فحته بعصا كانت معه ، ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ، ثم رد علي

(٤) أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل ، فلقيه رجل فسلم عليه ، فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل على الجدار ، فوضع يده على الحائط ، فمسح بوجهه ويديه ، ثم رد عليه السلام

ولأبي داود عن نافع قال : انطلقت : مع ابن عمر في حاجة إلى ابن عباس ، فقضى ابن عمر حاجته ، فكان من حديثه يومئذ أن قال : مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكة من السكك ، وقد خرج من غائط أو بول ، فسلم عليه فلم يرد عليه ، حتى إذا كاد الرجل أن يتوارى في السكة ، ضرب بيديه على الحائط ومسح بهما وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح ذراعيه ، ثم رد على الرجل السلام ، وقال : [١].

وفي رواية : فمسح ذراعيه إلى المرفقين ، فهذا أجود ما في الباب ، فإن البيهقي أشار إلى صحته ، كذا في " لباب التأويل " .

قال ابن كثير في حديث أبي داود ما نصه : ولكن في إسناده محمد بن ثابت العبدي ، وقد ضعفه بعض الحفاظ ، ورواه غيره من الثقات فوقفوه على فعل ابن عمر ، قال البخاري ، وأبو زرعة وابن عدي : هو الصحيح .

وقال البيهقي : رفع هذا الحديث منكر .

قال ابن كثير : وذكر بعضهم ما رواه الدارقطني عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢]، ولكن لا يصح ، لأن في إسناده ضعفا لا يثبت الحديث به . انتهى .

وذلك لأن فيه علي بن ظبيان ، قال الحافظ ابن حجر : هو ضعيف ، ضعفه القطان وابن معين وغير واحد ، وبه يعلم أن ما استدل به على إيجاب الضربتين ، مما ذكر ، ففيه نظر ، لأن طرقها جميعها لا تخلوا من مقال ، ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة .

فصل

ذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين ، ويدل على ذلك ما روي عن عمار بن ياسر قال : [٣]. أخرجه أبو داود .

قال الحافظ في " الفتح " : وأما رواية الآباط ، فقال الشافعي وغيره : إن كان ذلك وقع بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فكل تيمم صح للنبي صلى الله عليه وسلم بعده فهو ناسخ له ، وإن كان وقع بغير أمره فالحجة فيما أمر به .

فصل

والحق الوقوف في صفة التيمم على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار ، من الاقتصار على ضربة واحدة للوجه والكفين .

قال عمار : أجنبت فلم أصب الماء ، فتمعكت في الصعيد ، وصليت ، فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : [٤]، متفق عليه .

---

(١) إنه لم يمنعني أن أرد عليك السلام ، إلا أني لم أكن على طهر

(٢) التيمم ضربتان : ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين

(٣) تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر ، فضربوا بأكفهم الصعيد ثم مسحوا وجوههم مسحة واحدة ، ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى ، فمسحوا بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط من بطون أيديهم

(٤) إنما كان يكفيك هكذا ، وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه

وفي لفظ : [١]. رواه الدارقطني .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في التيمم : [٢].

وفي لفظ : [٣]. رواه الترمذي وصححه .

قال ابن عبد البر : أكثر الآثار المرفوعة عن عمار ضربة واحدة ، وما روي عنه من ضربتين فكلها مضطربة ، وأما الجواب عن المتفق عليه من حديث عمار بأن المراد منه بيان صورة الضرب ، وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم – فتكلف واضح ، ومخالفة للظاهر .

وقد سرى هذا إلى العلامة السندي في " حواشي البخاري " حيث كتب على حديث عمار ما نصه : قد استدل المصنف (يعني البخاري) بهذا الحديث على عدم لزوم الذراعين في التيمم في موضع ، وعلى عدم وجوب الضربة الثانية في موضع آخر ، وكذا سيجيء في الروايات هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قدم في هذه الواقعة الكفين على الوجه ، فاستدل به القائل لعدم لزوم الترتيب ، فلعل القائل بخلاف ذلك يقول : إن هذا الحديث ليس مسوقا لبيان عدد الضربات ولا لبيان تحديد اليد في التيمم ولا لبيان عدم لزوم الترتيب ، بل ذلك أمر مفوض إلى أدلة خارجة ، وإنما هو مسوق لرد ما زعمه عمار من أن الجنب يستوعب البدن كله ، والقصر في قوله : (إنما كان يكفيك) معتبر بالنسبة إليه ، كما هو القاعدة أن القصر يعتبر بالنظر إلى زعم المخاطب ، فالمعنى : إنما يكفيك استعمال الصعيد في عضوين : وهما الوجه واليد .

وأشار إلى اليد بـ (الكف) ، ولا حاجة إلى استعماله في تمام البدن ، وعلى هذا يستدل على عدد الضربات وتحديد اليد ولزوم الترتيب أو عدمه بأدلة أخر ، كحديث : [٤]، وغير ذلك ، فإنه صحيح كما نص عليه بعض الحفاظ ، وهو مسوق لمعرفة عدد الضربات وتحديد اليد ، فيقدم على غير المسوق لذلك ، والله تعالى أعلم . انتهى كلامه .

وقوله : فإنه حديث صحيح ، فيه ما تقدم .

وقد قال الإمام ابن القيم في " زاد العماد " في (فصل هديه صلى الله عليه وسلم بالتيمم) ما نصه : كان صلى الله عليه وسلم يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ، ولم يصح عنه أنه تيمم بضربتين ، ولا إلى المرفقين .

قال الإمام أحمد : من قال : إن التيمم إلى المرفقين ، فإنما هو شيء زاده من عنده ، وكذلك كان يتيمم بالأرض التي يصلي عليها ، ترابا كانت أو سبخة أو رملا .

وصح عنه أنه قال : [٥]، وهذا نص صريح في أن من أدركته الصلاة في الرمل ، فالرمل له طهور . ولما سافر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه في غزوة تبوك ، قطعوا تلك الرمال في طريقهم ، وماؤهم في غاية القلة ، ولم يرو عنه أنه حمل معه التراب ، ولا أمر به ، ولا فعله أحد من أصحابه ، مع القطع بأن في المفاوز الرمال أكثر من التراب ، وكذلك أرض الحجاز وغيره

---

(١) إنما كان يكفيك أن تضرب بكفيك في التراب ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك إلى الرسغين

(٢) ضربة للوجه واليدين

(٣) إن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتيمم للوجه والكفين

(٤) التيمم ضربة للوجه وضربة للذراعين إلى المرفقين

(٥) حيثما أدركت رجلا من أمتي الصلاة ، فعنده مسجده وطهوره

، ومن تدبر هذا ، قطع بأنه كان يتيمم بالرمل ، والله أعلم وهذا قول الجمهور .
وأما ما ذكر في صفة التيمم من وضع بطون أصابع يده اليسرى على ظهور اليمنى ، ثم إمرارها إلى المرفق ، ثم إدارة بطن كفه على بطن الذراع ، وإقامة إبهامه اليسرى كالمؤذن ، إلى أن يصل إلى إبهامه اليمنى ، فيطبقها عليها ، فهذا مما يعلم قطعا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله ، ولا علمه أحدا من أصحابه ، ولا أمر به ، ولا استحسنه ، وهذا هديه ، إليه التحاكم ، وكذلك لم يصح عنه التيمم لكل صلاة ، ولا أمر به ، بل أطلق [التيمم] ، وجعله قائما مقام الوضوء وهذا يقتضي أن يكون حكمه حكمه ، إلا فيما اقتضى الدليل خلافه . انتهى .
السابعة : ذكر هنا الحافظ ابن كثير سبب مشروعية التيمم قال : وإنما ذكرنا ذلك ههنا لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة النزول على آية المائدة ، وبيانه : أن هذه نزلت قبل تحريم الخمر ، والخمر إنما حرم بعد أحد بيسير ، في محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير ، وأما المائدة فإنها من آخر ما نزل ، ولا سيما صدرها ، فناسب أن يذكر السبب هنا ، وبالله الثقة .
قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة ، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها ، فوجدوها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء ، فصلوها بغير وضوء ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل [آية] التيمم ، فقال أسيد بن الحضير لعائشة : جزاك الله خيرا ، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه ، إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرا .
(طريق أخرى) قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، حتى إذا كنا بالبيداء ، أو بذات الجيش ، انقطع عقد لي .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام .
فقال : حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، قالت عائشة : فعاتبني أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، فجعل يطعنني بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا .
فقال أسيد بن الحضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر .
قالت : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته .
وقد رواه البخاري أيضا عن قتيبة بن سعيد عن مالك .
ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك . انتهى كلام ابن كثير .
وأورد الواحدي في " أسباب النزول " هذا الحديث عند ذكر آية النساء أيضا .
وقال ابن العربي : لا نعلم أي : الآيتين عنت عائشة .

قال ابن بطال : هي آية النساء أو آية المائدة .
وقال القرطبي : هي آية النساء ، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء ، وآية النساء لا ذكر فيها للوضوء ، فيتجه تخصيصها بآية التيمم .
قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " : وخفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد ، لرواية عمرو بن الحارث ، إذ صرح فيها بقوله : فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ الآية .
وقال الحافظ قبل : استدل به (أي : بحديث عائشة) على أن الوضوء كان واجبا عليهم قبل نزول آية الوضوء ، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء ، ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع .
وقال ابن عبد البر : معلوم عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ افترضت الصلاة عليه إلا بوضوء ، ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند ، قال : وفي قوله في هذا الحديث (آية التيمم) إشارة إلى أن الذي طرأ عليهم من العلم حينئذ حكم التيمم لا حكم الوضوء ، قال : والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ، ليكون فرضه متلوا بالتنزيل .
قال السيوطي في " لباب النقول " بعد تصويب هذا الكلام : فإن فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة ، والآية مدنية . انتهى .
وقال الحافظ ابن حجر أيضا في قول أسيد (ما هي بأول بركتكم) : يشعر بأن هذه القصة كانت بعد قصة الإفك ، فيقوي قول من ذهب إلى تعدد ضياع العقد ، وممن جزم بذلك محمد بن حبيب الأخباري فقال : سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق .
وقد روى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال : لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع . . الحديث .
فهذا يدل على تأخرها عن غزوة بني المصطلق ، لأن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة ، وهي بعدها بلا خلاف قال : وسيأتي في المغازي أن البخاري يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم أبي موسى ، وقدومه كان في وقت إسلام أبي هريرة ، ومما يدل على تأخر القصة أيضا عن قصة الإفك ، ما رواه الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : لما كان من أمر عقدي ما كان ، وقال أهل الإفك ما قالوا ، خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي حتى حبس الناس على التماسه ، فقال لي أبو بكر : يا بنية ! في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس ؟ فأنزل الله عز وجل الرخصة في التيمم .
فقال أبو بكر : إنك لمباركة (ثلاثا) ، وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وفيه مقال ، وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب أبي بكر الذي أبهم في حديث الباب ، والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين في غزوتين ، والله أعلم . انتهى كلام الحافظ .
وقال الإمام شمس الدين ابن القيم في " زاد المعاد " في (غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق) : إنها كانت في شعبان سنة خمس ، وبعد ذكرها قال : قال ابن سعد : وفي هذه الغزوة سقط عقد لعائشة فاحتبسوا على طلبه ، فنزلت آية التيمم ، ثم ساق حديث الطبراني المتقدم وقال : هذا يدل على أن قصة العقد التي نزل التيمم لأجلها بعد هذه الغزوة ، وهو

الظاهر ، ولكن فيها كانت قصة الإفك بسبب فقد العقد والتماسه ، فالتبس على بعضهم إحدى القصتين بالأخرى . انتهى .

وقد روي سبب نزول الآية المذكورة أيضا عن عمار بن ياسر – رضي الله عنه – قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرس بأولات الجيش ومعه عائشة فانقطع عقد لها من جزع ظفار فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر وليس مع الناس ماء ، فتغيظ عليها أبو بكر ، وقال : حبست الناس وليس معهم ماء ! فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم رخصة التطهر بالصعيد الطيب ، فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربوا بأيديهم إلى الأرض ثم رفعوا أيديهم ولم يقبضوا من التراب شيئا ، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب ومن بطون أيديهم إلى الآباط ، ورواه أيضا ابن جرير عن أبي اليقظان – رضي الله عنه – قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلك عقد لعائشة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الصبح ، فتغيظ أبو بكر على عائشة ، فنزلت عليه الرخصة ، المسح بالصعيد ، فدخل أبو بكر فقال لها : إنك لمباركة ، نزل فيك رخصة ، فضربنا بأيدينا : ضربة لوجوهنا وضربة لأيدينا إلى المناكب والآباط .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في سبب نزولها وجها آخر عن الأسلع بن شريك – رضي الله عنه – قال : كنت أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابتني جنابة في ليلة باردة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة فكرهت أن أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب ، وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض ، فأمرت رجلا من الأنصار فرحلها ثم رضفت أحجارا فأسخنت بها ماء واغتسلت ، ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال : يا أسلع ! مالي أرى رحلتك قد تغيرت ؟ قلت : يا رسول الله ! لم أرحلها ، رحلها رجل من الأنصار ، قال : ولم ؟ قلت : إني أصابتني جنابة فخشيت القر على نفسي ، فأمرته أن يرحلها ورضفت أحجارا فأسخنت بها ماء فاغتسلت به ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله كان عفوا غفورا ﴾ .

قال ابن كثير : وقد روي من وجه آخر ، عنه .." (١)

" منه فالحياء من الله تعالى أن تنظر إلى عورتك أو عورة امرأتك وإن كان ذلك قد أبيح لك لكن استعمال الحياء فيها أفضل وألى فما يتعين منه فهو فرض عليك وإلا يتعين ففعلته فهو سنة واستحباب فيراقب الانسان أفعاله ظاهرا وباطنا ويراقب ربه فى باطنه فان وجه قلبه هو المعتبر ووجه الانسان على الحقيقة ذاته يقال : وجه الشيء أى حقيقته وعينه وذاته فالحياء خير كله و الحياء من الإيمان ولايأتى إلا بخير وأما البياض الذى بين العذار والأذن وهو الحد الفاصل بين الوجه والأذن فهو الحد بين ماكلف الانسان من العمل فى وجهه والعمل فى سماعه فالعمل فى ذلك إدخال الحد فى المحدود فالأولى بالانسان أن يصرف حيائه فى سمعه كما صرفه فى بصره فكما أن الحياء غض البصر كما قاله تعالى : قل للمؤمنين أن يغضوا من أبصارهم كذلك **يلزم الحياء من الله تعالى** أن لايسمع مالايحل له غيبة وسوء قول من متكلم بما لاينبغى فان ذلك البياض هو بين العذار والأذن وهو محل الشبهة وهو أن يقول : أصغيت اليه لأرد عليه وهذا معنى العذار فانه من

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

العذر أى الانسان يعتذر إذا قيل له : لم أصغيت إلى هذا القول بأذنك فيقول : إنى أردت أن أحقق سماع ماقال حتى أنهاه عنه فكنى عنه بالعذار فمن رأى وجوب ذلك عليه غسله ومن لم يرى وجوب ذلك إن شاء غسل وإن شاء ترك وأما غسل ماسترسل من اللحية وتخليلها فهى الأمور العوارض فان اللحية شيء يعرض فى الوجه وليست من أصله فكل مايعرض لك فى وجه ذلك من المسائل فأنت فيها بحكم ذلك العارض فان تعين عليك طهارة ذلك العارض فهو قول من يقول بوجوب غسله وإن لم يتعين عليك طهارته فطهرته استحبابا أو تركته لكونه ماتعين عليك فهو قول من لم يقل بوجوب الطهارة فيه وقد بين أن حكم الباطن يخالف الظاهر بأن فيه وجها إلى الفريضة ووجها إلى السنة والاستحباب فالفرض من ذلك لابد من إتيانه وغير الفرض عمله أولى من تركه وذلك سار فى جميع العبادات انتهى

وقال بعض العارفين : هذا خطاب للمؤمنين بالإيمان العلمى إذا قاموا عن نوم الغفلة وقصدوا صلاة الحضور والمناجاة الحقيقية والتوجه إلى الحق أن يطهروا وجوه قواهم بماء العلم النافع الطاهر المطهر من علم الشرائع والاخلاق والمعاملات الذى يتعلق بإزالة الموانع عن لوث صفات النفس وأول هذا الأيدى فى قوله تعالى : وأيديكم بالقوى والقدر أى طهروا أيضا قواكم وقدركم عن دنس تناول الشهوات والتصرفات فى مواد الرجس إلى المرافق أى قدر الحقوق والمنافع وقال الشيخ الاكبر قدس سره : أجمع الناس على غسل اليدين والذراعين واختلفوا فى إدخال المرافق فى هذا الغسل فمن قائل : بوجوب إدخالهما ومن قائل : بعدم الوجوب لكن لم ينازع بالاستحباب وحكم الباطن فى ذلك أن غسل اليدين والذراعين إشارة إلى غسلهما بالكرم والجود والسخاء والهباة والاعتصام والتوكل فان هذا وشبهه من نعوت اليدين والمعاصم للمناسبة بقى غسل المرافق وهى رؤية الأسباب التى يرتفق العبد ويأنس بها لنفسه فمن راى إدخال المرافق فى نفسه رأى أن الأسباب إنما وضعها الله تعالى حكمة منه فى خلقه فلا يريد أن تعطل حكمة الله تعالى لا على طريق الاعتماد عليها فان ذلك يقدح فى اعتماده على الله تعالى ومن رأى عدم إيجابها فى الغسل رأى سكون النفس إلى الأسباب وأنه لايخلص له مقام الاعتماد على الله تعالى مع وجود رؤية الاسباب ومل من يقول : بأنه لايجب غسلها يقول : يستحب كذلك رؤية الأسباب مستحبة عند الجميع وإن اختلفت أحكامهم فيها فان الله تعالى ربط الحكمة فى وجودها وامسحوا برءوسكم قال بعض العارفين : أى بجهات أرواحكم عن قتام كدورة القلب وغبار تغيره بالتوجه ." (١)

" مقابلة للباطل بمثله لكن منعني الحياء من الله تعالى والإشتغال بخدمة كلامه سبحانه والعلم بأن تلك الخرافات لا تروج إلا عند من سلب من الإدراك والتحق بالجمادات وقال الواسطي في الآية : المعنى يخلق فيكم من الأفعال ما لا تعلمون أنها لكم أم عليكم وعلى الله قصد السبيل أي السبيل القصد وهو التوحيد ومنها جائر وهو ما عدا ذلك ولو شاء لهداكم أجمعين لكنه لم يشأ لعدم استعدادكم ولتظهر صفات جماله وجلاله سبحانه : وألقى في الأرض رواسي وهم الأوتاد أرباب التمكين أن تميد بكم أي تضطرب ومن الكلام المشهور على الألسنة لو خلت قلبت وأنهارا وهم العلماء الذين تحيا بفرات علومهم أشجار القلوب وسبلا وهم المرشدون الداعون إليه تعالى وعلامات وهي الآيات الآفاقية الأنفسية وبالنجم هم يهتدون وهي الأنوار التي تلوح للسالك من عالم الغيب

---

(١) روح المعاني، ٩١/٦

وقال بعضهم : ألقى في أرض القلوب رواسي العلوم الغيبية والمعارف السرمدية وأجرى فيها أنهار أنوار المعرفة والمكاشفة والمحبة والشوق والعشق والحكمة والفطنة وأوضح سبلا للأرواح والعقول والأسرار فسبيل الأرواح إلى أنوار الصفات وسبيل العقول إلى أنوار الآيات وسبيل الأسرار إلى أنوار الذات والسبل في الحقيقة غير متناهية ومن كلامهم الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق والعلامات في الظاهر أنوار الأفعال للعموم وأخص العلامات في العالم الأولياء والنجوم أهل المعارف الذين يسبحون في أفلاك الديمومة بأرواحهم وقلوبهم وأسرارهم من اقتدى بهم يهتدي إلى مقصوده الأبدي وفي الحديث أصحابي كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتديتم والمراد بهم خواصهم ليتأتى الخطاب ويجوز أن يراد كلهم والخطاب لنا ولا مانع من ذلك على مشرب القوم والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ما أعظمها آية في النعي على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمادات والأموات ويطلب منه ما لا يستطيع جلبه لنفسه أو دفعه عنها

وقال بعض أكابر الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم : إن الإستغاثة بالأولياء محظورة إلا من عارف يميز بين الحدوث والقدم فيستغيث بالولي لا من حيث نفسه بل من حيث ظهور الحث فيه فإن ذلك غير محظور لأنه استغاثة بالحق حينئذ وأنا أقول إذا كان الأمر كذلك فما الداعي للعدول عن الإستغاثة بالحق من أول الأمر وأيضا إذا ساغت الإستغاثة بالولي من هذه الحيثية فلتسغ الصلاة والصوم وسائر أنواع العبادة له من تلك الحيثية أيضا ولعل القائل بذلك قائل بهذا بل قد رأيت لبعضهم ما يكون هذا القول بالنسبة إليه تسبيح ولا يكاد يجري قلمي أو يفتح فمي بذكره فالطريق المأمون عند كل رشيد قصر الإستغاثة والإستعانة على الله عز و جل فهو سبحانه الحي القادر العالم بمصالح عباده فإياك والإنتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ذكروا أن السابقين الموحدين يتوفاهم الله تعالى بذاته وأما الأبرار والسعداء فقسمان فمن ترقى عن مقام النفس بالتجرد ووصل إلى مقام القلب بالعلوم والفضائل يتوفاهم ملك الموت ومن كان في مقام النفس من العباد والصلحاء والزهاد والمتشرعين لم يتجردوا عن علائق البدن بالتحلية والتخلية تتوفاهم ملائكة الرحمة وأما الأشرار الأشقياء فتتوفاهم الملائكة أيضا ولكن ملائكة العذاب ويتشكلون لهم على صورة أخلاقهم الذميمة كما يتشكل ملائكة الرحمة لمن تقدم على صورة أخلاقهم الحسنة الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طابت نفوسهم في خدمة مولاها وطابت قلوبهم في محبة ." (١)

"وقيل : غلاظ أجسامهم ضخمة شداد ، أي : الأقوياء. قال ابن عباس : ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة ، وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم : "ما بين منكبي كل واحد منهم كما بين المشرق والمغرب" ﴿لا يعصون الله﴾ أي : الملك الأعلى في وقت من الأوقات ، وقوله تعالى : ﴿ما أمرهم﴾ بدل من الجلالة أي : لا يعصون أمر الله ، وقوله تعالى : ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ تأكيد ؛ هذا ما جرى عليه الجلال المحلي. وقال الزمخشري : فإن قلت : أليست الجملتان في معنى واحد ؟

قلت : لا فإن معنى الأولى أنهم يقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ، ومعنى الثانية : أنهم يؤدون ما يؤمرون به

---

(١) روح المعاني، ١٦٠/١٤

لا يتثاقلون عنه ، ولا يتوانون فيه. وقيل : لا يعصون الله ما أمرهم الله فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل ، وصدر بهذا البيضاوي.

فإن قيل : إنه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى : ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي

٣٦٠

وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة : ٢٤) فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته للمؤمنين بذلك ؟

أجيب : بأن الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مع الكفار في دار واحدة ، فقيل للذين آمنوا : ﴿قوا أنفسكم﴾ باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه الدار الموصوفة ، ويجوز أن يأمرهم بالتوقي عن الارتداد والندم على الدخول في الإسلام ، وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون.

قال الزمخشري : ويعضد ذلك قوله تعالى على الإثر :

﴿يا أيها الذين كفروا﴾ أي : بالإخلال بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فأداهم ذلك إلى الإخلال بالأدب مع الله تعالى ، وبالأدب مع سائر خلقه ﴿لا تعتذروا﴾ أي : تبالغوا في إظهار العذر هو إيساغ الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير ﴿اليوم﴾ فإنه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار ، وقد فات زمان الاعتذار وصار الأمر إلى ما صار وهذا النهي لتحقيق اليأس ﴿إنما تجزون﴾ أي : في هذا اليوم ﴿ما كنتم﴾ أي : ما هو لكم كالجبلة والطبع ﴿تعملون﴾ في الدنيا ، ونظيره ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ (الروم : ٥٧) قال البقاعي : ولا بعد على الله في أن يصور لكل إنسان صورة عمله بحيث لا يشك أنه عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الألم ما علم الله تعالى أنه بمقدار استحقاقه.

ولما بين تعالى أن المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم أمر بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٥٨

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا﴾ أي : ارجعوا رجوعا تاما ﴿إلى الله﴾ أي : الملك الذي لا نظير له ﴿توبة﴾ وقوله : ﴿نصوحا﴾ صيغة مبالغة أسند النصح إليها مجازا ، وهي من نصح الثوب إذا خاطه فكأن التائب يرقع بالمعصية. وقيل : من قولهم : ناصح ، أي : خالص. وقرأ شعبة بضم النون ، والباقون بفتحها.

تنبيه : أمرهم بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وفي كل الأزمان. واختلفوا في معناها ، فقال عمر ومعاذ : التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب ، كما لا يعود اللبن في الضرع ، وقال الحسن : هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه. وقال الكلبي : أن يستغفر باللسان ، ويندم بالقلب ، ويمسك بالبدن.

وعن حوشب : أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار ، وعن سماك : أن تنصب الذنب الذي أقللت **فيه الحياء من الله تعالى** أمام عينيك ، وتتبعه نظرك. وعن السدي : لا تصح إلا بنصيحة النفس ، ونصيحة المؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله.

وقال سعيد بن المسيب : توبة ينصحون فيها أنفسهم. وقال القرطبي : يجمعها أربع أشياء : الإستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيء الإخوان.

وقال الفقهاء : التوبة التي لا تعلق لحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط : أحدها : أن يقلع عن المعصية ، وثانيها : أن يندم على ما فعله ، وثالثها : أن يعزم على أن لا يعود إليها. فإذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وإن فقد شرط منها لم تصح توبته. وإن كانت تتعلق بآدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة المتقدمة ، والرابع : أن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت المعصية مالا ونحوه رده إلى مالكه ، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه من نفسه ، أو طلب العفو منه ، وإن كانت غيبة استحله منها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٦١

قال العلماء : التوبة واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور ، ولا يجوز تأخيرها

٣٦١." (١)

" مجالسهم مسرعين اليه يستمعون قراءته ويقول بعضهم لبعض شاعر وكاهن ومفتر وغير ذلك وقبلك معناه فيما يليك والمهطع الذي يمشى مسرعا الى شيء قد اقبل ببصره عليه وعزين جمع عزة والعزة الجمع اليسير كأنهم كانوا ثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وفي حديث ابي هريرة قال خرج النبي ص - على اصحابه وهم حلق متفرقون فقال ما لي اراكم عزين

وقوله تعالى أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم نزلت لان بعض الكفار قال ان كانت ثم آخرة وجنة فنحن اهلها لان الله تعالى لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك الا لرضاه عنا

وقوله تعالى كلا رد لقولهم وطمعهم اي ليس الامر كذلك ثم اخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قذرة واحال في العبارة على علم الناس أي فمن خلق من ذلك فليس بنفس خلقه يعطي الجنة بل بالايمان والاعمال الصالحة وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا مالك بن مغول قال سمعت ابا ربيعة يحدث عن الحسن قال قال رسول الله ص - كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم جعلنا الله فداءك قال فاقصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال ليس كذلك الحياء **ولكن الحياء من الله ان** لا تنسوا المقابر والبلى ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا تنسوا الرأس وما حوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا هنالك استحيي العبد من الله هنالك اصاب ولاية الله انتهى وقد روينا اكثر هذا الحديث من طريق ابي عيسى الترمذي وباقي الآية تقدم تفسير نظيره والاجداث القبور والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بناء وقال ابو العالية الى نصب يوفضون معناه الى غايات يستبقون ويوفضون معناه يسرعون وخاشعة اي ذليلة منكسرة ." (٢)

"معها إلى توبة.

وقال الكلبي: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والاقلاع عن الذنب، والاطمئنان على أنه لا يعود..وقال سعيد بن جبير: هي التوبة المقبولة، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تقبل، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعات.

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ٤/٢٤٠

(٢) تفسير الثعالبي، ٤/٣٤٢

وقال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم.

وقال القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، وإقلاع بالابدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سئ الخلان.

وقال سفيان الثوري: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة والعلة والذلة والغربة.

وقال الفضيل بن عياض: هو أن يكون الذنب بين عينيه، فلا يزال كأنه ينظر إليه.

ونحوه عن ابن السماك: أن تنصب الذنب الذي أقللت **فيه الحياء من الله أمام** عينك وتستعد لمنتظرك.

وقال أبو بكر الوراق: هو أن تضيق عليك الارض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك، كالثلاثة الذين خلفوا.

(١) وقال أبو بكر الواسطي: هي توبة لا لفقد عوض، لان من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الآخرة، فتوبته على حفظ نفسه لا لله.

وقال أبو بكر الدقاق المصري: التوبة النصوح هي رد المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمان الطاعات.

وقال رويم: هو أن تكون لله وجها بلا قفا، كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه.

وقال ذوالنون: علامة التوبة النصوح ثلاث: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام.

وقال شقيق: هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة، ولا ينفك من الندامة، لينجو من آفاتها بالسلامة.

وقال سري السقطي: لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين، لان من صحب توبته أحب أن يكون الناس مثله.

وقال الجنيد: التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدا، لان من صحت توبته صار محبا لله، ومن أحب الله نسي ما دون الله.

وقال ذو الاذنين: (٢) هو أن يكون

---

(١) الثلاثة الذين خلفوا هم: كعب بن مالك، مرارة بن ربيعة العامري، هلال بن أمية الواقفى.

راجع ج ٨ ص ٢٨٢ وج ٢ ص ٩٠٧ من سيرة ابن هشام طبع أو ربا.

(٢) ذو الاذنين: لقب أنس بن مالك رضى الله عنه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قيل: معناه الحض على حسن الاستماع والوعى.

وقيل: إن هذا القول من جملة مزحه صلوات الله وسلامه عليه.

(*)".(١)

"" صفحة رقم ٥٧٤ "

الكذابين . قال : وما التوبة ؟ قال : يجمعها ستة أشياء : على الماضي من الذنوب : الندامة ، وللفرائض : الإعادة ، ورد

---

(١) تفسير القرطبي، ١٩٨/١٨

المظالم ، واستحلال الخصوم ، وأن تعزم على أن لا تعود ، وأن تذيب نفسك في طاعة الله ، كما ربيتها في المعصية ، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي . وعن حذيفة : بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه . وعن شهر بن حوشب : أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار . وعن ابن السماك : أن تنصب الذنب الذي أقللت **فيه الحياء من الله أمام** عينك وتستعد لمنتظرك . وقيل : توبة لا يتاب منها . وعن السدي : لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين ، لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله . وقيل : نصوحا من نصاحة الثوب ، أي : توبة ترفو خروقك في دينك ، وترم خالك . وقيل : خالصة ، من قولهم : عسل ناصح إذا خلص من الشمع . ويجوز أن يراد : توبة تنصح الناس ، أي : تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها ، واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها . وقرأ زيد بن علي (توبا نصوحا) وقرىء : (نصوحا) بالضم ، وهو مصدر نصح . والنصح والنصوح ، كالشكر والشكور ، والكفر والكفور أي : ذات نصوح . أو تنصح نصوحا . أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له) عسى ربكم (إطماع من الله لعباده ، وفيه وجهان ، أحدهما : أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل . ووقوع ذلك منهم موقع القطيع والبت . والثاني : أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء ، والذي يدل على المعنى الأول وأنه في معنى البت : قراءة ابن أبي عبلة : (ويدخلكم بالجزم) ، عطفا على محل (عسى أن يكفر) كأنه قيل : توبوا يوجب لكم تكفير سيآتكم ويدخلكم) يوم لا عبد الله (نصب بيدخلكم ، ولا يخزي : تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق ، واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم) نورهم يسعى (على الصراط) أتمم لنا نورنا (قال ابن عباس : يقولون ذلك إذا طفىء نور المنافقين إشفاقا . وعن الحسن : الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا إلى الله ، كقوله تعالى :) واستغفر لذنبك ((غافر : ٥٥) وهو مغفور له . وقيل : يقوله أدناهم منزلة ، لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطىء أقدامهم ، لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلا . وقيل : السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط ، وبعضهم كالريح ، وبعضهم حبوا وزحفا ؛ فأولئك الذين يقولون :) ربنا أتمم لنا نورنا (فإن قلت : كيف." [1]

"شرعيا أو عقليا أو عرفيا، ومقابل الأول فاسق، والثاني مجنون، والثالث أبله. قال: وقوله صلى الله عليه وسلم: "الحياء شعبة من الإيمان" أي: أثر من آثار الإيمان. وقال الحليمي: حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه. وقال غيره: إن كان في محرم فهو واجب، وإن كان في مكروه فهو مندوب، وإن كان في مباح فهو العرفي، وهو المراد بقوله: "الحياء لا يأتي إلا بخير" . ويجمع كل ذلك أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع إثباتا ونفيا، وحكي عن بعض السلف: رأيت المعاصي مذلة، فتركتها مروءة، فصارت ديانة. وقد **يتولد الحياء من الله تعالى** من التقلب في نعمه، فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته، وقد قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي منه على قدر قربه منك. والله أعلم.." [2]

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٤/٥٧٤

(٢) فتح الباري– تعليق ابن باز، ١/٧٥

"شأن عدل العادل أنه لا يتوهم فيه إبطال الجهاد بل تقويته ولما نظر شارح لهذا قال تتميم وإلا فعدل العادل لا يتوهم فيه إبطال وقيل فعلى هذا يكون النفي بمعنى النهي والإيمان بالأقدار أي الخصلة الثالثة أو الإيمان بالأقدار من أصل الإيمان يعني بأن جميع ما يجري في العالم هو من قضاء الله وقدره وفيه رد على المعتزلة لإثباتهم للعباد القدرة المستقلة بإيجاد المعصية رواه أبو داود وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله إذا زنى أي أخذ وشرع في الزنا العبد أي المؤمن خرج منه الإيمان أي نوره وكماله أو أعظم شعبه **وهو الحياء من الله تعالى** أو يصير كأنه خرج إذ لا يمنع إيمانه عن ذلك كما لا يمنع من خرج منه

الإيمان أو أنه من باب التغليظ في الوعيد قال التوربشتي هذا من باب الزجر والتهديد وهو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية والمروءة ثم فعل ما ينافي شيمته عدم عنه الرجولية والمروءة تعييرا وتنكيرا لينتهي عما صنع واعتبارا وزجرا للسامعين ولطفا بهم وتنبيها على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم فالجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتنافيين وفي قوله فكان فوق رأسه كالظلة وهو أول سحابة تظل إشارة إلى أنه وإن خالف حكم الإيمان فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكم الإيمان ولا يرتفع عنه اسمه فإذا خرج من ذلك العمل قيل أي بالتوبة رجع إليه الإيمان قيل هذا تشبيه المعنى بالمحسوس بجامع معنوي وهو الإشراف على الزوال وفيه إيماء بأن المؤمن في حالة اشتغاله بالمعصية يصير كالفاقد للإيمان لكن لا يزول حكمه واسمه بل هو بعد في ظل رعايته وكنف بركته إذا نصب فوقه كالسحابة تظله فإذا فرغ من معصيته عاد الإيمان إليه قلت وفيه إشارة إلى أنه في خطر من الكفر نعوذ بالله لأنه صدر عنه ما قد يكون سببا لعدم رجوع الإيمان إليه ولذا قالوا المعاصي بريد الكفر رواه الترمذي أي تعليقا وأبو داود وسكت عليه هو والمنذري ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي." [١]

"تعالى قيل هذا من باب التعريض وصف الله

تعالى بذلك تهجينا لفعل الرجل وحثا له على تحري الحياء والتستر كما وصف حملة العرش بالإيمان في قوله تعالى ويؤمنون به الأنعام حثا للمؤمنين على الإتصاف بصفات الملائكة المقربين فإذا اغتسل أحدكم أي أراد الغسل في فضاء فليستتر أي فليجعل لنفسه سترة كيلا يراه أحد قال ابن حجر في هذا إرشاد لنحو المغتسل بمحل لا يراه الناس بأن لا يعود لذلك استحياء من الله ومن ثم قال أئمتنا يحرم كشف العورة في الخلوة لغير حاجة لأن فيه **ترك الحياء من الله تعالى** وارد عليهم إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء فيستوي بالنسبة لإطلاعه وعلمه المستور وغيره وردوه بأنه تعالى وإن أحاط علمه بهما إلا أنه يرى المستور على حالة تقتضي الأدب وشتان ما بينهما رواه أبو داود وسكت عليه قاله ميرك والنسائي وفي روايته قال إن الله ستير فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار أي أمر من التواري بمعنى التستر بشيء من الثوب أو الجدار أو الحجر أو الشجر قال ابن حجر وحاصل حكم من اغتسل عاريا إن كان بمحل خال لا يراه أحد ممن يحرم عليه نظر عورته حل له ذلك لكن الأفضل التستر حياء من الله تعالى وإن كان بحيث يراه أحد يحرم عليه نظر عورته وجب عليه التستر منه إجماعا على ما حكي ووهم بعض من لا علم عنده وقال الواجب على ذلك غض البصر عنه فلا يلزمه التستر وهذا كلام ساقط لأن وجوب الغض لا يبيح التكشف ولا يقاس هذا بما حكي من الإجماع على أن للنساء أن يخرجن سافرات الوجوه وعلى

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٠٨/١

الرجال الغض أما أولا فذاك لحاجة المشقة في ستر الوجه في الطرقات وأما ثانيا فهذا يتسامح فيه ما لا يتسامح به في ذلك لأن وجه المرأة ليس بعورة ولذا أباح النظر له مع أمن الفتنة كثيرون بخلاف العورة الكبرى التي هي السوأتان فإنه لم يقل أحد بحل نظرها وكذا بقية ما بين السرة والركبة عند من يقول بأنه عورة فوجب ستر الكل حذرا من تطرق نظر محرم إليه فيكون متسببا له بعدم تستره." (١)

"الزمان لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء أي اتقوا الله حق تقاته قالوا إنا نستحي من الله لم يقولوا حق الحياء اعترافا بالعجز عنه يا نبي الله يعني وأنت شاهد على ذلك والحمدلله أي على توفيقنا به قال ليس ذلك أي ليس حق الحياء أن تقولوا إنا نستحي وكان القياس ذلكم وكأنه نزلهم منزلة المفرد فيما ينبغي لهم من التعاضد والاتحاد ولكن من استحيي من الله حق الحيا أصله الهمزة ولكن خفف همزه بحذفها وقفا وهو المناسب هنا رعاية للسجع فليحفظ الرأس أي عن استعماله في غير خدمة الله بأن لا يسجد لصنم أو لأحد تعظيما له ولا يصلي للرياء ولا يخضع به لغير الله ولا يرفعه تكبرا وما وعى أي جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن عما لا يحل استعماله وليحفظ البطن أي عن أكل الحرام وما حوى أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج واليدين والرجلين والقلب فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف وحفظها بأن لا تستعمل في المعاصي بل في مرضاة الله تعالى قال الطيبي أي ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه وقوله عما لا يرضاه فليحفظ رأسه وما وعاه من الحواس الظاهرة والباطنة واللسان والبطن وما حوى أي لا يجمع فيه إلا الحلال وليذكر الموت والبلى بكسر الباء من بلى الشيء إذا صار خلقا متفتتا يعني وليذكر صيرورته في القبر عظاما بالية ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فإنهما لا يجتمعان على وجه الكمال حتى للأقوياء فمن فعل ذلك أي جميع ما ذكر فقد استحيي من الله حق الحياء رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب قال النووي نقلا عن بعض الأكابر أنه يستحب الإكثار من ذكر هذا الحديث قلت وقريب منه ما روى ابن ماجه بسند حسن أنه أبصر جماعة يحفرون قبرا فبكى حتى بل التراب بدموعه وقال إخواني لمثل هذا فأعدوا وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله تحفة المؤمن الموت لأنه وسيلة السعادات الأبدية وذريعة الوصول إلى محضر القدس ومحفل الأنس فالنظر متوجه إلى." (٢)

"إشارة إلى ما ورد في قوله الاستحياء من الله أن يحفظ الرأس وما وعى والبطن ما حوى الحديث اه وهو معنى حسن وقيد مستحسن يزول به الإشكال السابق وبيانه **أن الحياء من الله هو** الذي خير كله وهو الذي لا يأتي إلا بخير وهو الذي لا ينفك عن الإيمان وأما الحياء من الخلق فالغالب فيه أيضا أن يكون محمودا فالحصر ادعائي أو كله محمودا لا إذا عارضه ترك

الحياء من الله فيترك جانبه من أداء الحقوق ويراعي جانب المخلوق فحينئذ يستحق ذلك الحياء أن لا يسمى حياء فالحياء كله خير والله أعلم وفي رواية أي لهما على ما هو ظاهر لكن في الجامع أسندها إلى مسلم وأبي داود الحياء خير كله قيل عام أريد به الخاص أي الحياء عن فعل ما لا يرضاه الله سبحانه متفق عليه وفي رواية الطبراني عن قرة الحياء هو الدين كله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/٣٦٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/٣٢٠

وعن أبي مسعود هو عقبة بن عمر الأنصاري شهد العقبة روى عنه ابنه بشير وخلق سواه قال ميرك وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط قال قال رسول الله إن مما أدرك الناس بالرفع نص الكازروني على أنه الرواية وفي بعض النسخ بالنصب أي مما وصل إليهم وظفروا به ولحقوه من كلام النبوة من تبعيضية والمعنى أن من جملة أخبار أصحاب النبوة الأولى أي السابقة من الأنبياء والمرسلين أضافه إليهم إعلاما بأنه من نتائج الوحي إذا لم تستحى بسكون الحاء وكسر الياء وحذف الثانية للجزم فاصنع ما شئت أي الرادع عما لا ينبغي هو الحياء فإذا لم يكن صدر كل ما لا ينبغي فالأمر بمعنى الخبر أو الأمر للتهديد وأنشد إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحى فاصنع ما تشاء فلا والله ما في العيش خير وفي الدنيا إذا ذهب الحياء قال الطيبي من في مما ابتدائية وهو خبر إن واسمه قوله إذا لم تستحى على تأويل أن هذا القول حاصل مما أدرك الناس والراجع إلى ما محذوف والناس فاعل أدرك وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال المعنى أن مما بقي بين الناس وأدركوه من كلام الأنبياء ويجوز أن يكون فاعل أدرك الضمير الراجع إلى." (١)

"عن زيد بن طلحة تابعي روى عنه سلمة بن صفوان الزرقي أخرج حديثه مالك في الحياء ذكره المؤلف قال قال رسول الله إن لكل دين خلقا أي مختصا به أو غالبا فيه وخلق الإسلام الحياء أي فيما شرع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع فيه كتعلم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالحق والقيام به وأداء الشهادات على وجهها كذا ذكره السيوطي وفيه أن ارتكاب المذكورات لا يخلو عن الحياء عن الحق وعدم الالتفات إلى الخلق على ما سبق تحقيقه وحقق طريقه فالحكم على عمومه من **استعمال الحياء من الله في** جميع الأحكام بأن يستحيي من فعل الآثام ومن ترك شعبة من شعب الإسلام بل ولا عبرة بالحياء من الأنام لا فعلا ولا تركا عند علماء الأعلام وفي النهاية الخلق الدين والطبع والسجية قلت المراد هنا السجية أي بمعنى الخصلة أي لكل دين سجية شرعت فيه وحض أهل ذلك الدين عليها قال الطيبي والمعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء والغالب على أهل ديننا الحياء لأنه متمم لمكارم الأخلاق وإنما بعث لإتمامها وقال يوما لأصحابه استحيوا من الله تعالى حق الحياء الحديث قلت الظاهر أن المعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء فإنه مختص بالغلبة لنا مع اشتراكنا لجميع الملل في سائر السجيات لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق بل الأظهر أن الأخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا وإنما كملت في ديننا ببركة نبينا ولذا قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس آل عمران الآية رواه مالك أي عن زيد بن طلحة مرسلا لأنه تابعي ورواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس وابن عباس أي." (٢)

"والثاني: ما كان مكتسَباً مِن معرفة الله ومعرفة عَظمته وقربه من عباده، واطِّلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا مِن أعلى خصال الإيمان بل هو مِن أعلى درجات الإحسان ...

وقد **يتولَّد الحياءُ من الله مِن** مطالعة نعمه ورؤية التقصير في شكرها، فإذا سُلب العبدُ الحياء المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة، فصار كأنَّه لا إيمان له)).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٣٧٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٣٩٩

٢ ـ مِمَّا يُستفاد من الحديث:

١ ـ أنَّ خلق الحياء من الأخلاق الكريمة المأثورة عن النبوات السابقة.

٢ ـ الحثُّ على الحياء والتنويه بفضله.

٣ ـ أنَّ فقدَ الحياء يوقع صاحبَه في كلِّ شر.

* * *

الحديث الواحد والعشرون

عن أبي عَمرو وقيل أبي عَمرة سفيان بن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله! قُل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ قال:

((قل آمنتُ بالله، ثم استقم)) رواه مسلم.

١ ـ أصحابُ رسول الله * أشدُّ الناس حرصاً على معرفة الدِّين، وهم أسبقُ إلى كلِّ خير، وهذا السؤال من سفيان بن عبد الله واضحٌ في ذلك؛ إذ سأل النَّبيَّ * هذا السؤال العظيم، الذي يريد جوابه جامعاً واضحاً لا يحتاج فيه إلى أحد بعد رسول الله *.." (١)

"٢٣ – قوله : (حدثنا عبد الله بن يوسف)

هو التنيسي نزيل دمشق ، ورجال الإسناد سواه من أهل المدينة .

قوله : (أخبرنا)

وللأصيلي حدثنا مالك ، ولكريمة بن أنس ، والحديث في الموطأ .

قوله : (عن أبيه)

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قوله : (مر على رجل)

لمسلم من طريق معمر " مر برجل " ومر بمعنى اجتاز يعدى بعلى وبالباء ، ولم أعرف اسم هذين الرجلين الواعظ وأخيه . وقوله " يعظ " أي ينصح أو يخوف أو يذكر ، كذا شرحوه ، والأولى أن يشرح بما جاء عند المصنف في الأدب من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة عن ابن شهاب ولفظه " يعاتب أخاه في الحياء " يقول : إنك لتستحي ، حتى كأنه يقول : قد أضر بك . انتهى . ويحتمل أن يكون جمع له العتاب والوعظ فذكر بعض الرواة ما لم يذكره الآخر ، لكن المخرج متحد ، فالظاهر أنه من تصرف الراوي بحسب ما اعتقد أن كل لفظ منهما يقوم مقام الآخر ، و " في " سببية فكأن الرجل كان كثير الحياء فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه ، فعاتبه أخوه على ذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " دعه " أي : اتركه على هذا الخلق السني ، ثم زاده في ذلك ترغيبا لحكمه بأنه من الإيمان ، وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جر له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق ، لا سيما إذا كان المتروك له مستحقا . وقال ابن قتيبة : معناه أن الحياء

---

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، ص/٦٦

يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان ، فسمي إيمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه . وحاصله أن إطلاق كونه من الإيمان مجاز ، والظاهر أن الناهي ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان ، فلهذا وقع التأكيد ، وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية في نفسها مما يهتم به وإن لم يكن هناك منكر . قال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبيح ، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالبهيمة . وهو مركب من جبن وعفة فلذلك لا يكون المستحي فاسقا ، وقلما يكون الشجاع مستحيا ، وقد يكون لمطلق الانقباض كما في بعض الصبيان . انتهى ملخصا .

وقال غيره : هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره ، أعم من أن يكون شرعيا أو عقليا أو عرفيا ، ومقابل الأول فاسق والثاني مجنون والثالث أبله . قال : وقوله صلى الله عليه وسلم " الحياء شعبة من الإيمان أي : أثر من آثار الإيمان ، وقال الحليمي : حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه ، وقال غيره : إن كان في محرم فهو واجب ، وإن كان في مكروه فهو مندوب ، وإن كان في مباح فهو العرفي ، وهو المراد بقوله " الحياء لا يأتي إلا بخير " . ويجمع كل ذلك أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع إثباتا ونفيا ، وحكي عن بعض السلف : رأيت المعاصي مذلة ، فتركتها مروءة ، فصارت ديانة . وقد **يتولد الحياء من الله تعالى** من التقلب في نعمه فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته ، وقد قال بعض السلف : خف الله على قدر قدرته عليك . واستحي منه على قدر قربه منك . والله أعلم .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩٦ """""""

وكان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم لا يقيم صلبه حياء من الله عز وجل (٢٨٤) .

قال بعض السلف : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحيي منه على قدر قربه منك . وقد **يتولد الحياء من الله من** مطالعة النعم فيستحيي العبد من الله أن يستعين بنعمته على معاصيه ، فهذا كله من أعلى خصال الإيمان .." (٢)

"(الحياء والايمان مقرونان لا يفترقان الا جميعا) أي كأنهما رضيعا لبان ثدي أو تقاسما أن لا يفترقا قال بعضهم لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ولا فعله حتى ترضى عقله ولا عقله حتى ترضى حياءه وقال بشار

واعرض عن مطاعم قد أراها

فأتركها وفي بطني انطواء

فلا وأبيك ما في العيش خير

ولا الدنيا اذا اذهب الحياء

(طس عن أبي موسى) (باسناد ضعيف)

(الحياء والايمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) أي معظمه أو كماله (حل ك هب عن ابن عمر) (صحيح غريب لكن في رفعه خلف)

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٩/١

(٢) فتح الباري - لابن رجب موافقا للمطبوع، ٩٦/١

(الحياء هو الدين كله) لان مبتداه ومنتهاه يقضيان إلى ترك القبيح وتركه خير لا محالة (طب عن قرة) بالضم ابن اياس (باسناد ضعيف)

(الحياء خير كله) لما تقرر فيما قبله ولان من استحيا كان خاشع القلب لله تعالى متواضعا قد برئ الكبر ونحوه وقالوا لا يزال الوجه كريما ما دام حياؤه ولم يرق باللجاج ماؤه وقالوا حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه (م د ن عن عمر أن بن حصين)

(الحياء لا يأتي إلا بخير) لان من استحيا من الناس أن يروه يفعل قبحا دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يهمل فرضا ولا يعمل ذنبا قال بعضهم الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد الفضل الصريح وسمة الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه نظم قلائد المحامد ونسق وجمع من خلال الكمال ما افترق وهو اسم جامع يدخل **فيه الحياء من الله لان** ذمه فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح (ق عن عمران بن حصين)

(الحياء من الايمان) لانه يمنع من المعاصي كما يمنع الايمان (والايمان في الجنة) أي يوصل اليها (والبذاء) بذال معجمة ومد الفحش في القول (من الجفاء) بالمد أي الطرد والاعراض وترك الصلة (والجفاء في النار) وهل يكب الناس في النار الا حصائد ألسنتهم (ت ك هب عن أبي هريرة خده ك هب عن أبي بكرة) بفتحات (طب هب عن عمران بن حصين) ورجاله ثقات

(١) ".

"(ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا) بالموت (الا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة الى روح الدنيا) بفتح الراء سعتها ونسيمها والمراد بالمؤمن هنا الكامل كما يفيده قول مخرجه الحكيم عقب الحديث فامؤمن البالغ في ايمانه الدنيا سجنه قال وهذا غير موجود في العامة انتهى (واعلم ان) للنفس أربعة دور كل دار منها أعظم من التي قبلها الاولى بطن الام وذلك الحصر والغم والضيق والظلمات الثلاث الثانية هذه الدار التي نشأت فيها واكتسبت فيها الخير والشر الثالثة دار البرزخ وهي أوسع من هذه وأعظم ونسبة هذه الدار اليها كنسبة الاولى الى هذه الرابعة الدار التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار (الحكيم عن أنس) بن مالك

(ما شد سليمان) نبي الله (طرفه الى السماء) أي ما رفع بصره اليها وحدقه (تخشعا حيث أعطاه الله ما أعطاه) من الحكم والعلم والنبوة والملك فكان لذلك **عظيم الحياء من الله جدا** ومقصود الحديث بيان أن شأن أهل الكمال أنه كلما عظمت نعمة الله على أحد اشتد حياؤه وخوفه منه (ابن عساكر عن ابن عمرو) بن العاص باسناد ضعيف

(ما صبر أهل بيت على جهد) شدة جوع (ثلاثا) من الايام (الا أتاهم الله برزق) من حيث لا يحتسبون لان ذلك اختبار من الله فاذا انقضت الثلاثة أيام المحنة آتاهم الله ما هو مضمون لهم (الحكيم) الترمذي (عن ابن عمر) باسناد ضعيف

(ما صدقة أفضل من ذكر الله) أي مع رعاية تطهير القلب عن مرعى الشيطان وقوته وهو الشهوات (طس عن ابن

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ١/١٠٣٥

عباس) باسناد صحيح وقول المؤلف حسن تقصير

(ما صف صفوف ثلاثة من المسلمين على ميت) أي في الصلاة عليه (الا أوجب) أي غفر له كما صرحت به رواية الحاكم (هـ ك عن مالك بن هبيرة) السكوني

(ما صلت امرأة صلاة أحب الى الله من صلاتها في أشد بيتها ظلمة) لتكامل سترها من نظر الناس مع حصول الاخلاص وانتقاء الرياء (هق عن ابن مسعود) واسناده حسن

". (١)

"وفي حديث مرسل : " استحيي من الله كما تستحيي من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك " ، وروى موصولا (١) . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كشف العورة خاليا ، فقال : " الله أحق أن يستحيي منه (٢) . وفي حديث ابن مسعود المرفوع : " الاستحياء من الله : أن تحفظ (٣) الرأس وما وعي والبطن وما حوى وأن تذكر (٤) الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء " . خرجه الترمذي وغيره (٥) . وخرج البخاري في " تفسيره " (٦) عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ﴾ [هود : ٥] أنها نزلت في قوم كانوا يجامعون نساءهم ويتخلون فيستحيون من الله فنزلت الآية .

وكان الصديق يقول : استحيوا من الله ؛ فإني أذهب إلى الغائط فأظل متقنعا بثوبي حياء من ربي عز وجل (٧) . وكان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم لا يقيم صلبه حياء من الله عز وجل (٨) .

قال بعض السلف : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحيي منه على قدر قربه منك . وقد **يتولد الحياء من الله من** مطالعة النعم فيستحيي العبد من الله أن يستعين بنعمته على معاصيه ، فهذا كله من أعلى خصال الإيمان .

فصل

قال البخاري :

١٢- باب (٩)

من الدين الفرار من الفتن

---

(١) أخرجه الطبراني في " الكبير " (٨ / ٢٢٩) ، من طريق أبي عبد الملك علي بن يزيد الألهاني ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعا . وقال ابن معين : علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة : هي ضعاف كلها . وانظر " جامع العلوم " (١ / ١٠٦) .

(٢) علقه البخاري في كتاب " الغسل " باب (٢٠) " من اغتسل عريانا وحده في الخلوة " قبل حديث (٢٧٨) ، وأخرجه أبو داود (٤٠١٧) والترمذي (٢٧٩٤) ، وأحمد (٥ / ٤) والحاكم في " مستدركه " (٤ / ١٧٩) .

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ٢/٦٨٠

(٣) في " ف " بنقط الفاء فقط ، وما أثبتناه من الرواية .

(٤) في الرواية : " ولتذكر " .

(٥) الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد (١ / ٣٨٧) من طريق الصباح بن محمد ، عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود . والصباح ضعيف ، واستنكروا عليه هذا الحديث ، وصوبوا وقفه على ابن مسعود وانظر " جامع العلوم " (١ / ٢٨٨) .

(٦) فتح : ٤٦٨١) .

(٧) " الزهد " لابن المبارك ــ ص : ١٠٧) وانظره في " علل الدار قطني " (١ / ١٨٦) .

(٨) أخرجه أحمد في " الزهد " (ص : ٢٤٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في " الحلية " (١ / ٢٦٠) .

(٩) هذا الباب لم يأت في ترتيبه فجاء بين الباب (١٦) والباب (١٨) وعليه فيكون سقط من الترتيب والنسخة " ف " : الباب (١٧) وحديثه رقم (٢٥) .." (١)

" ٩٧٣ – (استحيوا من الله حق الحياء) بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد ويقرر علمه فيعيش غنيا بالله ما عاش

قال البيضاوي : ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول . وقال سفيان بن عيينة : الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء ؟ (من استحيي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أي رأسه (وما وعى) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا [ص ٤٨٨] فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أي وما جمعه باتصاله من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يوازيه شيء وعبر في الأول بوعي وفي الثاني يحوي للتفنن

قال الطيبي : جعل الرأس وعاء وظرفا لكل مالا ينبغي من رزائل الأخلاق كالفم والعين والأذن وما يتصل بها وأمر أن يصونها كأنه قيل كف عنك لسانك فلا تنطق به إلا خيرا . ولعمري أنه شطر الإنسان قال الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده . . . فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولهذا سيجيء في خبر من صمت نجا . ولم يصرح بذكر اللسان ليشمل ما يتعلق بالفم من أكل الحرام والشبهات وكأنه قيل : وسد سمعك أيضا عن الإصغاء إلى ما لا يعنيك من الأباطيل والشواغل واغضض عينك عن المحرمات والشبهات ولا تمدن عينيك إلى ما تمتع به الكفار كيف لا وهو رائد القلب الذي هو سلطان الجسد ومضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ؟ وهنا نكتة وهي عطف ما وعى على الرأس فحفظ الرأس مجملا عبارة عن التنزه عن الشرك فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا ولا يرفعه تكبرا على عبادة الله وجعل البطن قطبا يدور على سرية الأعضاء من القلب والفرج واليدين والرجلين . وفي عطف وما حوى على البطن إشارة إلى حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح وقد تضمن ذلك كله قوله (وليذكر الموت والبلى) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضاؤه متمزقة هان عليه ما فاته من

---

(١) فتح الباري لابن رجب، ١/٥٢

اللذات العاجلة وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه وهذا معنى قوله (ومن أراد الآخرة) أي الفوز بنعيمها (ترك زينة الدنيا) لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح وقرة عين الإنسان والدنيا خلقت لمرافق النفوس وهما ضرتان : إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته وعلى عاتقه جيفة والملك بينه وبين الدار عليه طريقه وبين يديه ممره وسلوكه فكيف يكون حياؤه منه ؟ فكذا مريد الآخرة مع تمسكه بالدنيا فإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فكيف بمن أراد من ليس كمثله شيء ؟ فمن أراد الله فليرفض جميع ما سواه استحياء منه بحيث لا يرى إلا إياه (فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) قال الطيبي : المشار إليه بقوله ذلك جميع ما مر فمن أهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء وظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلى قدمه ظاهره وباطنه معدن العيب ومكان المخازي وأنه تعالى هو العالم بها

فحق الحياء أن يستحيي منه ويصونها عما يعاب فيها . وأصل ذلك ورأسه ترك المرء ما لا يعنيه في الإسلام وشغله بما يعينه عليه فمن فعل ذلك أورثه الاستحياء من الله . والحياء مراتب : أعلاها الاستحياء من الله تعالى ظاهرا وباطنا وهو مقام المراقبة الموصل إلى مقام المشاهدة . قال في المجموع عن الشيخ أبي حامد : يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث بحيث يصير نصب عينيه والمريض أولى

(حم ت ك هب عن ابن مسعود) قال قال النبي صلى الله عليه و سلم ذات يوم لأصحابه استحيوا من الله قالوا إنا نستحي من الله يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ إلخ . صححه المؤلف اغترارا بتصحيح الحاكم وتقرير الذهبي له في التصحيح وليس هو منه بسديد مع تعقبه هو وغيره كالصدر المناوي له بأن فيه أبان بن إسحاق . قال الأزدي تركوه لكن وثقه العجلي عن الصباح بن مرة . قال في الميزان : والصباح واه وقال المنذري رواه الترمذي وقال غريب فعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح قال - أعني المنذري - وأبان فيه مقال والصباح مختلف فيه وتكلم فيه لرفعه هذا الحديث وقالوا : الصواب موقوف والترمذي قال لا يعرف إلا من هذا الوجه ." (١)

" ٣٣٤٩ - (تفكروا في خلق الله) قال الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد (ولا تفكروا في الله) فإنه لا تحيط به الأفكار قالوا : كان الرجل من بني إسرائيل إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته سحابة ففعله رجل فلم تظله فشكى لأمه فقالت : لعلك أذنبت قال : لا قالت : فهل نظرت إلى السماء فرددت طرفك غير مفكر فيها قال : نعم قالت : من ههنا أتيت فعلى العاقل أن لا يهمل التفكر ومن الجوائز أن تروح غدا مع الجائز فالحازم لا يترك مسارح [ص ٢٦٤] النظر ترقد ولا تكرى إلا وهو يقظان الفكر نهار يحول وليل يزول وشمس تجري وقمر يسري وسحاب مكفهر وبحر مستطر وخلق تمور ووالد يتلف وولد يخلف ما خلق الله هذا باطلا وأن بعد ذلك أثوابا وأحقابا وحشرا ونشرا وثوابا وعقابا قال الروذباذي : التفكر على أربعة أنحاء فكرة في آيات الله وفكرة في خلقه وعلامتها تولد المحبة وفكرة في

---

(١) فيض القدير، ٤٨٧/١

وعد الله بثواب وعلامتها تولد الرغبة وفكرة في وعيده بالعذاب وعلامته تولد الرهبة وفكرة في جفاء النفس مع إحسان الله وعلامتها **تولد الحياء من الله**

(حل عن ابن عباس) قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما تفكرون قالوا : نتفكر في الله فذكره قال الهيثمي : فيه الوزاع متروك شيخه العراقي سنده ضعيف جدا قال : ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه أصح من هذا وقال السخاوي : هذه الأحاديث أسانيدها كلها ضعيفة لكن اجتماعها يكسب قوة ." (١)

" ٣٨٥٩ - (الحياء) بالمد وسبق تعريفه وأنه غريزي أصلا واكتسابي كمالا (من الإيمان) أي من أسباب أصل الإيمان وأخلاق أهله تمنع من الفواحش وتحمل على البر والخير كما يمنع الإنسان صاحبه من ذلك فعلم أن أول الحياء **وأولاه الحياء من الله وهو** أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة

(م ت عن ابن عمر) بن الخطاب قال : مر رسول الله صلى الله عليه و سلم برجل يعظ أخاه في الحياء أي في تركه فقال دعه ثم ذكره وكلام المصنف كالصريح في أن ذا مما تفرد به مسلم عن صاحبه وهو ذهول فقد عزاه هو في الدرر إلى الشيخين معا من حديث ابن عمر وعزاه لهما أيضا في الأحاديث المتواترة وذكر أنه متواتر ." (٢)

"والصحيح : ما صار إليه أبو سليمان الخطابي وغيره : أنها منحصرة في علم الله تعالى ، وعلم رسوله . صلى الله عليه وسلم . ، وموجودة في الشريعة ، مفصلة فيها ، غير أن الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الأبواب ، ولا عين لنا عددها ، ولا كيفية انقسامها ، وذلك لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا في عملنا ؛ إذ كل ذلك مفصل مبين في جملة الشريعة ، فما أمرنا بالعمل به ، عملنا به ، وما نهينا عنه انتهينا ، وإن لم نحط بحصر أعداد ذلك ، والله تعالى أعلم.

و الحياء : انقباض وحشمة يجدها الإنسان من نفسه عندما يطلع منه على ما يستقبح ويذم عليه ، وأصله غريزي في الفطرة ، ومنه مكتسب للإنسان ؛ كما قال بعض الحكماء في العقل :

رأيت العقل عقلين

فمطبوع ومصنوع

ولا ينفع مصنوع

إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع العين

وضوء الشمس ممنوع

وهذا المكتسب : هو الذي جعله الشرع من الإيمان ، وهو الذي يكلف به.

وأما الغريزي : فلا يكلف به ؛ إذ ليس ذلك من كسبنا ، ولا في وسعنا ، ولم يكلف الله نفسا إلا وسعها ؛ غير أن هذا

---

(١) فيض القدير، ٢٦٣/٣

(٢) فيض القدير، ٤٢٦/٣

الغريزي يحمل على المكتسب ، ويعين عليه ؛ لذلك قال : الحياء لا يأتي إلا بخير ، والحياء خير كله.

وأول الحياء وأولاه : **الحياء من الله تعالى** ، وهو ألا يراك حيث نهاك ، وذلك لا يكون إلا عن معرفة بالله تعالى كاملة ، ومراقبة له حاصلة ، وهي المعبر عنها بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ___" (١)

"والصحيح : ما صار إليه أبو سليمان الخطابي وغيره : أنها منحصرة في علم الله تعالى ، وعلم رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وموجودة في الشريعة ، مفصلة فيها ، غير أن الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الأبواب ، ولا عين لنا عددها ، ولا كيفية انقسامها ، وذلك لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا في عملنا ؛ إذ كل ذلك مفصل مبين في جملة الشريعة ، فما أمرنا بالعمل به ، عملنا به ، وما نهينا عنه انتهينا ، وإن لم نحط بحصر أعداد ذلك ، والله تعالى أعلم.

و الحياء : انقباض وحشمة يجدها الإنسان من نفسه عندما يطلع منه على ما يستقبح ويذم عليه ، وأصله غريزي في الفطرة ، ومنه مكتسب للإنسان ؛ كما قال بعض الحكماء في العقل :

رأيت العقل عقلين

فمطبوع ومصنوع

ولا ينفع مصنوع

إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع العين

وضوء الشمس ممنوع

وهذا المكتسب : هو الذي جعله الشرع من الإيمان ، وهو الذي يكلف به.

وأما الغريزي : فلا يكلف به ؛ إذ ليس ذلك من كسبنا ، ولا في وسعنا ، ولم يكلف الله نفسا إلا وسعها ؛ غير أن هذا الغريزي يحمل على المكتسب ، ويعين عليه ؛ لذلك قال : الحياء لا يأتي إلا بخير ، والحياء خير كله.

وأول الحياء وأولاه : **الحياء من الله تعالى** ، وهو ألا يراك حيث نهاك ، وذلك لا يكون إلا عن معرفة بالله تعالى كاملة ، ومراقبة له حاصلة ، وهي المعبر عنها بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك. " (٢)

" | فكذلك من استحى من الله عز وجل استحي منه خاصة الله عز وجل وخالصته من | خلقه ، ألا يرى أن النبي – [ ] – لما دخل عليه عثمان – رضي الله | عنه – وفخذه مكشوفة غطاها حياء من عثمان وقال : ' الا استحي

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١/١٤٤

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١/١٣٥

ممن تستحي منه | الملائكة ' . | | والحياء حياءان ، حياء من الله تعالى ، وحياء من الناس ، فالحياء من الله تعالى ما | قاله النبي - [ ] - ووصفه فيما : | |

حدثنا حاتم بن عقيل ، قال : ح يحي بن إسماعيل ، قال : ح يحي الحماني ، | قال : ح مروان بن معاوية ، ويعلى بن عبيد ، عن ابان بن اسحق ، عن الصباح بن | محمد ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - [ ] - | - : ' استحيوا من الله تعالى حق الحياء ' قلنا يا رسول الله - [ ] - إنا | نستحي ، قال : ' ليس ذلك ولكن من استحى من الله تعالى حق الحياء فليحفظ الرأس | وما حوى ، وليحفظ البطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة فليترك | زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله تعالى حق الحياء ' . | | قال الشيخ الإمام الزاهد - رحمه الله - **فهذا الحياء من الله تعالى** وسنفسره فيما | بعد إن شاء الله تعالى ، أما الحياء من الناس فهو أن يتحصن عن إتيان ما يشينه وهو | يجمع الأخلاق الحسنة ، ويحجز عن مساويها وقد قال النبي - [ ] - : | ' إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ' . |

". (١)

" | يحرمه ، ويتعالى عن أن يرده ، وإن كان العبد لا يستوجب العطاء ، ولا يستأهل | العفو ، وكان جل وعز ساخطا عليه غير راض عنه ، فهو تعالى يتفضل من عنده فيعطي | من يستوجب الحرمان ، ويعفو عن من العقوبة كرما منه وتفضلا ، لأنه جل وعز | لا يرضى حرمان عبده وقد مد إليه يده سائلا منه مفتقرا إليه متعرضا بفضله مما لا | ينقصه ولا يؤده ، ويعفو بمن يستوجب العقوبة وهو غير راض عنه ، ولا قابل منه ، | وهو يفعل ذلك عمن تجل عنده قدره ويعظم لديه خطره ، وهو المؤمن به المصدق له | المقر له بالوحدانية ، المذعن له بالعبودية ، وإن كان يأتي من العصيان ما يستوجب به | العقوبة ، ومن الفعل ما يستحق به الحرمان فهو جل وعز يجل قدر عبده المؤمن أن يرد | يديه صفرا خائبتين وقد رفعهما إليه ، وهو جل وعز قد يعطي الكافر به ، والجاحد له | والمشرك معه غيره بعض ما يسأله كرما منه وفضلا ، ويؤخر عقوبته ، ولا يعاجله بها | إذا رفع إليه يديه ، وهو ساخط عليه مبغض له معرض عنه ، استدراجا له وإرادة السوء | به ، ولا لإجلاله ، ولا لقدره عنده وكرامته عليه بل لأنه جواد كريم متفضل حليم ، | قال الله تعالى : ^ (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق | منكم بربهم يشركون) ^ [النحل : ٥٣ - ٥٤] ، ومثله كثير . | | فإذا كان الله تعالى لا يرد يد من يرفعها إليه صفرا ، وهو له عاص ولأمره تارك ، | وعن أداء حقوقه معرض فما ظنك بمن يرفع إليه يديه مفتقرا إليه متذللا له معتذرا إليه | مقبلا عليه يسأله سؤال المضطرين ، ويدعوه دعاء الغريق ، ويتضرع لعفوه تعرض من لا | يستأهل لنفسه حالا لنفسه حالا ، ولا يرى لنفسه لا يرجو إلا فضله ، ولا يعتمد إلا | علي كرمه سبحان الكريم ذي الفضل العظيم . | | **فمعنى الحياء من الله تعالى** التكثر في الإعطاء من يستوجب

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/١٦٦

الحرمان عند سؤاله منه | ورفع يديه نحوه ، وترفعه وتعاليه تعالى عن حرمانه مما لا ينقصه عن عقوبته من | يستوجبها ، وقد تعرض لعفوه وامتناعه عن العقوبة والحرمان . والله أعلم . |

". (١)

"(الأسئلة والأجوبة) منها ما قيل لم جعل الحياء من الإيمان وأجيب بأنه باعث على أفعال الخير ومانع عن المعاصي ولكنه ربما يكون تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر وربما يكون غريزة لكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية فهو من الإيمان لهذا الثاني ما قيل إنه قد ورد الحياء لا يأتي إلا بخير وورد الحياء خير كله فصاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكيف يكون هذا من الإيمان وأجيب بأنه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز ومهانة وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازا لمشابهته الحياء الحقيقي وحقيقته خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحوه وأولى **الحياء الحياء من الله تعالى** وهو أن لا يراك الله حيث نهاك وذاك إنما يكون عن معرفة ومراقبة وهو المراد بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد خرج الترمذي عنه عليه السلام أنه قال استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي والحمد لله فقال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله تعالى حق الحياء أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء وقال الجنيد رؤية الآلاء أي النعم ورؤية التقصير يتولد بينهما حالة تسمى الحياء الثالث ما قيل لم أفرد الحياء بالذكر من بين سائر الشعب وأجيب بأنه كالداعي إلى سائر الشعب فإن الحي يخاف فضيحة

الدنيا وفظاعة الآخرة فينزجر عن المعاصي ويمتثل الطاعات كلها وقال الطيبي معنى إفراد الحياء بالذكر بعد دخوله في الشعب كأنه يقول هذه شعبة واحدة من شعبه فهل تحصى شعبه كلها هيهات ان البحر لا يغرف." (٢)

" الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون

والراغبون ثلاثة أقسام راغب في الله وراغب فيما عند الله وراغب عن الله فالمحب راغب فيه والعامل راغب فيما عنده والراضي بالدنيا من الآخرة راغب عنه ومن كانت رغبته في الله كفاه الله كل مهم وتولاه في جميع أموره ودفع عنه مالا يستطيع دفعه عن نفسهووقاه وقاية الوليد وصانه من جميع الآفات ومن آثر الله على غيره آثره الله على غيره ومن كان لله كان الله له حيث لا يكون لنفسه ومن عرف الله لم يكن شيء أحب إليه منه ولم تبق له رغبة فيما سواه إلا فيما يقربه إليه ويعينه على سفره إليه

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٢٩٠

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٤٧/١

ومن علامات المعرفة الهيبة فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وقال النبي أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية ومن عرف الله صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله واستوحش من الناس وأورثته **المعرفة الحياء من الله والتعظيم** له والإجلال والمراقبة والمحبة والتوكل عليه والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره وقيل للجنيد رحمه الله تعالى ." (١)

"وما أملك وله في أخرى ما ذنبي إن كان الخ اهـ (تخريجه) (ق وغيرهما) (١) (سنده) حدثنا سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن ابن ابي نجيح عن خالد بن حكيم بن حزام الخ (غريبه) (٢) أي من اشد الناس عذابا (تخريجه) (حب) وسنده صحيح ورجاله ثقات وصححه الحافظ للسيوطي (٣) (سنده) حدثنا وكيع ثنا هشام بن عروة عن أبيه (يعني عروة بن الزبير) عن هشام بن حكيم الخ (تخريجه) (ك) وسنده صحيح ورجاله من رجال الصحيحين باب (٤) (سنده) حدثنا محمد بن عبيد حدثنا ابان بن اسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود الخ (غريبه) (٥) قال البيضاوي ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لايرضاه من فعل وقول (٦) أي رأسه (وما حوى) أي جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر واللسان ونحو ذلك حتى لا يستعملها إلا فيما يحل (٧) اي وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الاعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله عز وجل (٨) أي الفوز بنعيمها (٩) أي لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح وقرة عين الإنسان والدنيا خلقت لمرافق النفوس وهما ضرتان إذا أرضيت احداهما غضبت الأخرى فمن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه استحياءا منه بحيث لا يرى إلا اياه (١٠) قال الطيبي المشار إليه بقوله ذلك جميع مامر فمن اهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء (تخريجه) (مذ ك هب) وأورده المنذري وقال رواه الترمذي وقال هذا حديث انما نعرفه من هذا الوجه من حديث ابان بن اسحاق عن الصباح بن محمد قال أعني المنذري وابان فيه مقال والصباح مختلف فيه وتكلم فيه لرفعه هذا الحديث وقالوا الصواب عن ابن مسعود موقوف والترمذي قال لا يعرف إلا من هذا الوجه اهـ (قلت) الجمهور على توثيق ابان وتضعيف الصباح (١١) (عن ابي هريرة الخ) هذا طرف من حديث تقدم بسنده وشرحه وتخريجه في باب شعب الايمان من كتاب." (٢)

"المذكورة في سنن أبي داود بين ضعف كثير مما سكت عنه ، فيكون ذلك خارجا عما يجوز العمل به ، وما سكتا عليه جميعا فلا شك أنه صالح للاحتجاج إلا في مواضع يسيرة قد نبهت على بعضها في هذا الشرح ، ومنها حديث أنس هذا ، فقد سكتا عنه جميعا مع أن فيه يزيد بن أبي نشبة ، وهو مجهول.

٦٠- قوله : (إذا زنى) أي أخذ وشرع في الزنا (العبد) أي المؤمن (خرج منه الإيمان) حمله بعضهم على ظاهرة وقال : يسلب الإيمان حال تلبس الرجل بالزنا ، فإذا فارقه وتاب عاد إليه. وقيل : المراد نور الإيمان وكماله. وقد تقدم أن الإيمان اسم

---

(١) روضة المحبين، ص/٤٠٦

(٢) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٨٥/١

لمجموع الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح. ونور الإيمان وكماله هي الأعمال الصالحة واجتناب المناهي ، فإذا زنى ذهب منه نوره وبقي صاحبه في الظلمة. وقيل : معناه خرج منه أعظم شعب الإيمان ، **وهو الحياء من الله تعالى**. أو يصير كأنه خرج ، إذ لا يمنع إيمانه عن ذلك كما لا يمنع من خرج منه الإيمان. وقال التوربشتي : هذا من باب الزجر والتهديد ، وهو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية والمروءة ثم فعل ما ينافي شيمته : عدم عند الرجولية والمروءة ، تعييرا أو تنكيرا لينتهي عما صنع ، واعتبارا وزجرا للسامعين لطفا بهم ، وتنبيها على أن

وكان فوق رأسه كالظلة ، فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان)) ، رواه الترمذي وأبو داود.

"الفصل الثالث "

٦١- (١٣) عن معاذ قال : أوصاني رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بعشر كلمات ، قال : ((لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ،

". (١)

"أي اتقوا الله حق تقاته (قالوا إنا نستحي من الله يا نبي الله) وفي المسند : قال قلنا يا رسول الله إنا نستحي ، وفي الترمذي : قلنا يا نبي الله إنا لنستحي. قال القاري : لم يقولوا حق الحياء اعترافا بالعجز عنه (والحمد لله) على توفيقنا به (قال ليس ذلك) أي ليس **حق الحياء من الله تعالى** ما تحسبونه (فليحفظ الرأس) أي عن استعماله في غير طاعة الله بأن لا تسجد لغيره ولا تصلي للرياء ولا تخضع به لغير الله ولا ترفعه تكبرا على عباد الله (وما وعى) من الوعي وهو الحفظ أي ما جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن عما لا يحل (وليحفظ البطن) أي عن أكل الحرام (وما حوى) أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب ، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي بل في مرضاة الله تعالى. قال الطيبي : أي ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه ، وقوله : عما لا يرضاه فليحفظ رأسه وما وعاه من الحواس الظاهرة والباطنة من السمع والبصر واللسان حتى لا يستعملها إلا في ما يحل والبطن وما حوى أي لا يجمع فيها إلا الحلال ولا يأكل إلا الطيب ، وقوله : ليس ذلك رد لحملهم الحياء على ما تعورف مطلقا لما ضم إليه من التقييد بقوله حق الحياء ولذلك أعادها في الجواب يعني حق الحياء ، أن لا يترك شيئا منها وما يتصل بها وما يتفرغ عليها إلا أن يتحرى ويقام به كما قال الله تعالى "اتقوا الله حق تقاته "[آل عمران : ١٠٢] قال صاحب الكشاف : أي واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا بالتقوى حتى لا تتركوا في المستطاع منها شيئا- انتهى. (وليذكروا الموت والبلى) بكسر الباء من بلى الشيء إذا صار خلقا متفتتا يعني وليذكر صيرورته في القبر عظاما بالية ، لأن من." (٢)

" (الرابعة والأربعون)

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٣٥٦/١

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٦٠٢/٥

أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت علي كثيرا فدلني على أن أشكرك كثيرا قال : اذكرني كثيرا فإذا ذكرتني كثيرا فقد شكرتني كثيرا وإذا نسيتني فقد كفرتني وقد ذكر البيهقي أيضا في شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام قال : قال موسى عليه السلام : يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطبا من ذكري قال : يارب إني أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها قال : وما هي ؟ قال : أكون جنبا أو على الغائط أو إذا بلت فقال : وإن كان قال : يا رب فما أقول ؟ قال تقول سبحانك وبحمدك وجنبني الأذي وسبحانك وبحمدك فقني الأذى

قلت قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه ولم تستثن حالة من حالة وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الأعتناء بالذكر وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم [بسم الله اللهم جنبنا الشيطان ما رزقتنا] وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب لأنه لا بد لقلبه من ذكر ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب إليه فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل :

(يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل)

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم وقال عبد الله بن أبي الهذيل : إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق ويحب أن يذكر على كل حال إلا على الخلاء

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة وهي من أجل الذكر فذكر كل حال بحسب ما يليق بها واللائق بهذه الحال التقنع **بثوب الحياء من الله تعالى** وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له لو بقي فيه لقتله فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال : يالها نعمة لو يعلم الناس قدرها وكان بعض السلف يقول : الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في منفعته وأذهب عني مضرته وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي من بها عليه وهي من أجل نعم الدنيا فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر فالذكر رأس الشكر وقال النبي صلى الله عليه و سلم لمعاذ [والله يا معاذ إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك] فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح ." (١)

"٩٣١ استبرءوهن بحيضة - يعني السبايا - (صحيح)

(ابن عساكر) عن أبي سعيد .

---

(١) الوابل الصيب، ص/٩٥

٩٣٢ استجيروا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق(صحيح)

(طب) عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص .

٩٣٣ استحيوا فإن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن

(حسن) (هق) عن خزيمة بن ثابت .

٩٣٤ استحيوا فإن الله لا يستحيي من الحق لا يحل مأتى النساء في حشوشهن (حسن) (سمويه) عن جابر .

٩٣٥ استحيوا من الله تعالى حق الحياء من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس و ما وعى و ليحفظ البطن و ما حوى و ليذكر الموت و البلا و من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء(حسن) (حم ت ك هب) عن ابن مسعود .

الشرح:

(استحيوا من الله حق الحياء) بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد ويقرر علمه فيعيش غنيا بالله ما عاش.قال البيضاوي: ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول. وقال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟ (من استحيي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أي رأسه (وما وعى) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أي وما جمعه باتصاله من القلب والفرج واليدين والرجلين، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يوازيه شيء وعبر في الأول بوعي وفي الثاني يحوي للتفنن.قال الطيبي: جعل الرأس وعاء وظرفا لكل مالا ينبغي من رزائل الأخلاق كالفم والعين والأذن وما يتصل بها وأمر أن يصونها كأنه قيل كف عنك لسانك فلا تنطق به إلا خيرا. ولعمري أنه شطر الإنسان قال الشاعر:." (١)

"إذاً هذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة....)

عكس هذا (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ....)

وعمل أهل النار ما هو ؟ المعاصي بمختلف أنواعها فهو مجتهد فيها طيلة عمره

(حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع) يعني في نهاية عمره يعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وهذا فضل من الله تعالى وإنما سبق عليه الكتاب أن يعمل بعمل أهل الجنة لوجود الدخيلة الطيبة في قلبه ومنها أن في قلبه شيء من محبة الله ومحبة رسوله وشيء من تقدير الشرع وشيء **من الحياء من الله عز** وجل فهذه الأشياء تكون سببا في أن يعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة مع أنه كان مسرفا على نفسه ولكن لما كان في قلبه هذه النوايا الحسنة كان مصيره الجنة ففي هذا أيضا تنبيه على أن الإنسان لا يجوز له أن يحتقر مسرفا على نفسه وأن يظن أن الله تعالى مهلك هذا فنقول لا تدري مادام في أهل الدنيا ربما يختم له بخاتمة الخير فيسبق عليه الكتاب فيدخل الجنة .

---

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ٤٣٢/١

إذا تبين لك معنى الجملتين الأخرتين في الحديث وأن كلا الجملتين تدل على أن الأعمال بالخواتيم وأن الإنسان لا يفخر بعمله إن كان يعمل صالحا فلينتظر حسن العاقبة وكذلك لا ييأس من روح الله إن كان يعمل السيئات بل ينتظر حسن العاقبة .

نعود إلى الإشارة إلى ما دل عليه هذا الحديث :

مما دل عليه الحديث عظم قدرة الله عز وجل ، والعلماء رحمهم الله حينما يذكرون هذا الحديث يتكلمون على مسألة فقهية وهي حكم إجهاض الجنين . هل يجوز إسقاطه إذا كان نطفة وهل يجوز إذا كان علقة وهل يجوز إذا كان مضغة أو بعد نفخ الروح فيع ؟ هذه المسألة فيها كلام كثير ونختصر القول فيها فنقول : قيل يجوز أن يسقط إذا كان نطفة يعني قبل تمام الأربعين الأولى أما بعد ذلك يعني بعد الأربعين إذا دخل في العلقة أو في التي بعدها مرحلة المضغة فإنه لا يجوز هذا لأنه دخل في مرحلة التكوين . مثال إذا بلغ ستون يوما هل يسقط ؟ لا يسقط .." (١)

"الحياء شعبة من شعب الإيمان

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) يقول العلماء على سبيل الإجمال: هذا الحديث يدل على أحد أمرين: الأمر الأول: إذا أردت أن تعمل شيئا فانظر هل هذا العمل يستحى منه عند الناس أم لا؟ فإن كان لا يستحى منه عند الناس فاصنعه، أي: أنه حسن وليس قبيحا، وهذا الوجه ضعيف.

الأمر الثاني: (إذا لم تستح) أي: إذا فقدت الحياء، وإذا لم يكن عندك هذه الخصلة وهذه الغريزة وهذا الخلق الفاضل، فحينئذ لا عليك، كأنه يقول: إذا لم يستح فحينئذ كل شيء لا يستنكر منه.

وجاء في حديث -وإن كان ضعيفا- : (إن الله إذا أراد هلاك عبد نزع منه الحياء فلا تلقاه إلا مقيتا ممقتا أو بغيضا مبغضا، فإذا كان مقيتا ممقتا نزع منه الأمانة، وإذا نزع منه الأمانة فلا تلقاه إلا خائنا مخونا، وإذا أصبح خائنا مخونا نزع منه الرحمة، فإذا نزع منه الرحمة أصبح غليظا مغلظا، وإذا أصبح غليظا مغلظا نزع من رقبته ربقة الإيمان فلا تراه إلا شيطانا ملعنا) وإن كان الحديث ضعيفا إلا أنهم يذكرونه في بيان نتائج عدم الحياء.

إذا الحياء هو رداء الكمال في الإنسان، ولذا جاء عنه صلى الله عليه وسلم: (الحياء شعبة من الإيمان) ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ينصح أخاه في الحياء يقول: أنت كثير الحياء وتترك العمل، كثير الحياء ويترتب عليه كذا، فقال له صلى الله عليه وسلم: (دعه! إن الحياء لا يأتي إلا بخير)وفي رواية: (الحياء خير كله) .

نعلم الحديث العام: (الحياء بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) والحياء شعبة من بضع وسبعين شعبة، إذا نظرنا إلى آثاره في العبد فما هي؟ ويقال في علاقة الحياء بالإيمان: إن حقيقة الحياء في العبد أول ما يجب عليه أن يكون أشد حياء من الله، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: يا رسول الله! إننا لنستحيي، قال: ليس ذاك، لكن الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن يذكر الموت والبلى) فإذا حفظ الرأس وما حوى، فماذا يحفظ في

---

(١) شرح الأربعين النووية وتتمة ابن رجب، ص/٢٣

الرأس؟ يحفظ العين من أن تنظر إلى محرم، ويحفظ الأذن من أن تسمع إلى محرم، ويحفظ اللسان من أن يغتاب أو يكذب أو يتكلم بمحرم، أو يتناول طعاما محرما أو شرابا محرما، فإذا حفظ الرأس بما فيه من أعضاء، وحفظ البطن وما حوى، وهذا كناية عما يتبع البطن مما فيه من اتصال غير مشروع، وهكذا، ويذكر الموت والبلى، وإذا تذكر الموت والبلى، وحفظ جوارحه من المعاصي فإنه حقا يعيش على حذر مما بين يديه، وإذا تذكر الموت وما وراء الموت عمل لليوم الآخر.

ومن هنا كان الحياء شعبة من الإيمان، ولذا جاء في الحديث المتقدم: (اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)وجاء في الحديث عند الترمذي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم الوصية فقال: (استحي من الله أشد مما تستحي من ذي المروءة من قومك) وقالوا: معنى ذلك: **حقيقة الحياء من الله أن** لا يراك حيث نهاك، وأن لا يفتقدك حيث أمرك، أمرك بالصوم فلا يفتقدك في الصيام، وتكون متفلتا مع المفطرين، أمرك بالصلاة فلا يفتقدك عندما يقول المؤذن: قد قامت الصلاة، نهاك عن السرقة، نهاك عن أكل مال الناس بالباطل فلا يراك تهتك الستر وتسرق المال، فلا يراك تغش وتدلس، وغريمك جاهل ومسكين لا يدري عن طرقك، أمرك بوفاء الكيل ونهاك عن تطفيفه، فإذا جاءك رجل لا يعرف شيئا إذا بك تستغل غشامته وجهالته، وتطفف الكيل وتبخس الوزن، ونسيت أن عليك رقابة من الله.." (١)

"**حقيقة الحياء من الله تعالى**

حقيقة الحياء من الله: مراقبة الله، وكما قالوا: أشد ما يكون الحياء لكي تشعر بذلك -كما ذكروا عن الجنيد رحمه الله- أن تتذكر نعم الله عليك، وتنظر شكرك لنعم الله، فإذا تذكر العبد ما أنعم الله به عليه أولا في ذاته، نعمة بصره، ونعمة سمعه، ونعمة ذوقه، ونعمة نطقه، ونعمة شمه، ونعمة بطشه وحركته، وكل ما أنعم عليه بذلك، فلينظر هل أدى شكر تلك النعم أم أنه قصر في شكرها؟ بل إنه تجاوز التقصير واستعمل نعمة الله في معصية الله.

أول ما يكون الحياء أن تعترف بنعم الله عليك، وتقدرها في نفسك، وتعظم عطاء الله عندك، ثم بعد ذلك تفكر فيم صرفت هذه النعم، هل هي في طاعة الله، أم في معصية الله؟ وكما جاء الحديث: (أنا والملأ في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، أرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد).

إذا: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) إذا أردت أن تفعل شيئا هل هذا الفعل قبيح يستقبحه الناس، وصاحب المروءة والإباء يستحي من الناس أن يفعل ما ينكرونه عليه؟ إذا الحياء يرد الشخص، فإذا نزع منه قناع الحياء لم يبق فيه خير، فربما الحيوانات تكون أشد امتناعا منه.

وعلى هذا يكون هذا الحديث كما قيل: يشمل جميع تعاليم الإسلام؛ لأن تعاليم الإسلام إما أمر بفعل واجب أو مندوب، أو نهي عن أمر محرم أو مكروه، وإذا كنت تفعل شيئا محرما أو مكروها هذا فعل يستحى منه، فإذا كنت لا تستحي فإنك ستفعل كل ما حرم الله وتقصر في كل ما أوجب الله عليك.." (٢)

"الحق لا سيما إن كان المتروك له مستحقا

---

(١) شرح الأربعين النووية، ٤/٤٦

(٢) شرح الأربعين النووية، ٥/٤٦

وقال ابن عيينة معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان فسمي إيمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه وحاصله أن إطلاق كونه من الإيمان مجاز والظاهر أن الناهي ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان فلهذا وقع التأكيد وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية نفسها مما يهتم به وإن لم يكن هناك منكر انتهى

قال القرطبي وزجره صلى الله عليه وسلم للواعظ لعلمه أن الرجل لا يضره كثرة الحياء وإلا فقد تكون كثرته مذمومة وعبر بعضهم في تفسير الوعظ بالعتاب واللوم بأنه بعيد من حيث اللغة فإن معنى الوعظ الزجر وبه فسره التيمي هنا ومعنى العتب الوجد يقال عتب عليه إذا وجد على أن الروايتين يدلان على معنيين جليلين ليس في واحد منهما حقا حتى يفسر أحدهما بالآخر غايته أنه وعظ أخاه في استعمال الحياء وعاتبه عليه والراوي حكى في إحدى روايتيه بلفظ الوعظ وفي الآخر بلفظ المعاتبة انتهى

والحافظ أبدى هذا احتمالا ثم استدرك عليه باتحاد المخرج وتفسير أحدهما بالآخر ليس للخفاء إنما هو للاتحاد فالروايات لا سيما المتحدة المخرج يفسر بعضها بعضا وإن سلم بعده لغة فلا معنى لهذا التعقيب سوى تسويد وجه الطرس بالتغبير في وجوه الحسان وفيه الحث على الحياء وأجله الاستحياء من الله قال بعض السلف خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك

وقال بعضهم رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فصارت دينا وقد **يتولد الحياء من الله تعالى** من التقلب في نعمه فيستحيي العاقل أن يستعين بها على معصيته

وأخرجه البخاري في الإيمان عن عبد الله بن يوسف عن مالك به وتابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عنده في الأدب من صحيحه وسفيان بن عيينة ومعمر عند مسلم ثلاثتهم عن ابن شهاب نحوه

١٢ ما جاء في الغضب (مالك عن ابن شهاب عن حميد) بضم الحاء (ابن عبد الرحمن بن عوف) مرسلا عند الأكثر ووصله مطرف عن مالك عن الزهري عن حميد عن أبي هريرة وأخرجه البخاري والترمذي عن أبي صالح عن أبي هريرة (أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) هو جارية بجيم وتحتية ابن قدامة بقاف مضمومة التيمي عم الأحنف بن قيس كما رواه ابن أبي شيبة وأحمد والحاكم من حديثه ووقع مثل سؤاله لأبي الدرداء عند الطبراني وغيره قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة ولسفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا نبي الله قل لي قولا أنتفع به وأقلل قال لا تغضب رواه الطبراني ولعبد الله بن عمر عند أحمد وأبي يعلى ولعثمان بن أبي العاصي عند غيرهم فالظاهر كما قال الولي العراقي أن السائل عن ذلك تعدد

". (١)

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٤/٣٢٤

"@ ١٦٦@فكذلك من استحى من الله عز وجل استحي منه خاصة الله عز وجل وخالصته من خلقه ، ألا يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه عثمان رضي الله عنه وفخذه مكشوفة غطاها حياء من عثمان وقال : الا استحي ممن تستحي منه الملائكة.

|والحياء حياءان ، حياء من الله تعالى ، وحياء من الناس ، فالحياء من الله تعالى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه فيما :

|حدثنا حاتم بن عقيل ، قال : حَدَّثَنا يحي بن إسماعيل ، قال : حَدَّثَنا يحي الحماني ، قال : حَدَّثَنا مروان بن معاوية ، ويعلى بن عبيد ، عن ابان بن اسحق ، عن الصباح بن محمد ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استحيوا من الله تعالى حق الحياء قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نستحي ، قال : ليس ذلك ولكن من استحى من الله تعالى حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، وليحفظ البطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة فليترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله تعالى حق الحياء.

|قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله **فهذا الحياء من الله تعالى** وسنفسره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، أما الحياء من الناس فهو أن يتحصن عن إتيان ما يشينه وهو يجمع الأخلاق الحسنة ، ويحجز عن مساويها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.." (١)

"@ ٢٩٠@يحرمه ، ويتعالى عن أن يرده ، وإن كان العبد لا يستوجب العطاء ، ولا يستأهل العفو ، وكان جل وعز ساخطا عليه غير راض عنه ، فهو تعالى يتفضل من عنده فيعطي من يستوجب الحرمان ، ويعفو عن من العقوبة كرما منه وتفضلا ، لأنه جل وعز لا يرضى حرمان عبده وقد مد إليه يده سائلا منه مفتقرا إليه متعرضا بفضله مما لا ينقصه ولا يؤده ، ويعفو بمن يستوجب العقوبة وهو غير راض عنه ، ولا قابل منه ، وهو يفعل ذلك عمن تجل عنده قدره ويعظم لديه خطره ، وهو المؤمن به المصدق له المقر له بالوحدانية ، المذعن له بالعبودية ، وإن كان يأتي من العصيان ما يستوجب به العقوبة ، ومن الفعل ما يستحق به الحرمان فهو جل وعز يجل قدر عبده المؤمن أن يرد يديه صفرا خائبتين وقد رفعهما إليه ، وهو جل وعز قد يعطي الكافر به ، والجاحد له والمشرك معه غيره بعض ما يسأله كرما منه وفضلا ، ويؤخر عقوبته ، ولا يعاجله بها إذا رفع إليه يديه ، وهو ساخط عليه مبغض له معرض عنه ، استدراجا له وإرادة السوء به ، ولا لإجلاله ، ولا لقدره عنده وكرامته عليه بل لأنه جواد كريم متفضل حليم ، قال الله تعالى : ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ [النحل : ٥٣ ٥٤] ، ومثله كثير.

|فإذا كان الله تعالى لا يرد يد من يرفعها إليه صفرا ، وهو له عاص ولأمره تارك ، وعن أداء حقوقه معرض فما ظنك بمن يرفع إليه يديه مفتقرا إليه متذللا له معتذرا إليه مقبلا عليه يسأله سؤال المضطرين ، ويدعوه دعاء الغريق ، ويتضرع لعفوه تعرض من لا يستأهل لنفسه حالا لنفسه حالا ، ولا يرى لنفسه لا يرجو إلا فضله ، ولا يعتمد إلا علي كرمه سبحان الكريم ذي الفضل العظيم.

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/١٦٦

فمعنى الحياء من الله تعالى التكثر في الإعطاء من يستوجب الحرمان عند سؤاله منه ورفع يديه نحوه ، وترفعه وتعاليه تعالى عن حرمانه مما لا ينقصه عن عقوبته من يستوجبها ، وقد تعرض لعفوه وامتناعه عن العقوبة والحرمان . والله أعلم.." (١)

"عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : ﴿ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهديكم . يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل واحد مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه ﴾ .

الفوائد التربوية :

الفائدة الأولى : يربي في نفس المسلم رحمة الله سبحانه وتعالى وهذا ظاهر في جميع ألفاظ الحديث .

الفائدة الثانية : **يورث الحياء من الله سبحانه** ، فمع غناه الكامل وعظمته إلّا أنه ينادي عباده بنداء لطيف لدعائه وعبادته واستغفاره .

الفائدة الثالثة : يزيد من محبته سبحانه في القلوب المؤمنة فمن لم يزدد محبة لله بعد هذا الحديث فليتهم قلبه لأن جميع ألفاظ الحديث ومعانيه تزكي المحبة في القلب وتحركها .

الفائدة الرابعة : يتوجه النداء في قوله " ياعبادي " إلى جميع البشر مؤمنهم وكافرهم ، إنسهم وجنهم ، فكلهم عباد لله عبوديه عامة .." (٢)

"الفائدة العاشرة: بين الحديث أسباب مغفرة الذنوب والخطايا، وهي ما يلي:-

١- الدعاء لقوله " ما دعوتني ".

٢- الرجاء لله سبحانه لقوله " ورجوتني ".

٣- الاستغفار في جميع الأوقات لقوله " ثم استغفرتني غفرت لك ".

٤- التوحيد لقوله " ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ".

الفائدة الحادية عشرة: دل على أن الإستغفار إذا تقبله الله واستجابة غفر الله لصاحبه ولو كانت ذنوبه عنان السماء.

الفائدة الثانية عشر: الحديث يفتح باب الأمل للمسرف على نفسه بالمعاصي، ولذلك جميع ألفاظ الحديث تدل على ذلك:-

---

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٢٩٠

(٢) تعليقات تربوية على الأربعين النووية، ص/٤٠

قوله " على ما كان منك ولا أبالي " وقوله " لو بلغت ذنوبك عنان السماء " وقوله " لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ". وكلها ألفاظ موجهة للمسرف على نفسه بالذنوب وغيره من باب أولى.

الفائدة الثالثة عشر: الإسلام لا يكبت النفس ويحطمها ولذلك عالج المذنب والمخطئ بفتح الأمل له وفتح باب المغفرة.

الفائدة الرابعة عشر: الحديث يربي الإنسان والناس جميعاً على التعلق بالله ورجائه والإنطراح بين يديه.

الفائدة الخامسة عشر: الحديث يبين ضعف الإنسان وكثرة ذنوبه، وعظم الله وسعة رحمته.

الفائدة السادسة عشر: دل الحديث على أن الإنسان لا غنى له عن ربه طرفه عين، فيحتاج إعانته ومغفرته وتوفيقه وهداه.

الفائدة السابعة عشر: فيه فضل التوحيد حيث يغفر الله لصاحبه ذنوبه وخطاياه لما قام بقلبه من توحيد الله وإخلاص العبادة له.

الفائدة الثامنة عشر: من تأمل الحديث وجد أنه يربي جانب الحياء من الله، فإذا تامل المؤمن ألفاظ الحديث وأن الله ينادي عباده، وفتح لهم باب المغفرة مع أنهم هم المحتاجون له، ومع ذلك يذنبون، لا شك أن ذلك يورث **المؤمن الحياء من الله سبحانه** وتعالى.." (١)

"ويمتثل كل طاعة، وأرفع **الحياء الحياء من الله وهو** ألا يراك حيث نهاك، وإنما ينشأ هذا من مراقبة ثابتة للحق والمعرفة به وهي مقام الإحسان. والإيمان لا يخرج عن فعل المأمور واجتناب المنهي، فلذا أفرد الحياء بالذكر لأن رتبته متوسطة بين الأعلى والأدنى.

ولما أشار إلى أعلى الشعب وأوسطها وأدناها ترك بيان الباقي للعلم به بالمقايسة إلى أحد تلك الثلاثة، فمن عرف تلك المقايسة فواضح، ومن لا فيلزمه الإيمان بعموم العدد وإن لم يعرف جميع أفراده، كما يجب الإيمان بالملائكة وإن جهلت أعيانهم وأسماؤهم، كذا في «شرح المشكاة» لابن حجر. وقال الدميري: إنما جعله بعض الإيمان. وسيأتي في الحياء وفضله بسط (متفق عليه) فيه نظر فإن قوله: «فأفضلها قول لا إله إلاالله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» لمسلم فقط، فيؤول كلامه على أن أصل الحديث بدون هذه الزيادة فيهما، وقد تنبه لذلك الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» فقال بعد إيراده باللفظ المذكور: أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه، ووقع لصاحب «المشكاة» كما وقع للمصنف واعترضه شارحها الشيخ ابن حجر المكي بما ذكر. ثم الإخبار عن الإيمان بأنه كذا وكذا شعبة من باب إطلاق الأصل وهو الإيمان على الفرع وهو الأعمال، والحقيقة أنها تنشأ عنه لا أنها هو (والبضع من ثلاثة إلى تسعة) تقديم التاء: أي: ما بينها هذا هو الأشهر وفيه حديث مرفوع «البضع ما بين الثلاث إلى التسع» رواه الطبراني وابن مردويه عن نياربن مكرم، وقيل: ما بين الثلاثة، وقيل: اثنين والعشرة، وقيل: من واحد إلى تسعة. وفي «القاموس»: هو ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس، أو ما بين الواحد إلى الأربعة، أو من أربع إلى تسع، أو هو سبع، وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع، لا يقال بضع وعشرون أو

---

(١) تعليقات تربوية على الأربعين النووية، ص/٧٧

يقال ذلك ا هـ (والشعبة) في اللغة (القطعة) والغصن من الشجر وفرع كل أصل، وأريد بها في هذا الحديث الخصلة أو الجزء: أي: الإيمان ذو." (١)

"ص -٢٧٠- أحكامه الدينية والكونية، فهو يرجع إلى الصبر على أوامره والصبر على ابتلائه، فليس فى الحقيقة قسما ثالثا، والله أعلم.

فقد تبين أن الصبر بجميع أقسامه أصل مقامات الإيمان، وهو أصل لكمال العبد الذى لا كمال له بدونه، ولا يذم منه إلا قسم واحد وهو الصبر عن الله [سبحانه] فإنه صبر المعرضين المحجوبين، فالصبر عن المحبوب أقبح شيء وأسوؤه، وهو الذى يسقط المحب من عين محبوبه، فإن المحب كلما كان أكمل محبة كان صبره عن محبوبه متعذرا.

الوجه العاشر: قوله: "الثالث الاصطبار، وهو التلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى. وهذا هو الصبر على الله وهو صبر العارفين". فيقال: الاصطبار افتعال من الصبر كالاكتساب والاتخاذ، وهو مشعر بزيادة المعنى على الصبر، كأنه صار سجية وملكة: فإن هذا البناء مؤذن بالاتخاذ والاكتساب، قال تعالى: ﴿فارتقبهم واصطبر﴾ [القمر: ٢٧]، فالاصطبار أبلغ من الصبر كما أن الاكتساب أبلغ من الكسب، ولهذا كان فى العمل الذى يكون على صاحبه، والكسب فيما له، قال تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] تنبيها على أن الثواب يحصل لها بأدنى سعى وكسب، وأن العقاب إنما هو باكتسابها وتصرفها وما تعانيه.

وإذا علم هذا فالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار الله سبحانه لا يخص الاصطبار، بل يكون مع الصبر ومع [التصبر]. ولكن لما كان الاصطبار أبلغ من الصبر وأقوى كان بهذا التلذذ والاستبشار أولى. والله أعلم

قاعدة: الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل، كما يحمى الوالد الشفيق [والده] عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد بالعذاب.

السبب **الثانى: الحياء من الله سبحانه**، فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه." (٢)

" قاعدة الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة

أحدها علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد بالعذاب

السبب **الثاني الحياء من الله سبحانه** فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع وكان حييا استحيي من ربه أن يتعرض لمساخطه

السبب الثالث مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك فإن الذنوب تزيل النعم ولا بد فما أذنب عبد ذنبا إلا زالت عنه نعمةمن الله بحسب ذلك الذنب فإن تاب وراجع رجعت إليه أو مثلها وإن أصر لم ترجع إليه ولا تزال الذنوب تزيل عنه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٣٥/٢

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ١٧١/٢٣

نعمة حتى تسلب النعم كلها قال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأعظم النعم الإيمان وذنب الزنا والسرقة وشرب الخمر وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها وقال بعض السلف أذنبت ذنبا فحرمت قيام الليل سنة وقال آخر أذنبت ذنبا فحرمت فهم القرآن وفي مثل هذا قيل

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وبالجملة فإن المعاصي نار النعم تأكلها كما تأكل النار الحطب عياذا بالله من زوال نعمته وتحويل عافيته

السبب الرابع خوف الله وخشية عقابه وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به وبكتابه وبرسوله وهذا السبب يقوى بالعلم ." (١)

(٣٤/٢"

ويمتثل كل طاعة، وأرفع **الحياء الحياء من الله وهو** ألا يراك حيث نهاك، وإنما ينشأ هذا من مراقبة ثابتة للحق والمعرفة به وهي مقام الإحسان. والإيمان لا يخرج عن فعل المأمور واجتناب المنهي، فلذا أفرد الحياء بالذكر لأن رتبته متوسطة بين الأعلى والأدنى.

ولما أشار إلى أعلى الشعب وأوسطها وأدناها ترك بيان الباقي للعلم به بالمقايسة إلى أحد تلك الثلاثة، فمن عرف تلك المقايسة فواضح، ومن لا فيلزمه الإيمان بعموم العدد وإن لم يعرف جميع أفراده، كما يجب الإيمان بالملائكة وإن جهلت أعيانهم وأسماؤهم، كذا في «شرح المشكاة» لابن حجر. وقال الدميري: إنما جعله بعض الإيمان. وسيأتي في الحياء وفضله بسط (متفق عليه) فيه نظر فإن قوله: «فأفضلها قول لا إله إلاالله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» لمسلم فقط، فيؤول كلامه على أن أصل الحديث بدون هذه الزيادة فيهما، وقد تنبه لذلك الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» فقال بعد إيراده باللفظ المذكور: أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه، ووقع لصاحب «المشكاة» كما وقع للمصنف واعترضه شارحها الشيخ ابن حجر المكي بما ذكر. ثم الإخبار عن الإيمان بأنه كذا وكذا شعبة من باب إطلاق الأصل وهو الإيمان على الفرع وهو الأعمال، والحقيقة أنها تنشأ عنه لا أنها هو (والبضع من ثلاثة إلى تسعة) تقديم التاء: أي: ما بينها هذا هو الأشهر وفيه حديث مرفوع «البضع ما بين الثلاث إلى التسع» رواه الطبراني وابن مردويه عن نيارين مكرم، وقيل: ما بين الثلاثة، وقيل: اثنين والعشرة، وقيل: من واحد إلى تسعة. وفي «القاموس»: هو ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس، أو ما بين الواحد إلى الأربعة، أو من أربع إلى تسع، أو هو سبع، وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع، لا يقال بضع وعشرون أو يقال ذلك ا هـ (والشعبة) في اللغة (القطعة) والغصن من الشجر وفرع كل أصل، وأريد بها في هذا الحديث الخصلة أو الجزء: أي: الإيمان ذو

(٣٥/٢)." (٢)

---

(١) طريق الهجرتين، ص/٤٠٨

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ٤٥٨/١

"المسلم عن غيره بالإخلاص العميق في الأخلاق التي يتصف بها، وبثبات هذه الأخلاق وديمومتها فيه، مهما تقلبت الأيام به وتغيرت الأحوال؛ ذلك أنها صادرة عن وجدان حي مرهف يستحيي من مقارفة الخيانة، وحياؤه من الله المطلع على الخبيء من أسراره، قبل حيائه من الناس المطلعين على الظاهر من أخباره، **وهذا الحياء من الله هو** مفرق الطريق بين أخلاق المسلم وأخلاق غير المسلم.

رفيق بالناس:

والمسلم الحق لطيف متأن رفيق بالناس، حين يحسن اللطف، ويستحب الرفق، وتحمد الأناة؛ ذلك أن اللطف والرفق والأناة خصال حميدة، يحبها الله في عباده المؤمنين، لأنها تكسب من تحلى بها دماثة الخلق، ورقة الجانب، وحسن العشرة، وتجعله قريبا من نفوس الناس، محببا إلى قلوبهم: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (١).

ولقد جاءت النصوص متضافرة متتابعة، تحبب في الرفق، وتحض عليه، وتؤكد أنه خلق عال ينبغي أن يسود مجتمع المسلمين، ويتصف به كل مسلم عاش في هذا المجتمع، ووعى أحكام دينه، واستنار بهديه اللألاء، وحسب المسلم أن يعلم أن الرفق من صفات الله تعالى العليا التي أحبها لعباده في الأمور كلها:

((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)) (٢).

---

(١) فصلت: ٣٤، ٣٥.

(٢) متفق عليه.." [١]

"والثانية: معرفة توجب الحياء من الله، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إليه، والأنس به، ومحبته، والإنابة إليه، والفرار من الخلق إليه.

وهذه أعلى المعارف وأعظمها، وتفاوت الخلق فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم.

وكل يعبد الله ويطيعه ويتلذذ بذلك بحسب تلك المعرفة، وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» أخرجه مسلم (١).

وأشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور في القلوب، وتفاوت أهلها في ذلك النور لا يحصيه إلا الله عز وجل.

فمن الناس من نور (لا إله إلا الله) في قلبه كالشمس .. ومنهم من نورها في قلبه كالقمر .. ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري .. ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم .. ومنهم من نورها في قلبه كالسراج المضيء .. وآخر

---

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/١٧٨

كالسراج الضعيف .. وهكذا.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوب المؤمنين من نور هذه الكلمة.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معه شبهة، ولا شهوة، ولا ذنبا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئا.

فأي شبهة، أو شهوة أو ذنب أو معصية دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا عند غفلته، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعاف مكسبه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).." [١]

"٥ – فتوحات القلب

قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين (٦٩)﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» متفق عليه (١).

القلب إذا خلا من الاهتمام بالدنيا، وتعلق بالآخرة، وتأهب للقدوم على الله عز وجل، فذلك أول فتوحه، وتباشير فجره.

فعند ذلك يتحرك قلب العبد لمعرفة ما يرضى به ربه منه، فيفعله ويتقرب به إليه، وينبعث لمعرفة ما يسخطه منه فيجتنبه.

فإذا تمكن العبد في ذلك، فتح الله له باب الأنس بالخلوة والوحدة، ومحبة الأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات، فلا شيء أشوق إليه من ذلك.

فإنها تجمع عليه قوى قلبه وإرادته وإقباله على ربه، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه، وتمزق شمله.

ثم يفتح له باب حلاوة العبادة، بحيث لا يكاد يشبع منها، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب، ونيل الشهوات.

ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه، وإذا سمعه هدأ قلبه كما يهدأ الصبي إذا أعطي ما هو شديد المحبة له.

ثم يفتح له باب شهود عظمة المتكلم به وجلاله، وكمال نعوته وصفاته، ومعاني خطابه، بحيث يستغرق قلبه في ذلك.

ثم يفتح له **باب الحياء من الله عز** وجل، وهو أول شواهد المعرفة، وهو نور يقع في القلب، يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه عز وجل، فيستحي منه في

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٧٣).." [٢]

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٠٩٦

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٣٠٠

"قلبه وجوارحه متحركة فيما يرضي ربه .. مجتنبة لما يسخطه .. وألذ شيء لديه خلوته بربه والقيام بين يديه.

مسبحا له تارة .. ومكبرا له تارة .. وحامدا له تارة .. ومستغفرا له تارة .. وسائلا له تارة ... ومعظما له تارة.

فإذا حصل له ذلك فتح له باب حلاوة العبادة، بحيث لا يكاد يشبع منها، إذ يجد فيها اللذة والراحة.

فإذا دخل في الصلاة ود أن لا يخرج منها؛ لأنه يناجي مولاه، ويعبد الله كأنه يراه.

ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله وتلاوته فلا يشبع منه.

ثم يفتح له باب شهود عظمة الله المتكلم به، وعظمة أسمائه وصفاته، وجلاله وجماله.

ثم يفتح له **باب الحياء من الله فيستحي** منه، ويرزق دوام المراقبة للرقيب.

ثم يفتح له باب الشعور بالقيومية، فيرى تقلبات الكون وتصاريف الوجود بيده سبحانه فيتخذه وكيلا، ويرضى به مدبرا وكافيا.

وهكذا يترقى من معرفة إلى معرفة، ومن عمل إلى آخر، ومن منزلة إلى منزلة، حتى يلقى ربه مجاهدا صابرا محتسبا.

ومعرفة الله عز وجل تقوم على ثلاثة أركان:

الهيبة .. والحياء .. والأنس.

فإذا عرف قدرة الله وقوته وعظمته وجلاله جاءت عنده صفة الهيبة.

وإذا عرف نعم الله عليه وعلى غيره مع قلة الشكر، وكثرة المعاصي، جاء عنده الحياء.

وإذا عرف لطف الله ورحمته، وكرمه وجوده، وإنعامه وإحسانه، جاء عنده الأنس بالله، والوحشة من الخلق.

وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان بالله، والمعرفة به،." (١)

"من الغافلين (٢٠٥)﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فلم يقل: ولا تكن من الناسين؛ لأن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهى عنه.

والذكر من حيث ما يذكر ثلاثة أنواع:

ذكر الله وأسمائه وصفاته ومعانيها والثناء على الله بها وتوحيد الله بها .. وذكر الأمر والنهي .. والحلال والحرام .. وذكر الآلاء والنعماء والإحسان.

وذكر الله تبارك وتعالى تارة يكون بالقلب واللسان وهو أعلى الدرجات .. وتارة يكون بالقلب وحده وهو في الدرجة الثانية .. وتارة يكون باللسان المجرد وهو في الدرجة الثالثة.

وذكر العبد لربه محفوف بذكرين من ربه له: ذكر قبله به صار العبد ذاكرا له، وذكر بعده به صار العبد مذكورا، كما قال سبحانه: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢)﴾ [البقرة: ١٥٢].

والذكر على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية، والمراد بالظاهر ما تواطأ عليه القلب واللسان.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٥٢٢/٢

فذكر الثناء: نحو سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وذكر الدعاء: نحو: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣)﴾ [الأعراف: ٢٣].

وذكر الرعاية: ما يستعمل لتقوية الحضور مع الله، وفيه رعاية لمصلحة القلب، وأنسه بالله، وثقته به كما قال سبحانه: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠].

فيشعر قلب العبد أن الله معنا، وأنه يرانا، وأنه يسمعنا.

فيتولد من ذلك الحياء من الله، والإقبال على طاعته، والبعد عن معصيته، ودوام ذكره وشكره.

الدرجة الثانية: الذكر الخفي، وهو الذكر بمجرد القلب بما يعرض له من." (١)

"عورته الباطنة كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

واللباس وستر العورة زينة للإنسان، وستر لعوراته الجسدية، كما أن التقوى لباس، وستر لعوراته النفسية كما قال سبحانه: ﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٢٦)﴾ [الأعراف: ٢٦].

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوآتها الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها.

والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى، ومن الحياء من الله، ومن الناس، والذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم لتأصيل هذه المحاولة، هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته .. ونزع زينته الداخلية والخارجية .. والتي صار بها إنسانا .. وهم الذين يريدون إسلام الإنسان لعدوه الشيطان .. ليتولى كشف سوأته.

إن العري فطرة حيوانية، ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من رتبة الإنسان، وإن رؤية العري جمالا هو كرؤية الكفر فلاحا، وذلك انتكاس في الذوق، والعقل البشري قطعا، والعري النفسي من الحياء والتقوى، وهو ما تجتهد فيه أقلام وأفلام أهل الباطل هو النكسة والردة إلى الجاهلية.

والتزود في السفر شأن العقلاء، فإن فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن سؤالهم أموالهم، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين هذا في سفر الدنيا.

وأما الزاد الحقيقي فهو زاد التقوى، الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم دائم أبدا كما قال سبحانه: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب (١٩٧)﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأهل الإيمان والتقوى هم الفائزون بالسعادة في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين." (٢)

"بالصبر عليها من الأجور كما قال سبحانه: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠)﴾ [الزمر: ١٠].

الرابع: معرفة العبد أن محبة الله معه كلما اتقى وصبر كما قال سبحانه: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦)﴾ [الأنفال:

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٦٩/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٩٦/٢

.[٤٦]
ومن كان الله معه فكل شيء معه، فكيف لا يجاهد المسلم نفسه على الصبر وهذه أجوره وبركاته ومنافعه؟
فبالصبر يسهل على العبد القيام بالطاعات، وأداء حقوق الله، وأداء حقوق عباده، وترك ما تنهاه نفسه من المحرمات، وبذلك يهون عليه الصبر عن جميع الشهوات، وجميع الشدائد في الأقدار والأوامر.
والصبر على ثلاث درجات:
الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد، إبقاء على الإيمان، وحذرا من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء.
فالإبقاء على الإيمان يبعث على ترك المعصية؛ لأنها لا بد أن تنقصه أو تذهب بهجته، أو تطفئ نوره، أو تضعف قوته.
وأما الحذر من الحرام فهو الصبر عن كثير من المباح حذرا من أن يسوقه إلى الحرام والشبهات.
والحياء يبعث عليه قوة المعرفة بالله، ومشاهدة معاني الأسماء والصفات.
وأحسن من ذلك أن يكون الباعث عليه وازع الحب، فيترك معصيته محبة له، وصاحب الحياء أحسن حالا من أهل الخوف؛ لأن **في الحياء من الله ما** يدل على مراقبته، وحضور القلب معه، ولأن فيه من تعظيم الله وإجلاله سبحانه ما ليس في وازع الخوف.
فمن وازعه الخوف قلبه حاضر مع العقوبة، ومن وازعه الحياء قلبه حاضر مع الله، والخائف مراع جانب نفسه وحمايتها، والمستحي مراع جانب ربه، وملاحظة عظمته، وكلا المقامين من مقامات أهل الإيمان.." (١)

"٣٨ - فقه الخشية

قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨].
وقال الله تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير (١٢)﴾ [الملك: ١٢].
مقام الخشية لله تبارك وتعالى جامع لمقام المعرفة بالله، والمعرفة بحق عبوديته، فمتى عرف العبد ربه، وعرف حقه، اشتدت خشيته له كما قال سبحانه: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨].
فالعلماء بالله وبأمره هم أهل خشيته كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «والله! إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي» أخرجه مسلم (١).
والعالم حقا كل من خشي الله فأطاعه بفعل أوامره وترك نواهيه كما قال سبحانه: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب (٩)﴾ [الزمر: ٩].
ومن علامات معرفة الله الهيبة، فكلما ازداد العبد معرفة بربه ازدادت هيبته له، وخشيته إياه.
ومن عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شي، وذهب عنه خوف كل مخلوق، وأنس بالله، واستوحش من غيره، وأورثته تلك المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال والمراقبة، والمحبة والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٩٤٥/٢

والتسليم لأمره.

والله تبارك وتعالى لا يخشاه إلا العلماء، ولا يكون عالما إلا من يخشاه، وما من عالم رباني إلا وهو يخشاه.

والعلم والخشية متلازمان، فإذا انتفى العلم انتفت الخشية، وإذا انتفت الخشية

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١١٠).." [١]

"ولقد ارتفع الإيمان في قلوب تلك العصبة المؤمنة حتى بلغت في سلوكها وأخلاقها وأعمالها ما تحار فيه العقول، وتأهلت بذلك لقيادة البشرية قيادة غير مسبوقة ولا ملحوقة.

والله سبحانه يعلم ضعف الإنسان، فجعل الحد الذي يصلح به للقيادة والذي ينال معه ما عند الله هو اجتناب كبائر الإثم والفواحش، لا صغائر الآثام والذنوب كما قال سبحانه: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧)﴾ [الشورى: ٣٧].

ورحمة الله واسعة، فتسع ما يقع من الإنسان من هذه الصغائر؛ لأنه أعلم بطاقته، وهذا فضل من الله، وسماحة ورحمة بهذا الإنسان، وذلك يوجب الحياء من الله، فالسماحة تخجل، والعفو يثير في القلب الكريم معنى الحياء من العفو.

ومن صفات تلك العصبة المختارة أنهم إذا ما غضبوا يغفرون، وتأتي هذه الصفة بعد الإشارة الخفية إلى سماحة الله مع الإنسان في ذنوبه وأخطائه، فتحبب في السماحة والمغفرة بين العباد.

والله عز وجل لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها فوق طاقتها، فهو يعلم أن الغضب انفعال بشري ينبع من فطرته، وهو ليس شرا كله، فالغضب لله ولدينه وللحق والعدل مطلوب وفيه الخير.

ومن ثم لا يحرم الغضب لذاته، ولا يجعله خطيئة، ولكنه في الوقت ذاته يدعوه ربه إلى أن يغلب غضبه، وأن يغفر ويعفو، ويحسب له هذه صفة مثلى من صفات الإيمان المحببة.

جاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: أوصني، قال: «لا تغضب». فردد مرارا، قال: «لا تغضب» أخرجه البخاري (١).

والرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يغضب لنفسه قط، إنما كان يغضب لله، فإذا غضب لله لم يقم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١١٦).." [٢]

"٥ – فقه الصبر عن المعاصي

قال الله تعالى: ﴿قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠)﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٤٢/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٠٥/٣

وقال تعالى: ﴿وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

الصبر له ثلاثة أركان:

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله المؤلمة.

وصبر العبد عن المعاصي ينشأ من أسباب عديدة:

منها الحياء من الله سبحانه عند المعصية، فهو يراه ويسمعه، فكيف يتعرض لمساخطه؟.

ومنها علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل، وهذا كاف في تركها، ولو لم يعلق عليها وعيد العذاب.

ومنها مراعاة العاقل نعم الله عليه، وإحسانه إليه.

فالذنوب تزيل النعم ولا بد، والمعاصي نار النعم تأكلها كما تأكل النار الحطب، وما أذنب عبد ذنبا إلا زالت عنه نعمة من نعم الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب ورجع رجعت إليه أو مثلها أو أكثر منها، وإن أصر لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة بعد نعمة، حتى تسلب النعم كلها.

وأعظم النعم الإيمان والطاعات، وذنب الزنا والسرقة وشرب الخمر يزيلها ويسلبها العبد.

ومن أسباب الصبر عن المعاصي محبة الله، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه، فإن المحب لمن يحب مطيع.." (١)

"فالقلب إذا خلا من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رئاسة أو صورة، وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة، والتأهب للقدوم على الله عز وجل، فذلك أول فتوحه وتباشير أنواره.

فعند هذا يتحرك قلب المؤمن لمعرفة ما يحبه الله ويرضاه فيفعله ويتقرب به إليه، وما يسخطه منه فيجتنبه، وهذا عنوان صدق إرادته، فكل من أيقن بلقاء الله وأنه سائله لا بد أن يتنبه لطلب معرفة معبوده والطريق الموصل إليه.

فإذا تمكن العبد في ذلك فتح له باب الأنس بالخلوة والوحدة، فذلك يجمع عليه قوى قلبه وإرادته، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه، فيأنس بها ويستوحش من الخلق.

ثم يفتح له باب حلاوة العبادة، فلا يكاد يشبع منها، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب ونيل الشهوات، فإذا أدخل في الصلاة ود أن لا يخرج منها.

ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه، وإذا سمعه هدأ قلبه كما يهدأ الصبي إذا أعطي الحلوى.

ثم يفتح له باب شهود عظمة الله المتكلم به، وعظمة جلاله وكماله وصفاته بحيث ينسيه ذلك كل ما سواه.

ثم يفتح له باب الحياء من الله، وهو أول مشاهد المعرفة، وهو نور يقذفه الله في القلب يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي الله عز وجل، فيستحي منه في جميع أحواله، ويرزق عند ذلك دوام المراقبة للرقيب، ودوام التطلع إلى الملك العلي الأعلى

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٩٥٥/٤

كأنه يراه ويشاهده فوق سماواته، مستويا على عرشه، ناظرا إلى خلقه، سامعا لأصواتهم، فعند ذلك تزول عنه هموم الدنيا وما فيها، فهو في وجود والناس في وجود آخر، هو في وجود بين يدي ربه ووليه، ناظر إليه بقلبه، والناس في حجاب عالم الشهادة في الدنيا.

ثم يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية، فيرى تصريف وتدبير جميع الكائنات." (١)

"دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قف واعلم

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "استحيوا من الله حق الحياء" قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: "ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى" [رواه الترمذي].

١ – حفظ الرأس وما حوى يكون بالبعد عن سماع المحرمات كالغيبة والنميمة، وبالتفكر في الكون، وغض البصر.

٢ – حفظ البطن وما حوى يكون بشكر الله على نعمه والالتزام بالسنة وتحرى الحلال في المأكل والمشرب والامتناع عن كثرة الضحك.

٣ – ذكر الموت والبلى يكون بتذكر أحوال الموتى والاتعاظ بهم.

وصية

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأحد أصحابه: "أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك" رواه الطبراني.

وقال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك واستحى منه على قدر قربه منك.

إني استحييت من ربي

لما عرج برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى السماء فرض الله على أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، وفي طريق العودة مر النبي – صلى الله عليه وسلم – على سيدنا موسى في السماء السادسة فراجعه حتى قال الرسول: "إني استحييت من ربي".

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٤٢٠/٤

ثلاث خصال

سئل أحد الصالحين عن معنى الحياء من الله، **فقال: الحياء من الله يكون** في ثلاث خصال:." [1]

"وزوال الحياء من الله، وهذا معروف مُشاهد، والإيمان الصحيح الصادق، يصحبه الحياء من الله، والحبّ له، والرّجاء القويّ لثوابه، والخوف من عقابه، ورغبته في اكتساب النور، وهذه الأمور تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل شرّ.

التاسع عشر: خير الخليقة قسمان: هم أهل الإيمان، فعن أبي موسى – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ريحها طيّب، وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها، وطعمها حلوٌ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيّب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح، وطعمها مرّ)) (١) ، فالناس أربعة أقسام:

القسم الأول: خير في نفسه، متعدٍ خيره إلى غيره، وهو خير الأقسام، فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن، وتعلّم علوم الدين، فهو نافع لنفسه، نافع لغيره، مبارك أينما كان.

القسم الثاني: طيّب في نفسه، صاحب خير، وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ما يعود به على غيره، فهذان القسمان هما خير الخليقة، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم من الإيمان القاصر، والمتعدي نفعه إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين.

القسم الثالث: من هو عادم للخير، ولكنه لا يتعدَّى ضرره إلى غيره.

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، ١/ ٥٤٩، برقم ٧٩٧.." [2]

"ويقول – عز وجل –: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ (٢).

وكل هذه الآيات توحي بأهمية هذه المسألة، وعمقها في الفطرة البشرية، فاللباس، وستر العورة: زينة للإنسان، وستر لعوراته الجسدية، كما أن التقوى لباس، وستر لعوراته النفسية.

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوءاتها الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها، والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى ومن الحياء من اللّه، ثم من الناس.

والذين يطلقون ألسنتهم، وأقلامهم، وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة – في شتى الصور والأساليب الخبيثة – هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته، وخصائص إنسانيته، التي بها صار إنسانًا متميزًا عن الحيوان (٣).

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١/٢٨٩

(٢) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٠٦

قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٤).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٣) اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ص ١٦ – ١٧.

(٤) سورة الأسراء، الآية: ٧٠.." (١)

"دينك وعافنا واعفُ عنا (١).

المطلب الثاني: طرق تحصيل الصبر عن المعاصي

الصبر عن المعاصي والسيئات ينشأ من أسباب عديدة، منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدَّنايا والرذائل، كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد العذاب.

ثانياً: الحياء من الله سبحانه؛ فإن العبد متى علم بنظر الله إليه، ومقامه عليه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وكان حييّاً استحيي من ربه أن يتعرض لمساخطه.

ثالثاً: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك؛ فإن الذنوب تزيل النعم ولابدَّ، فما أذنب عبدٌ ذنباً إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب ورجع رجعت إليه أو مثلها، وإن أصرّ لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلب النعم كلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ

---

(١) انظر: الصبر الجميل للشيخ سليم بن عيد الهلالي، ص٥٥ – ٧٠، ودعوة الحق، العدد ٥٤ ص١٥١ – ١٦٠، والصبر في القرآن للدكتور يوسف القرضاوي، ٩١ – ١١٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.." (٢)

"ثم يُفتح له باب الحياء من الله، وهو أول شواهد المعرفة، وهو نور يقع في القلب، يُريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه عز وجل فيستحيي منه في خلواته وجلواته، ويُرزق عند ذلك دوام المراقبة للرقيب، ودوام التطلع إلى حضرة العلي الأعلى كأنه يراه ويشاهده فوق سمواته مستوياً على عرشه ناظراً إلى خلقه سامعاً لأصواتهم مشاهداً لبواطنهم.

---

(١) إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٢٨

(٢) أنواع الصبر ومجالاته، سعيد بن وهف القحطاني ص/٩٢

فإذا استولى عليه هذا المشهد غطى عليه كثيراً من الهموم بالدنيا وما فيها، فهو في وجود والناس في وجود آخر .. هو في وجود بين يدي ربه ووليه .. ناظراً إليه بقلبه والناس في حجابِ عالَمِ الشهادة في الدنيا).

ثم قال – رحمه الله –: (ثم يُفتح له باب الشعور بمشهد القيومية، فيرى سائر التقلبات الكونية وتصاريف الوجود بيده سبحانه) .. وذكر كلاماً، ثم قال: (فإن استمر على حاله واقفاً بباب مولاه لا يتلفت عنه يميناً ولا شمالاً ولا يُجيب غير من يدعوه إليه ويعلم أن الأمر وراء ذلك وأنه لَم يصل بَعْدُ، ومتى توهّم أنه قد وصل انقطع عنه المزيد .. – ثم قال رحمه الله –: رُجي أن يُفتح له فتحٌ آخر هو فوق ما كان فيه!).

ثم قال: (ويبقى له وجود قلبي روْحاني مَلَكي فيبقى قلبه سابحاً في بحر من أنوار آثار الجلال، فتنبع الأنوار من باطنه كما ينبع الماء من العين، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنه في باطنه وقلبه ويجد قلبه عالياً على ذلك كله، صاعداً إلى من ليس فوقه شيء) انتهى.." (١)

"ثُمَّ يُتَابِعُونَ دُعَائَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلَهُ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَأَذْلَلْتَهُ، وَأَظْهَرْتَ خِزْيَهُ لأَهْلِ الجَمْعِ يَوْمَ القِيَامَةَ، وَالظَّالِمُونَ لاَ يَجِدُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ.

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفُوا اللهَ حَقَّ المَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالفِكْرِ، عَبَّرُوا عَنْ وُصُولِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ سِرَاعاً، فَقَالُوا: رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا دَاعِياً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِيمَانِ بِكَ (وَهُوَ الرَّسُولُ)،وَيَقُولُ: آمِنُوا بِرَبِّكُمْ، فآمَنَّا مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِئَاتِنَا، فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارَ الصَّالِحِينَ وَأَلْحِقْنَا بِهِمْ.

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى لِسَانِ رُسُلِكَ، وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ الخَلْقِ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيْعَادَ الذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رُسُلُكَ الكِرَامُ، وَهُوَ قِيَامُ الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَإِنَّكَ تَجْزِي العَامِلِينَ الصَّالِحِينَ بِالخَيْرِ وَالحُسْنَى، وَتَجْزِي الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. (١)

" إنها تشي بأن خوفهم من النار، إنما هو خوف – قبل كل شيء – من الخزي الذي يصيب أهل النار. وهذه الرجفة التي تصيبهم هي أولا رجفة الحياء من الخزي الذي ينال أهل النار. فهي ارتجافة باعثها الأكبر الحياء من الله، فهم أشد حساسية به من لذع النار! كما أنها تشي بشعور القوي بأنه لا ناصر من الله، وأن الظالمين ما لهم من أنصار ..

ثم نمضي مع الدعاء الخاشع الطويل: «رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ: أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ. فَآمَنَّا. رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ» ..

فهي قلوب مفتوحة ما إن تتلقى حتى تستجيب. وحتى تستيقظ فيها الحساسية الشديدة، فتبحث أول ما تبحث عن تقصيرها وذنوبها ومعصيتها، فتتجه إلى ربها تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والوفاة مع الأبرار.

ويتسق ظل هذه الفقرة في الدعاء مع ظلال السورة كلها، في الاتجاه إلى الاستغفار والتطهر من الذنب والمعصية، في المعركة الشاملة مع شهوات النفس ومع الذنب والخطيئة. المعركة التي يتوقف على الانتصار فيها ابتداء كل انتصار في معارك الميدان،

---

(١) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين، عبد الكريم الحميد ص/١٥

مع أعداء الله وأعداء الإيمان .. والسورة كلها وحدة متكاملة متناسقة الإيقاعات والظلال.

---

(١) – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١/ ٤٨٦)." [١]

"٣١٧ – أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا مالك بن مغول قال: سمعت أبا ربيعة، يحدث عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺكلكم يحب أن يدخل الجنة؟» قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: «فاقصروا من الأمل، وثبتوا آجالكم بين أبصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء» ، قالوا: يا رسول الله، كلنا نستحيي من الله، قال: «ليس كذلك الحياء من الله، **ولكن الحياء من الله أن** لا تنسوا المقابر والبلى، وأن لا تنسوا الجوف وما وعى، وأن لا تنسوا الرأس وما احتوى، ومن يشته كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، هنالك استحيا العبد من الله، وهنالك أصاب ولاية الله عز وجل»." [٢]

"١٥٠٧ – أخبركم أبو عمر بن حيويه، حدثنا يحيى، حدثنا الحسين، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: " دخلت على رجل من أصحابي وهو بالموت، فرأيت من جزعه شيئا ساءني، فقلت له: ما هذا الجزع؟ فقال: وما لي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ ﷺوالله لو أتتني المغفرة من الله **للحقني الحياء من الله فيما** أفضيت به إليه "." [٣]

"٢٢٢٤ – حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا إسرائيل، عن زياد بن فياض قال: حدثني من، سمع عبيد الله بن عمير، يقول: «ﷺ**آثروا الحياء من الله تعالى** على الحياء من الناس»." [٤]

"تكون بالصبر

والصبر على وجوه تصبر وصبر جميل ثم تخرج الى الخوف والشكر ثم الى التعظيم ثم السرور

ومن أراد الزهد فليكن الكثير مما في أيدي الناس عنده قليلا وليكن القليل عنده من دنياه كثيرا وليكن العظيم منهم اليه من الاذى صغيرا وليكن الصغير منه إليهم عنده عظيما

وقال إذا دعتك نفسك الى ما تنقطع به عند حظك فاجعل بينك وبينها حكما **من الحياء من الله تعالى**

وقال إن الاكياس إذا دعتهم النفوس الى ان تقطعهم بخدائعها عن سبيل نجاتهم حاكموها **الى الحياء من الله تعالى** فأذلها حكم الحياء

وقال مخرج الاغترار من حسن ظن القلب ومخرج حسن ظن القلب من القيام لله على ما يكره ثم من كذب النفس

وقال من النصح ان تحب ان يكون الناس كلهم خيرا منك." [٥]

---

(١) المنجيات من النار، علي بن نايف الشحود ص/٤

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ١/١٠٧

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ١/٥٣٠

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل أحمد بن حنبل ص/٣٠٧

(٥) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/٥٥

"دلائل وعلامات

بسم الله الرحمن الرحيم يروى عن بعض الحكماء انه قال

إذا ظن بك الناس انك تعمل عملا من الخير ولست تعمله ى او كنت تعمل عملا من الخير وظنوا انك تعمل اكثر منه ورفضت ان يطلعوا على حقيقة عملك فأنت ممن يحب أن يحمد بما لم يفعل

وان احببت ان يطلعوا عليه فأنت تحب ان تحمد بما قد فعلت

وقال علامة حب الله حب جميع ما احب الله

وعلامة الخوف من الله ترك جميع ما كره الله

وعلامة الحياء من الله الا تنسى الورود على الله وان تكون مراقبا لله في جميع امورك على قدر قرب الله تعالى منك واطلاعه عليك

ومن علامة حسن الظن بالله شدة الاجتهاد في طاعة الله

وعلامة الناصح لله شدة الاقبال على الله وفهم كتابه والعمل به." (١)

"وآخرون عملوا على **وجه الحياء من الله سبحانه** استحيوه في ليلهم ونهارهم اذا غلقت الابواب وارخيت الستور عليهم لما ايقنوه انه هو الذي يلي عرضهم ومساءلتهم

فاستحيوا من كل قبيح يعملونه في سرائرهم حتى كأنهم ينظرون اليه ولما استيقنوا بنظره اليهم قالوا سواء علينا نظر الينا او نظرنا اليه وايقنوا انه اقرب اليهم من حبل الوريد

فلما ايقنوا بذلك حال يقينهم بينهم وبين مثاقيل الذر وموازين الخردل مما يكره المطلع عليهم وكان الحائل بينهم وبين اعتقاد القلب على شيء مما يكره سيدهم معرفتهم بأنه مطلع في ضمائرهم وينظر اليهم في كل حركة تكون منهم وكل سكون وكل خطرة وكل طرفة عين وكل همة وكل ارادة وكل نية وكل محبة وكل شهوة

واما نحن فلم يهيجنا على عملنا التعظيم له ولم تهيجنا رغبتنا في عظيم الثواب فنتقرب بحسن الفعال ولم تدعنا الرهبة من العقاب الى ترك مساوىء الاعمال ولم يحل الحياء منه بيننا وبين قبيح الاعمال فيما بيننا وبينه

فنسأل الله المنان الذي من عليهم ان يمن علينا بما من به عليهم وان يهب لنا مثل فعالهم فإنه فعال لما يريد

وقال الصدق عند العبد على قدر ارادته والشكر عنده على قدر موقع النعمة منه." (٢)

"وفيهم شئ مما يكرهه في مبلغ علمهم فهم يكرهون ما يكره الله في غيرهم فكيف يرضون به في انفسهم

أبت معرفة الله أن يساكنها شئ من مكارة الله وأبت الارادة ان تشتغل بغير ما احب الله قد شغلتهم المعرفة بالفكر في كثرة نعم الله عز وجل عليهم وعجزهم عن أداء شكرها مع عجزهم عن إحصاء عددها وباستكثار ذنوبهم وكثرة ذكرهم للحياء من الله أن يسألوا الجنة فليس تخطر الجنة لهم على بال قد حال بينهم وبين **مسألتها الحياء من الله والخوف** منه ومصيبتهم

(١) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٥٠

(٢) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٦٠

في انفسهم مما يخافون من فوت رضوان الله عنهم وسخطه عليهم أعظم في انفسهم وأوجع لقلوبهم من فوت الجنة وخوف النار ومن الذي يجدون مما يلقي الشيطان من الخطرات وعوارض الدنيا وحب التزين لأهلها عند عبادتهم وطاعتهم وكثرة فساد النية والآفات التي تعارضها فهم بذلك مغموصون مكروبون مخافة ان يراهم الله وقد تزينوا لأحد غيره

فلا تكن يا أخي بشيء أعنى منك بالمعرفة والارادة فإن الخير تبع لهما وهما علامة نظر الله لعبده وبالله التوفيق

السمع عن الله والعقل عن الله

ثم أوصيك يا أخي بعد مراقبة الله عند همتك إذا هممت وعند كل." (١)

"٨٢٤ - حدثنا يحي بن يحيى، أنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعظ أخاه في الحياء فقال: «إن ﷺالحياء من الإيمان» . قال أبو عبد الله: والحياء حياءان حياء من الله، وحياء من الناس، والذي هو أولى **بالعبد الحياء من الله عز** وجل، ولولا أن الله تعالى جعل الحياء من خلقه خلقا كريما لما كان أحد غير الله يستوجب أن يستحى منه إذ لا مالك لنفع، ولا ضر غيره، ولكنه أحب أن يستحي خلقه بعضهم من بعض فيستروا عيوبهم منهم، فلا يفتضح بعضهم عند بعض، **فمن الحياء من الله ما** هو -[٨٢٦]- فرض، ومنه فضيلة ونافلة، وهو هائج عن المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته، لأنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد **أورثه الحياء من الله والهيبة** له فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غدا بين يديه وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذكر دوام إحسانه إليه، وقلة الشكر منه لربه فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه هاج **منه الحياء من الله فاستحى** الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه، يتحرك بما يكره فطهر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه إذ فهم عنه قوله: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ [يونس: ١٤] وقال: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ [يونس: ٦١] وقال: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة: ١٠٥] وقال منكرا على من استخف بنظره: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ [العلق: ١٤]." (٢)

"٨٢٧ - حدثنا محمد بن يحيى، ثنا أبو صالح، ثنا الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن سعيد بن يزيد، أنه سمعه يقول: إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺأوصني؟ قال: «أوصيك أن تستحي الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك» قال أبو عبد الله: ألست ترى أن الإنسان إذا علم أن رجلا صالحا ينظر إليه أو يسمع كلامه أمسك عن كل ما يخاف أن يمقته عليه، أو يضع من قدره عنده، ولو علم أنه يطلع على ما في ضميره لما أضمر إلا على ما يعلم أنه يحسنه عنده ويجمل، وكذلك يستحي من الرجل الصالح من كل نقص في فضل إلا لمرض، فأجمل النبي صلى الله عليه وسلم **تفسير الحياء من الله في** هذه الكلمة فمن استحيي من الله فيما يظهر وكل شيء ظاهر له كما يستحي من

---

(١) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٦٦

(٢) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي محمد بن نصر المروزي ٨٢٥/٢

الرجل الصالح فقد استحيي من الله حق الحياء لأنه عالم بأن الله مطلع على ما في قلبه فلا يدع قلبه يضمر على شيء مما يكره إن عرض له رياء في عمل -[٨٢٩]-، أو عجب، أو كبر ذكر نظر الله إليه فاستحيي منه أن يرى ذلك في قلبه فتركه، واستحيي أيضا من كل نقص يدخل فيه من فضول الدنيا، أو من فضول الكلام، وإن كان مباحا لأنه يعلم أن الله قد زهده في ذلك ورغبه في تركه فهو يستحي أن يراه راغبا فيما زهده فيه، وكذلك إن خاف غيره استحيي منه أن يراه يخاف غيره أو يرجوه أو يطمع فيه، وهذه فضيلة ليست بفرض من ذلك." (١)

"٨٥٥ - حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، قال: حدثنا زيد بن عوف، وعبد الملك بن عبد العزيز، قالا -[٨٤٤]-: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الله الجدلي، قال: «ﷺما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من ربه يعني داود عليه السلام» . قال أبو عبد الله: وأما ما يهيج من الحياء عند ذكر دوام النعم وكثرة الإحسان، وتضييع الشكر وذلك موجود في الفطر أن من دام إحسانه إليك وكثرت أياديه عندك وقلت مكافأتك له غضضت طرفك إذا رأيته حياء منه فكيف بمن خلقك ولم تك شيئا، ولم يزل محسنا إليك منذ خلقك يتبغض إليه العبد، ويتهتك فيما بينه وبينه، وهو يستر عليه حتى كأنه لا ذنب له لم يتهاون بنظره، وإن تغير العبد أو لم يتغير فنعم الله تعالى عليه دائمة وإحسانه إليه متواصل، وذلك كله مع تضييع الشكر بل ما رضى بالتقصير عن الشكر حتى نال معاصي ربه بنعمه، واستعان على مخالفته بأياديه فإذا ذكر المستحي دوام النعم، وتضييع الشكر، وكثرة الإساءة مع فقره إلى الله تعالى، وإحسان -[٨٤٥]- الله تعالى إليه هاج منه الحياء والحصر من ربه عز وجل حتى كاد أن يذوب حياء منه فإذا هاج ذلك منه استعظم كل نعمة وإن صغرت إذ عرف تضييعه للشكر فيستكثر ويستعظم أقل النعم له إذ علم أنه أهل أن يزال عنه النعم فكيف بأن يدام عليه، ويزداد فيها لأن من أسأت إليه فعلمت أنك قد استأهلت منه الغضب فألطفك لكلمة استكثرتها لعلمك بما قد استوجبت منه من الغضب والعقوبة فإن سأل الله تعالى دوام النعم والزيادة فيها سأله بحياء وانكسار قلب، لولا معرفته بجوده وكرمه وتفضله ما سأله فيكاد أن ينقطع عن الدعاء حياء من الله تعالى ثم يذكر تفضله وجوده وكرمه فيدعوه بقلب منكسر من الحياء خوفا أن لا يجاب ويبعثه ذلك على الشكر لما لزم قلبه الحياء من تضييع الشكر فإذا لزمت هذه الذكور قلبه، وأهجن الحياء منه فاستعملهن كما وصفت لك فقد استحيي من الله تعالى بحقيقة الحياء، وإن كان لا غاية لحقيقة الحياء إذ المستحيي منه لا غاية لعظمته عند المستحيي منه ألا -[٨٤٦]- ترى إلى،

٨٥٦ - ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا: إنا لنستحي والحمد لله، فقال: «ليس ذاك» فدل أن للحياء حقيقة فوق ما أوتوا من الحياء، فقال: ليس ذاك حق الحياء، ولكنه حياء دون الحقيقة، ثم قال: «**ولكن الحياء من الله حق** الحياء أن لا تنسوا المقابر والبلى» فأخبر أن الحياء حق الحياء أن يستحي العبد من الله تعالى أن يراه ناسيا للمقابر والبلى، فإذا استحيي من ذلك دام منه الذكر للمقابر والبلى لا ينسى ذلك حياء من ربه تعالى، وقال: «وليحفظ الرأس وما وعى» يعني ما احتوى عليه الرأس من سمع وبصر ولسان «وليحفظ البطن وما حوى» ، وقال

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي محمد بن نصر المروزي ٨٢٨/٢

بعضهم: «الجوف وما وعى» وذلك يجمع كل ما أضمر عليه العبد، وكل ما دخل جوفه فقد اجتمع في الحياء من الله تعالى الخير كله من الفرض والتطوع جميعا، وذلك كله من الإيمان. قال أبو عبد الله: وأما الحياء من الناس." (١)

"٨٦٢ - حدثنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا -[٨٥١]- معمر، عن ثابت، عن أنس، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ﷺما كان الفحش في شيء إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء إلا زانه» . قال أبو عبد الله: فالحياء خير كله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه أمر يدعيه الصادق والكاذب، وأصله فعل من الطبيعة الكريمة غريزة خير يختص الله تعالى به من يشاء من خلقه، ينفع العاصي والمطيع، أما المطيع فقد زال كل خلق دني، وأما الفاسق فلم يجمع مع فسقه تهتكا، وإذا هاج الحياء من المطيع وجد العدو سبيلا إلى الدعاء إلى الرياء فإن أطاعه العبد اعتقد الرياء، واعتل بالحياء وصدق هاجه أولا الحياء، ثم أخطر العدو بالرياء، ولم يفطن له بقلبه فصار مرائيا -[٨٥٢]-. وقد يهيجه الحياء على أن يريد الله تعالى فيضم الإخلاص إلى الحياء، فإن فعل الفعل للحياء وتركه لغير ذكر إخلاص ولا رياء فهو دين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما لم يكن شيء الحياء من الله أولى به فيه» . وذلك أن يستحي العبد من إظهار المعاصي فيستتر حياء من الناس، والحياء من الله أولى به فضيع الحياء من الله تعالى في سريرته واستحيي من الناس، والحياء الذي أداه إلى الستر خير له من التهتك لأنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة» فهو يرجو إذ من عليه بالحياء فاستتر أن يستر الله تعالى عليه في الآخرة، ويغفر له فالحياء مفارق لكل خلق في دين أو دنيا، فمثل ذلك مثل رجل سأل رجلين قرضا أو صلة فلم يكن في قلب أحدهما كبير حياء فرده إذا لم تسمح نفسه بالإعطاء، وسأل الآخر فلم تسمح نفسه إلا بالإعطاء، فمنه الحياء من البخل، فمسك عن إظهار الرياء وبادر ليفعل فوجد العدو موضع دعاء فقال: أعطه، لا يقول: ما أبخله، وأعطه ليثني عليك به، ويعظمك به فاعتقد ذلك وأعطى، ولا شك في أنه أعطى للحياء لبدو هيجان الحياء من نفسه، فإن هو لما خطر خاطر الرياء نفاه وقال: لا بل لله، أو لما رأى نفسه امتنعت من -[٨٥٣]- الرد من أجل الحياء ذكر ثواب الله تعالى فأزاده، ولولا الحياء لرد صاحبه، ولو أنه أخلص الإعطاء شكرا لمن جعل غريزته تهيج بالحياء، ولمن وهب له الحياء، ولم يجعله كمن لا يستحي دون طلب الثواب لكان الله تعالى يستحق ذلك، وآخر سئل فهاج منه من الحياء ما لم يملكه فأعطى عليه ولم يقبل حضره رياء ولم يذكر ثوابا. وما أقل ذلك أن يعطي عبدا أو يعمل أو يترك إلا لرغبة أو رهبة فإن أعطى على ذلك الحياء فهو خير ما لم يعتقد الرياء ومن جمع مع الحياء إرادة الله وثوابه فذلك أفضل لأن الحياء عن غريزة كريمة فإذا هاجت تلك الغريزة فعند ذلك يعتقد الإخلاص أو الرياء أو يعمل عليهما بغير عقد رياء ولا إخلاص، وكل امرئ يمكنه أن يعقل بالحياء وقد يخيل إلى بعض أهل الدنيا أنه مستحي، وإنما هو مراء يستحي من أشياء مباحة كالاستعجال بالمشي والسرعة إليه بالمشي وغيره لأنه خروج إلى الخفة، فيصير رياء وجزعا من الزوال عن الخشوع، أو ليقال ما أخشعه وأسكنه وقد تأتي الشيء استحياء من الخلق، والحياء من الله تعالى في ذلك أولى به فهو كخير أفضل من غيره من الخير كالرجل يرى من شيخ من المسلمين منكرا فيريد أن يأمره فيستحي من شبيبته فالحياء من الشيبة، وتوقير الكبير خير وأفضل من ذلك -[٨٥٤]- أن

---

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي محمد بن نصر المروزي ٨٤٣/٢

يأمره وينهاه، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة» والحياء من الله تعالى أولى به أن نستحي من الله تعالى أن يضع أمره فيه فينهاه ويعثر عليه معصية إن رآها منه أو يدعه إن أظهرها **فليؤثر الحياء من الله عز** وجل على الحياء من الخلق." (١)

"٨٦٦ - حدثنا محمد بن يحي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن زياد يعني فياضا، قال: حدثني من سمع عبيد بن عمير، يقول: ﷺ**آثر الحياء من الله تعالى** على الحياء من الناس " قال أبو عبد الله: فينبغي للعاقل أن يستحي من الله -[٨٥٦]- تعالى أن يراه كثير الحياء من الخلق **قليل الحياء من الله تعالى** فليكن الغالب عليه الحياء من الله، وأفضل في الدين كنحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها حين بنى بها، وتحدث عنده ناس من أصحابه رضي الله عنه فخرج رجاء أن يقوموا، ثم رجع وهم على حالهم فشق ذلك عليه فاستحى أن يقول لهم: قوموا، وكان كريما صلى الله عليه وسلم كثير الحياء. روي أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها فأنزل الله عز وجل: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلى قوله: ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ [الأحزاب: ٥٣] فلما جاء أمر الله تعالى آثره وأرخى الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم لأنس رضي الله عنه: «وراءك» ، وكان ذلك أولى به صلى الله عليه وسلم فكذلك يجب على أهل الدين أن يفعلوا." (٢)

"فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوما وتواتر الشر منه موجودا لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها ولقد أحسن الذي يقول ... ورب قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء ...

وأنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله

قال أبو حاتم رضي الله عنه الواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء من الناس وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة ومجانبتها الخلال المذمومة كما أن من أعظم **بركة الحياء من الله الفوز** من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معا في المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين وإذا قوى حياؤه قوى كرمه وضعف لؤمه وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه وضعف كرمه ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي ...

إذا رزق الفتى وجها وقاحا ... تقلب في الأمور كما يشاء

ولم يك للدواء ولا لشيء ... يعالجه به فيه غناء

فما لك في معاتبة الذي لا ... حياء لوجهه إلا العناء ...

---

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي محمد بن نصر المروزي ٢/٨٥٠

(٢) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي محمد بن نصر المروزي ٢/٨٥٥

قال أبو حاتم إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت من مقت أوذي ومن أوذي حزن ومن حزن فقد عقله ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له ولا دواء لمن لا حياء له." (١)

"وفي آية أخرى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤] ، فينبغي للمسلم أن يكثر ذكر الموت، فإنه لا غنية للمؤمن عن ست خصال: أولها: علم يدله على الآخرة، والثاني: رفيق يعينه على طاعة الله تعالى ويمنعه عن معصيته، والثالث: معرفة عدوه والحذر منه، والرابع: عبرة يعتبر بها آيات الله تعالى وفي اختلاف الليل والنهار، والخامس: إنصاف الخلق كيلا يكون له يوم القيامة خصم، والسادس: الاستعداد للموت قبل نزوله لكيلا يكون مفتضحا يوم القيامة.

٢٨٣ - قال: وحدثنا محمد بن الفضل ، بإسناده عن الحسن البصري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لأصحابه: «أيريد كلكم أن يدخل الجنة؟» قالوا: نعم.

جعلنا الله تعالى فداءك يا رسول الله.

قال: «قصروا الأمل واستحيوا من الله حق الحياء» .

قالوا: يا رسول الله كلنا نستحي من الله تعالى.

قال: «ليس ذلك بالحياء **ولكن الحياء من الله تعالى**، أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، فهنالك يستحي العبد من الله تعالى حق الحياء وبها يصيب ولاية الله تعالى»

٢٨٤ - وروى حميد الطويل ، عن العجلي ، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ألهاكم التكاثر ﴿١﴾ حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ١-٢] ، فقال: «يقول ابن آدم مالي مالي؟ وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت» .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: مكتوب في التوراة خمسة أحرف:." (٢)

"حدثنا حاتم بن عقيل، قال: ح يحيى بن إسماعيل قال: ح يحيى الحماني قال: ح مروان بن معاوية، ويعلى بن عبيد، عن أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺاستحيوا من الله تعالى حق الحياء» ، قلنا: يا رسول الله إنا نستحي قال: «ليس ذلك، ولكن من استحى من الله تعالى حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، فليترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحى من الله تعالى حق الحياء» قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله: **فهذا الحياء**

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٥٨

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/٢٢٦

من الله تعالى، وسنفسره فيما بعد إن شاء الله تعالى، أما الحياء من الناس، فهو أن يتحصن عن إتيان ما يشينه، وهو يجمع الأخلاق الحسنة، ويحجز عن مساويها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت " -[١٦٧]- وقال: «لكل دين خلق، وإن خلق الإسلام الحياء» ، وذلك لأن حقيقة الإسلام حسن الخلق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» ، إذا فالحياء ترك القبائح، والسيئات، وإتيان المحاسن، والخيرات، وهذا خلق الإيمان، والإسلام، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحياء خير كله»." (١)

"حدثنا محمد بن نعيم بن ناعم، قال: ح أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي قال: ح الأنصاري قال: ح أبو المعلى قال: ح أبو عثمان النهدي قال: سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ﷺالله تعالى كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا» . قال الشيخ - رحمه الله -: الحياء من أوصاف الكرام، واللئيم لا يكاد يستحيي، والحياء يجمع معاني كبيرة، فمنه الامتناع من الفعل الذميم، والوصف القبيح، ومنه الترفع مما يستثنيه ويذم عليه، ومنه الخشية من أن يوصف بالقبيح من الوصف أو ينسب إلى الذميم من الفعل، وكل هذه الأوصاف من أوصاف الكرام، والحيي أيضا لا يكاد يستحيي إلا ممن له قدر وخطر، ومن لا قدر له ولا خطر فقلما يستحيي منه، والكريم المتحقق بأوصاف الكرام يدع ما يدعه تكرما في نفسه، ويفعل ما يفعل فضلا من عنده، ولا ينظر إلى ما يستحيي منه، فيعطي من لا يستحق، ويدع عقوبة من يستوجبها؛ لأنه يرفع من صفة الحرمان، قال الشاعر يمدح بعض الملوك بالكرم:

[البحر المجتث]

يغضي حياء ويغضي ... عطاء من لا يستوعب

لأنه يترفع من مهابة فما يكلم إلا حين شيم فوضع بالحياء في ترك عقوبة من يستوجب وإعطاء من لا يستوعب؛ لأنه يترفع من صفة الحرمان لمن سأله، ويتكرم من عقوبة من يتعرض للعفو منه. ولما كان الحياء من الكريم جاز أن يوصف الله به؛ لأن الله تعالى كريم متفضل عفو غفور جواد وشكور، فإذا رفع إليه العبد سائلا منه، وطالبا فضله، يتكرم عن أن -[٢٩٠]- يحرمه، ويتعالى عن أن يرده، وإن كان العبد لا يستوجب العطاء، ولا يستأهل العفو، وكان جل وعز ساخطا عليه غير راض عنه، فهو تعالى يتفضل من عنده فيعطي من يستوجب الحرمان، ويعفو عن العقوبة كرما منه وتفضلا؛ لأنه جل وعز لا يرضى حرمان عبده وقد مد إليه يده سائلا منه مفتقرا إليه متعرضا بفضله مما لا ينقصه ولا يؤده، ويعفو بمن يستوجب العقوبة وهو غير راض عنه، ولا قابل منه، وهو يفعل ذلك عمن تجلى عنده قدره ويعظم لديه خطره، وهو المؤمن به المصدق له المقر له بالوحدانية، المذعن له بالعبودية، وإن كان يأتي من العصيان ما يستوجب به العقوبة، ومن الفعل ما يستحق به الحرمان فهو جل وعز يجل قدر عبده المؤمن أن يرد يديه صفرا خائبتين وقد رفعهما إليه، وهو جل وعز قد يعطي الكافر به، والجاحد له والمشرك معه غيره بعض ما يسأله كرما منه وفضلا، ويؤخر عقوبته، ولا يعالجه بها إذا رفع إليه يديه، وهو

---

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي أبو بكر الكلاباذي ص/١٦٦

ساخط عليه مبغض له معرض عنه، استدراجا له وإرادة السوء به، لا لإجلاله، ولا لقدره عنده وكرامته عليه، بل لأنه جواد كريم متفضل حليم، قال الله تعالى: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ [النحل: ٥٤] ، ومثله كثير. فإذا كان الله تعالى لا يرد يد من يرفعها إليه صفرا، وهو له عاص ولأمره تارك، وعن أداء حقوقه معرض، فما ظنك بمن يرفع إليه يديه مفتقرا إليه متذللا له معتذرا إليه مقبلا عليه يسأله سؤال المضطرين، ويدعوه دعاء الغريق، ويتضرع لعفوه تعرض من لا يستأهل لنفسه حالا لنفسه حالا، ولا يرى لنفسه، لا يرجو إلا فضله، ولا يعتمد إلا على كرمه، سبحان الكريم ذي الفضل العظيم. **فمعنى الحياء من الله تعالى** التكثر في الإعطاء من يستوجب الحرمان عند سؤاله منه ورفع يديه نحوه، وترفعه وتعاليه تعالى عن حرمانه مما لا ينقصه عن عقوبته من يستوجبها، وقد تعرض لعفوه وامتناعه عن العقوبة والحرمان. والله أعلم." (١)

"له أو تسليما أو تفويضا إليه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الأنعام، ومن حسن تدبير الأقسام في شهود المسألة والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى: (ولربك فاصبر) المدثر: ٧، وفي قوله تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور: ٤٨ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وغيره من الأئمة: أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القدر، وروي أيضا إلا انتظار القضاء، ويقال: من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا، وهو مقام العارفين، وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه: إن الله تعالى يحب كل عبد نومة قال: هو الساكن تحت جريان الأحكام يعني من غير كراهة، ولا اعتراض، فأما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى فلأنه يقال: إن كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها وهي في صدمة القلب أول ما يبغته الشيء، فينظر إلى نظر الله تعالى فيستحي فيحسن الصبر كما قال: فإنك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى، والصبر أيضا عن إظهار الكرامات وعن الإخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الأدب من المعاملات، وهو من **معنى الحياء من الله تعالى**، وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد، ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد والرياسة.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا: الصبر في ثلاث، الصبر في تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره، ومن الصبر حبس النفس عن الخمول والتواضع والذلة إيثارا للآخرة على الدنيا وهربا إلى الله تعالى وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعاني أوصاف الربوبية تسليما للإلهية واستسلاما للأحدية فلا يخرجك قلة الصبرعن ذلك إلى الطلب بشيء منه فتزل قدم بعد ثبوتها نعوذ بالله من ذلك، ومن الصبر صبر على العيال في الكسب لهم والإنفاق عليهم والاحتمال للأذى منهم، فإن في العيال طرقات إلى الله تعالى أدناها الإهتمام بهم، وأعلاها الرضا عن الله تعالى والتوكل عليه فيهم، وأوسطها الإنفاق وحبس النفس عليهم، واعلم أن أكثر معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، أو قلة الصبر على ما يكرهون، وقد قرن الله تعالى الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) البقرة: ٢١٦

---

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي أبو بكر الكلاباذي ص/٢٨٩

وحد الصبر وهو أوله فريضة بمثل أول الإخلاص، والصبر أيضا حيلة من لا حيلة له لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن إلا الصبر عليه ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلا قليلا وأنت محتاج إليه لم يكن إلا الصبر عليه وإلا انقطع ذلك القليل." (١)

"عبد قائم بحكم رب ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا وقد فرغته معاينة الآخرة من الاشتغال بما يغني، وفي أحد الوجوه من قوله تعالى: (وأنه هو أغنى وأقنى) النجم: ٤٨ قيل: أغنى أهل الآخرة بالله سبحانه وتعالى وأغناهم عن الدنيا بالآخرة وأقنى أهل الدنيا من الدنيا أي جعل لهم قنية ومدخرا وعدة كما وصف من ذمه من قوله تعالى: (جمع مالا وعدده) الهمزة: ٢ أي قال هذا عدة لكذا وهذه عدة لكذا فهدده بالويل فحصل من ذلك أن الزاهد في المال عدته الله تعالى في كل الأحوال وكنزه وذخره وطوبى له وحسن مآب.

وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وكفى بالموت واعظا؛ وهذا جملة وصف الزاهد الموقن، الذي هو للموت مرتقب مع الخبر المشهور، ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا علما لحقيقة الإيمان وقربه بمشاهدة الإيقان في قوله عليه الصلاة والسلام لحارثة: عرفت فالزم عبد نور الله قلبه لما قال أنا مؤمن حقا قال: وما حقيقة إيمانك، فابتدأ بالزهد فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا، وأشد من هذا الخبر الآخر الذي جعل النبي الزهد من علامة شرح الصدر بالنور، وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لأنه هو في التحقيق الإسلام، ففسر قوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) الأنعام: ٥٢١ قيل: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: إن النو إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح، قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة؟ قال: نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله؛ فهذا هو الزهد جعله شرطا لحقيقة الإسلام.

وأشد من هذين الخبرين الخبر الثالث الذي **فسر الحياء من الله تعالى** بالزهد في الدنيا فقال: استحيوا من الله تعالى حق الحياء قلنا: إنا لنستحي قال: تبنون ما لا." (٢)

"لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال: لم وكيف؟ وفي الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله الجوع والفقر عشر سنين، كل ذلك لا ينظر في مسألته فأوحى الله إليه: لم تشكو؟ هكذا كان بدوك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض، وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك، فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد، وعزتي وجلالي لن تخالج في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة، وروينا أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على جسمه وينزلون، يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه، كذلك قال وهو مطرق إلى الأرض ولا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت، ألا ترى مايصنع هذا بك لو نهيته

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣٣/١

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٤١٧/١

عن هذا فقال: يا بني، إني رأيت ما لم تروا، وعلمت ما لم تعلموا، إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان، ومن دار النعيم إلى دار الشقاء، فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم، روينا في بعض الأخبار أنه قال: إن الله ضمن لي إن حفظت لساني أن يردني إلى الدار التي أخرجني منها، وقال أبو محمد سهل: حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله، وروى عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط، ومن الرضا أن لا تذم شيئا مباحا ولا تعيبه إذا كان بقضاء مولاه، شاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا إلى إتقان الصنع والحكمة وإن لم يخرج ذلك عن معتاد المعقول والعادة، وبعض العارفين يجعل هذه الأشياء في **باب الحياء من الله عز** وجل، ومنهم من يقول: هي من حسن الخلق مع الله تعالى، ومنهم من جعله من باب الأدب بين يدي الله، فإذا كان هذا كذلك كان ذم الأشياء التي أبيحت وعيبها من سوء الخلق مع الله، وكانت من سوء الأدب بين يدي الله، وأعظم من ذلك أنها تدخل في باب قلة الحياء من الله، ويصلح أن يكون هذا أحد معاني الخبر الذي جاء: قلة الحياء كفر، يعني كفر النعمة بأن يذم ويعيب بعض ما أنعم الله به عليه من الإرفاق والإلطاف، إذ كان فيها تقصير عن تمام ملها أو كانت مخالفة لهواه منها، فيكون ذلك كفرا للنعمة وقلة حياء العبد من المنعم، إذ قد أمره بالشكر على ذلك، فبدل الشكر كفرا لأن أحدا لو اصطنع لك طعاما فعبته وذممته كره ذلك منك، فكذلك تعالى يكره ذلك منك، وهذا داخل في معرفة معاني الصفات، وفي معنى ما قيل أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه، لأنك إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق عرفت منها صفات خالقك." (١)

"قال: وحدثني الحسين بن أحمد الشامي قال: سمعت ذا النون المصري، يقول: قرأت في التوراة أن الأبرار الذين يؤمنون والذين في سبيل خالقهم يمشون وعلى طاعته يقبضون ﷺأولئك إلى وجه الجبار ينظرون فغاية أمل الآمل المحب الصادق النظر إلى وجه الله الكريم فلا ينعمهم في مجلسهم بشيء أكبر عندهم من النظر إلى وجهه، وبلغني أنه ينعمهم بعد النظر بأصوات الروحانين وبتلاوة داود عليه السلام الزبور فلو رأيت داود وقد أتى بمنبر رفيع من منابر الجنة ثم أذن له أن يرقى وأن يسمع حمده وثناءه وقد أنصت -[٨٣]- له جميع أهل الجنة من الأنبياء والأولياء والروحانيين والمقربين ثم ابتدأ داود بتلاوة الزبور على سكون القلب عند حسن حفظه وترجيعه وتسكينه الصوت وحسن تقطيعه وقد وكل بها زمعها وفاح منها طربها وقد بدت النواجذ من الضاحكين بحبرة السرور وأجاب داود هواء الملكوت وفتحت مقاصير القصور ثم رفع داود عليه السلام من صوته ليتم سرورهم فلما أسمعهم الرفيع من صوته برز أهل عليين من غرف الجنة وأجابته الحور من وراء سترات الخدور بمفتنات النغم وأطت رحال المنبر، واصطفقت الرياح فزعزعت الأشجار فتراسلت الأصوات وتجاوبت النغم، وزادهم المليك الفهم ليتم ما بهم من النعم فلولا أن الله كتب لهم فيها البقاء لماتوا فرحا، قلت: فهل قالت العلماء في صفة يوم الزيارة شيئا تصفهم به؟ قال: نعم، اجتمع جماعة من العباد فأتوا عابدا في بيته فقالوا له: قل خيرا وأوصنا بوصية فقال: اقطعوا الدهر إخوتي بمناجاة ربكم واجعلوا لكم هما واحدا فهو أهنأ لعيشكم قيل له: فما ميراث ذلك إذا نحن فعلناه فقال:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٦٨/٢

[البحر الخفيف]

ترثوا العز والمنى ... وتفوزوا بحظكم

فلعمري إن الملوك ... لفي دون ملككم

قيل له فمتى نكون ملوكا في الدنيا أو في الآخرة فقال:

إنما تجعلون ملوكا ... في الأخرى بزهدكم

حين يؤنسكم العزيز ... على قدر شكركم

فتكونوا في القرب منه ... على قدر حبكم

قالوا: فما الذي يقطع بنا عنه عز وجل؟ فقال: لأنكم تتمادون في المنى وتناسون فعلكم وأنتم مع ذلك تتمنوا أماني ليس تصلح بمثلكم وذلك أنكم شغلتم عن الإله بإصلاح عيشكم، قالوا: فبم نستعين على الطاعة؟ قال: بذكر حبيب العابدين إنكم لو سقيتم من حبه مثل ما ذاق غيركم لنفي عنكم الرقاد على طيب فرشكم وارتياحا يقل عند المناجاة صبركم ثم أرم ساعة يعني سكت ثم أقبل عليهم فقال: إخوتي لو وردتم في غد عند بعثكم فوق نوق من -[٨٤]- النجائب معكم نبيكم لتزوروا ماجدا واحدا لا يملكم قالوا له: فما حال الزوار عنده إذا قصدوه وتبارك اسمه معهم نبيهم؟ قال: إنهم حين قاربوه تجلى لقربهم فإذا عاينوا المليك تقضت هومهم سمعوا كلامه وسمع كلامهم، قالوا: فما علامة من سقاه الله بكأس محبته؟ فقال: علامته أن يكون عليل الفؤاد بذكر المعاد بطيء الفتور في جميع الأمور كثير الصيام شديد السقام عفيفا كفيفا، قلبه في العرش جوال والله مراده في كل الأحوال، قلت: رحمك الله ما أقرب ما يتقرب به العبد المحب إلى الله؟ قال: حدثني محمد بن الحسين قال: سئل أبو سليمان الداراني عن أقرب ما يتقرب به إليه قال: أن يطلع على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره ففي هذا دليل على أن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله كل عمل عمله بالإخلاص لله والإشفاق عليه من عدوه وإن قل ذلك فهو المقبول إذا كان على حقيقة التقوى معمولا كما قال علي بن أبي طالب: عمل صالح دائم مع التقوى وإن قل، وكيف يقل ما يتقبل؟ وذلك أن المحب لله هو على الركن الأعظم من الإيمان الذي يمكن أن يستكمله العبد ولا يحسن به ادعاؤه وهو ركن المعرفة بالنعم وإظهار الشكر للمنعم وذلك أن الله تعالى يقول لولي من أوليائه: يا عبدي أما زهدك في الدنيا فطلبت به الراحة لنفسك وأما انقطاعك إلي فتعززت بي فهل عاديت لي عدوا أو واليت لي وليا فيخبرك أنه جعل الحب والبغض فيه أعظم عنده ثوابا من الزهد في الدنيا والانقطاع إليه؟ قلت له: صف لي زهد المحبين وزهد الخائفين وزهد الورعين وزهد المتوكلين فقال: إن العباد زهدوا في حلال الدنيا خوفا من شدة الحساب إذ سئلوا عن الشكر، فلم يؤدوا الشكر على قدر النعم، وفرقة من الخائفين زهدوا في الحرام خوفا من حلول النقمة فزهد الخائفين ترك الحرام البين، وزهد الورعين ترك كل شبهة، وزهد المتوكلين ترك الاضطراب فيما قد تكفل به من المعاش لتصديقهم بوفاء الضامن، وزهد المحبين قد قالت فيه العلماء ثلاثة أقوال، فقالت فرقة: زهد المحب في الدنيا كلها في حلالها وحرامها لقلتها في نفسه، وقالت -[٨٥]- فرقة أخرى: زهد المحب في الجنة دون الدنيا حذرا من أن يقول له حبيبه: يا محب، أي شيء تركت لي؟ فيقول: تركت لك الدنيا، فيقول: وما قدر الدنيا؟ فيقول: يا رب قدرها جناح بعوضة، فيلحقه **من الحياء من الله أن** يقول له:

تركت لك ما قدره جناح بعوضة ولكن تعلم يا رب أني لم أعبدك إلا بثواب الجنة فقط لا أريد منك غير ذلك، وما الجنة مع ذكرك؟ فزهد المحب الصادق في الدنيا هو الزهد في الإخوان الذين يشغلون عن الله فقد زهد فيهم لعلمه بما يلحقه من الآفات عند مشاهدتهم فزهده فيهم على علم بهم "." (١)

"أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير، في كتابه ، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: سمعت الجنيد، يقول: سمعت أبا عبد الله الحارث بن أسد، يقول وسئل عن المراقبة لله وعن المراقب، لربه فقال: " إن ﷺالمراقبة تكون على ثلاث خلال -[٩٤]- على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم يفترقون في ذلك فإحدى الثلاث الخوف من الله، والخلة **الثانية الحياء من الله والخلة** الثالثة الحب لله فأما الخائف فمراقب بشدة حذر من الله تعالى وغلبة فزع، وأما المستحيي من الله فمراقب بشدة انكسار وغلبة إخبات، وأما المحب فمراقب بشدة سرور وغلبة نشاط وسخاء نفس مع إشفاق لا يفارقه ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر اطلاع الرقيب بشدة حذر من قلوبهم أن يراهم غافلين عن مراقبته، والمراقبة ثلاث خلال في ثلاثة أحوال أولها التثبيت بالحذرقبل العمل بما أوجب الله، والترك لما نهى الله عنه مخافة الخطأ فإذا تبين له الصواب بالمبادرة إلى العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله مخافة التفريط فإذا دخل في العمل فالتكميل للعمل مخافة التقصير فمن لم يثبت قبل العمل مخافة الخطأ فغير مراقب لمن يعمل له إذ كان لا يأمن من أن يعمل على غير ما أحب وأمر به، ومن لم يبادر ويسارع إلى عمل ما يحب الله بعد ما تبين له الصواب فما راقب إذا بطأ عن العمل، لمحبة من يراقبه إذ يراه متثبطا عن القيام بما أمر به، ومن لم يجتهد في تكميل عمله فضعيف مقصر في مراقبة من يراقبه إذا قصر عن إحكام العمل لمن يعمل وقد علم أن الله جل ثناؤه يحب تكميله وإحكامه، وقال: سبع خلال يكمل لها عمل المريد وحكمته: حضور العقل ونفاذ الفطنة وسعة العمل بغير غلط وقهر العقل للهوى وعظم الهم كيف يرضي الرب تعالى والتثبت قبل القول والعمل، وشدة الحذر للآفات التي تشوب الطاعات، وأقل المريدين غفلة أدومهم مراقبة مع تعظيم الرقيب، والدليل على صدق المراقبة بإجلال الرقيب شدة العناية بالفطنة لدواعي العقل من دواعي الهوى والتثبيت بالنظر بنور العلم والتمييز بين الطاعة وما شابهها من الآفات وقوة العزم على تكميل المراقبة في الحظوة في عين المليك المطلع، وشدة الفزع مما يكره خوف المقت، والدليل على قوة الخوف شدة الإشفاق مما مضى من السيئات أن لا تغفر وما تقدم من الإحسان أن لا يقبل، ودوام الحذر فيما يستقبل أن لا يسلم، وعظم الهم من عظيم الرغبة، وعظيم الرغبة من كبر المعرفة بعظيم قدر المرغوب فيه -[٩٥]- وإليه، وسمو الهمة يخفف التعب والنصب ويهون الشدائد في طلب الرضوان، ويستقل معه بذل المجهود بعظيم ما ارتفع إليه الهم، والنشاط بالدءوب دائم، والسرور بالمناجاة هائج، والصبر زمام النفس عن المهالك وإمساك، لها على النجاة فاليقين راحة للقلوب من هموم الدنيا وكاسب لمنافع الدين كلها وحسن الأدب زين للعالم وستر للجاهل، من قصر أمله حذر الموت ومن حذر الموت خاف الفوت ومن خاف الفوت قطع الشوق ومن قطع الشوق بادر قبل زوال إمكان الظفر فاجعل التيقظ واعظك والتثبت وكيلك والحذر منبهك والمعرفة دليلك والعلم قائدك والصبر زمامك والفزع إلى الله عز وجل عونك ومن لم توسعه الدنيا غنى ولا رفعة أهلها شرفا ولا الفقر فيها صفة فقد ارتفعت همته وعزفت عن الدنيا نفسه، من كانت

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٨٢/١٠

نعمته السلامة من الآثام ورغب إلى الله في حوادث فوائد لمريد نقل عن الدنيا بقلبه، ومن اشتد تفقده ما يضره في دينه وينفعه في آخرته وذكر اطلاع الله إليه، ومثل عظيم هول المطلع وأشفق مما يأتي به الخير فقد صدق الله في معاملته وحقق استعمال ما عرفه ربه، ومن قدم العزم لله على العمل بمحبته ووفى لله بعزمه وجانب ما يعترض بقلبه من خطرات السوء ونوازع الفتن فقد حقق ما علم وراقب الله في أحواله، كهف المريد وحرزه التقوى والاستعداد عونه وجنته التي يدفع بها آفات العوارض وصور النوازل، والحذر يورثه النجاة والسلامة، والصبر يورثه الرغبة والرهبة، وذكر كثرة سوالف الذنوب يورثه شدة الغم وطول الحزن، وعظم معرفته بكثرة آفات العوارض في الطاعات تورثه شدة الإشفاق من رد الإحسان "." (١)

"حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن عبيد الله قال: سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت خيرا النساج يقول: كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا ينظر إليه نظرا أنكرته فقلت له بعد أن قام إنك حرام في شهر حرام ويوم حرام في بلد حرام في مشعر حرام في مسجد حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظرا لا ينظره إلا المفتونون ، فقال: " ﷺإلي تقول هذا يا شهواني القلب والطرف ألم تعلم أن قد منعني عن الوقوع في شرك إبليس ثلاث؟ قلت: وما هن رحمك الله؟ قال ستر الإيمان وعفة الإسلام ، وأعظمها عندي وأجلها في صدري وأكبرها في نفسي **حسن الحياء من الله أن** يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهاني ربي عنه، ثم صمق حتى اجتمع الناس علينا "." (٢)

"حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي، ثنا عبد الرحمن، يعني ابن مهدي، ثنا إسرائيل، عن زياد بن فياض، حدثني من سمع عبيد بن عمير، يقول: «**ﷺآثروا الحياء من الله على** الحياء من الناس»." (٣)

"حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا عمر بن بحر الأسدي ، ثنا أحمد بن أبي الحواري، ثنا محمد بن حاتم ، قال: قال الفضيل: «ﷺلو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة وبين أن لا أبعث لا اخترت أن لا أبعث» قلت لمحمد بن حاتم: هذا من الحياء قال: نعم هذا من **طريق الحياء من الله عز** وجل." (٤)

"حدثنا عبد الرحمن بن العباس ، ثنا إبراهيم الحربي ، ثنا محمد بن مقاتل، ثنا ابن المبارك، أخبرنا مالك بن مغول ، قال: سمعت أبا ربيعة ، يحدث عن الحسن ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم يحب أن يدخل الجنة» قالوا: نعم جعلنا الله فداك قال: «فاقصروا من الأمل وتبينوا حالكم من أنصاركم -[١٨٦]- واستحيوا من الله حق الحياء» قلنا: ﷺكلنا نستحي من الله ، قال: «الحياء من الله أن لا تنسوا المقابر والبلى ، ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا الرأس وما حوى ، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، وهنالك يكون قد استحيا من الله وأصاب ولاية الله» غريب بهذا

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٩٣/١٠

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٥٥/١٠

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢٦٨/٣

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٨٤/٨

اللفظ لا أعلمه روى عن مالك بن مغول ، عن أبي ربيعة غير عبد الله بن المبارك وروى بعض هذا اللفظ مسندا متصلا من حديث عبد الله بن مسعود." (١)

"قال: وقال ذو النون: " ﷺثلاثة من أعلام الإسلام: النظر لأهل الملة، وكف الأذى عنهم، والعفو عند القدرة لمسيئهم، وثلاثة من أعلام الإيمان: إسباغ الطهارات في المكاره، وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها، والتوبة عند كل ذنب خوفا من الإصرار. وثلاثة من أعلام التوفيق: الوقوع في الأعمال بلا استعداد له، والسلامة من الذنب مع الميل وقلة الهرب منه، واستخراج الدعاء والابتهال. وثلاثة من أعلام الخمول: ترك الكلام لمن يكفيه الكلام، وترك الحرص في إظهار العلم عند القرناء، ووجدان الألم لكراهة الكلام عند المحاورة والموعظة. وثلاثة من أعلام الحلم: قلة الغضب عند مخالفة الرأي، والاحتمال عن الورى إخباتا للرب، ونسيان إساءة المسيء عفوا عنه واتساعا عليه. وثلاثة من أعلام التقوى: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها. وثلاثة من أعلام الاتعاظ بالله: الهرب إليه من كل شيء، وسؤال كل شيء منه، والدلال في كل وقت عليه. وثلاثة من أعلام الرجاء: العبادة بحلاوة القلب، والإنفاق في سبيل الله برؤية الثواب، والمثابرة على فضائل الأعمال بخالص التنافس. وثلاثة من أعلام الحب في الله -[٣٩٤]-: بذل الشيء لصفاء الود، وتعطيل الإرادة لإرادة الله، والسخاء بالنفس والمشاركة في محبوبه ومكروهه بصفة العقد، وثلاثة من أعلام الحياء: وزن الكلام قبل التفوه به، ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتذار منه، وترك إجابة السفيه حلما عنه. **فأما الحياء من الله تعالى** فهو ما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «أن لا تنسى المقابر والبلا، وأن تحفظ الرأس وما حوى، وأن تترك زينة الحياة الدنيا» وثلاثة من أعلام الأفضال: صلة القاطع، وإعطاء المانع، والعفو عن الظالم، وثلاثة من أعلام الصدق: ملازمة الصادقين، والسكون عند نظر المنفوسين، ووجدان الكراهة لاطلاع الخلق على السرائر استقامة على الحق سرا وجهرا، لإيثار رب العالمين. وثلاثة من أعلام الانقطاع إلى الله تقديم العلم، وتلقين الحكم، وتأليل الفهم. وثلاثة من أعلام المروءة: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، ونشر الحسن. وثلاثة من أعلام التودد: التأني في الأحداث، والتوقر في الزلال، والترفق في المقال. وثلاثة من أعمال الرشد: حسن المجاورة، والنصح عند المشاورة، والبر في المجاورة. وثلاثة من أعلام السعادة: الفقه في الدين، والتيسير للعمل، والإخلاص في السعي "." (٢)

"ياليت لي من جلد وجهك رقعة ... فأقد منها حافرا للأشهب

وما أصدق قول الشاعر:

صلابة الوجه لم تغلب على أحد ... إلا تكمل فيه الشر واجتمعا

فأما مداواة اكتساب الحياء فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أجل من في نفسه حتى كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكبر في نفسه؛ ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٨/١٨٥

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٩/٣٩٣

والذين يستحي منهم الإنسان ثلاثة:

البشر: وهم أكثر من يستحي منه، ثم نفسه، ثم الله – عز وجل –، ومن استحيا من الناس ولم يستح من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره،

ومن استحيا منهما ولم يستح من الله فلعدم معرفته بالله – عز وجل –، فإن الإنسان يستحي ممن يعظمه ويعلم أنه يراه أو يسمع نجواه فيبكته، ومن لا يعرف الله فكيف يستعظمه، وكيف يعلم أنه مطلع عليه.

وقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (استحيوا من الله حق الحياء " في

ضمنه حث على معرفته، وقال تعالى: (ألم يعلم بأن الله يرى (١٤)

تنبيها على أن العبد إذا علم أن الله يراه استحيا من ارتكاب الذنب، وقد سئل الجنيد – رحمه الله – عما يتولد **منه الحياء من الله تعالى**، فقال: رؤية العبد آلاء الله عليه، ورؤية تقصيره في شكره،

فإن قيل: كيف قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " من لا حياء له فلا إيمان له "،؛ قيل: الحياء أول ما يظهر في الإنسان من أمارة العقل، والإيمان آخر مرتبة العقل، ومحال حصول آخر مرتبة العقل لمن لم يحصل له الرتبة الأولى فبالواجب إذا كان من لا حياء له فلا إيمان له.

وقال عليه الصلاة والسلام: " الحياء شعبة من الإيمان "، وقال: " الإيمان عريان." (١)

"ساتر

وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف

وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه

وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك

فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه (١) وأما الاعتدال قائما فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/٢٠٨

واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة **كيف الحياء من الله فقال** صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك (٢) وروي من أهلك وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف

وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم أنه صلى الله عليه وسلم رسول الله

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه

وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس

---

(١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

(٢) حديث قال أبو هريرة **كيف الحياء من الله قال** تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا بنحوه وأرسله البيهقي بزيادة ابن عمر في السند وفي العلل الدارقطني عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة." (١)

"للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحيي إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبه داعية الرياء وداعية الإخلاص ويتصور أن يخلص معه

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٦٦/١

ويتصور أن يرائي معه

وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو بإقراضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له

فإن المستحيي إما أن يتعلل أو يقرض

فإن أعطي فيتصور له ثلاثة أحوال

أحدها

أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل

فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء

الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الإعطاء فيهيج داعي الإخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالإعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه

الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب

والمرائي يستحي من المباحات أيضا حتى إنه يرى مستعجلا في المشي فيعود إلى الهدوء أو ضاحكا فيرجع إلى الانقباض ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء

وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود

وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوي **يؤثر الحياء من الله على** الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب

الثامن أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذا العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدي به وبهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفي العاصي أيضا معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه

ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة

فإن قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا إنه مراء أو قالوا إنه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مراء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك

فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهي الشهرة

فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فإن هربت ودخلت سربا تحت الأرض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا ليلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزغ العدو نازغ الطبع فإن ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات

فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنك تريد حمدهم لمقتوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل

فإن قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب

فإن قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة

روي أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا نقرأ كل ساعة

وقال إبراهيم التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم

وقال الحسن إن كان أحدهم ليمر بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة

وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه

وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل

والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتمم العمل ويجتهد في الإخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٣٢١

وأما إطباق إبراهيم النخعي المصحف فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء

وأما قول التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فإن ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب

فأما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن." (١)

"وأما الأخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا مع ربع المهلكات إذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة (١) وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة (٢) وقال تعالى ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة (٣) ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا

وقال صلى الله عليه وسلم إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٤) فجعل الزهد سببا للمحبة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن من محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادفا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا (٥) ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم اعرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان (٦) فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالإيمان

ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقيل له ما هذا الشرح قال إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٧) وقد تقدم فانظر كيف جعل الزهد

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٣٢٣

شرطا للإسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون (٨) فبين أن ذلك **يناقض الحياء من الله تعالى** ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم فذكروا

---

(١) حديث من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره الحديث أخرجه ابن ماجة من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه

(٢) حديث إذا رأيتم العبد قد أوتي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة رواه ابن ماجة من حديث أبي خلاد بسند فيه ضعف

(٣) حديث قلنا يا رسول الله وما محموم القلب قال التقي النقي الحديث رواه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يارسمول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بإسناد المذكور الخرائط في مكارم الأخلاق

(٤) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم

(٥) حديث الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فإن صادفا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا لم أجد له أصلا

(٦) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا فقال وما حقيقة إيمانك الحديث أخرجه البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف

(٧) حديث سئل عن قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه الحديث أخرجه الحاكم

(٨) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث رواه الطبراني من حديث أمم الوليد بنت عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف." (١)

"الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له

وقد قيل لعبد الواحد ابن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سريعا حتى دخل عتبه الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبه فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رأيت أحدا

ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها إلا جدارا

وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى فقلت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٢٠

إلا فيه

فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانة وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه

ودخل الشبلى على أبي الحسين النووي وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهرة شيء فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الحجر لا تتحرك لها شعرة

وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي على الروذبارى فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد وأن في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صورا وأنا جائع عطشان وفي وسطى خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله إلا رددتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل ومابقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا قال فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظنى فرفع رأسه إلى وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت في سري أحلفهما أن يعظاني لعلى أن أنتفع اضطرها فرفع الشاب رأسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك

الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة

نعم غلب **عليهم الحياء من الله فلا** يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة

وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن." (١)

"به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه. فإن قلت: قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين، فما معنى مخاطبته به المؤمنين؟ قلت: الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار، فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا:

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٩٩/٤

قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة. ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد، والندم على الدخول في الإسلام، وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون، ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أى: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا، لأنه لا عذر لكم. أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار.

[سورة التحريم (٦٦) : آية ٨]
يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير (٨)
توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازى، والنصح: صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، وذلك: أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع، موطنين أنفسهم على ذلك.
وعن على رضى الله تعالى عنه: أنه سمع أعرابيا يقول: اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب: الندامة، وللفرائض: الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه. وعن شهر بن حوشب: أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار. وعن ابن السماك: أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك. وقيل: توبة لا يتاب منها. وعن السدى: لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين، لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله. وقيل: نصوحا من نصاحة الثوب، أى: توبة ترفو." (١)
"فوقف فأقبل ينظر إليه ثم أطرق رأسه إلى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظري إليه وجها جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي أعدائه وموالاتي لأوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظري إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم ولوددت أنه قد أراني وجهه وحبسني في النار ما دامت السموات والأرض ثم غشي عليه وحدثنا محمد بن عبد الله الفزاري قال سمعت خيرا النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا ينظر إليه نظرا أنكرته فقلت له بعد أن قام إنك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظرا لا ينظره إلا المفتونون فقال لي تقول هذا يا شهواني القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعني من الوقوع في

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٥٦٩

شرك إبليس ثلاث فقلت وما هي قال سر الإيمان وعفة الإسلام **وأعظمها الحياء من الله تعالى** أن يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا.

قال المصنف رحمه الله: قلت أنظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه وإلى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تكذبها شهوة النظر وقد حدثني بعض العلماء أن صبيا أمرد حكى له قال قال لي فلان الصوفي وهو يحبني يا بني لله فيك إقبال والتفات حيث جعل حاجتي إليك وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة وإلى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا فقال أي والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد. وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة إنك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة.

قال المصنف رحمه الله قلت: إني لا أعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس وأخبرنا أبو القاسم الحريري أنبأنا أبو الطيب الطبري قال بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار." (١)

"فقد روي عن علي رضي الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه وقد كان من الخائفين من حملة الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ وقال ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن إطراقهم كرفعهم في **باب الحياء من الله تعالى** لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره.

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزاز ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٢٣٨

مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد احد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق.

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن أحمد الملطي ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثني يعقوب بن إسماعيل قال قال عبد الله أخبرنا المعتمر." (١)

"وترك ما يستحي من فعله فقد جمع من الخير ما تفرق في غيره ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء من الإيمان) شبهه بالإيمان لاستوائهما في الحث على كل حسن والزجر عن كل قبيح وقد يفعل الإنسان البر حياء وقد يفعله رياء

مثال ما يفعله حياء أن يسأل شيئا من أنواع البر فيدفعه حياء من السائل أن يمنعه فله أربعة أحوال

إحداهن أن يدفعه رياء فهذا مذموم لأنه قدم الحياء من الخلق **على الحياء من الله سبحانه** وتعالى

الثاني أن يفعله إخلاصا وحياء فهذا ممدوح مأجور لأنه استعمل الحياء في موضع ينبغي أن يستعمل الحياء فيه

الثالث أن يتردد بين كونه مرائيا أو كونه مستحيا فلا يقضى بإثمه." (٢)

"سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة (سورة النساء) بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة من نفس واحدة هو آدم عليه السلام زوجها هي حواء خلقت من ضلع آدم وبث نشر تسائلون به أي يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا والأرحام بالنصب عطفا على اسم الله أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور. وهو به، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطفا على الضمير في به، وهو ضعيف عند البصريين، لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض إن الله كان عليكم رقيبا إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين: أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال: فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين: الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» «١» فقوله أن

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٢٥٨

(٢) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/١٠٨

تعبد الله كأنك تراه: إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم: كمن يشاهد ملكا عظيما، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك: إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين، فأعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما

---

(١) . جزء من الحديث المشهور أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب. راجع الأربعين النووية.." (١)

"١٦٠٧ - وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت)) راه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه. [١٦٠٧]

١٦٠٨ - وعن ابن مسعود، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه: ((استحيوا من الله حق الحياء)). قالوا: إنا نستحيي من الله يا نبي الله! والحمد لله قال: ((ليس ذلك؛ ولكن م استحيي من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلي، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء)) رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [١٦٠٨]

عطف بيان، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب علي تقدير أعني. أقول: شبه اللذات الفإنية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهاذم لئلا يستمر علي الركون إليها، ويشتغل عما يجب عليه من التزد إلي دار القرار. وأنشد زين العابدين رضي الله عنه:

فيا عامر الدنيا، ويا ساعيا لها ويا آمنا من أن تدور الدوائر

علي خطر تمشي، وتصبح لاهيا أتدري بماذا لو عقلت تخاطر

تخرب ما يبقى وتعمر فإنيا فلا ذاك موفور، ولا ذاك عامر

الحديث الثالث عن ابن مسعود: قوله: ((ذات يوم)) ((تو)): هو من ظروف الزمان التي لا تتمكن، تقول: لقيته ذات يوم، وذات ليلة، وذات غداة، وذات عشاء، وذات مرة، وحمل التإنيث فيها علي الحالة، أو علي لقيته لقية ذات يوم. والحياء حالة تعترض الإنسان من خوف ما يعاب ويذم، فيحمله علي أن يتركه ويعرض عنه.

قوله: ((ليس ذلك)) ((قض)): أي ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه، وقوله عما لا يرضاه، فليحفظ رأسه وما وعاه من الحواس الظاهرة والباطنة، من السمع والبصر واللسان، حتى لا يستعملها إلا فيما يحل، ((والبطن وما حوى)) أي لا يجمع فيه إلا الحلال، ولا يأكل إلا الطيب. وقيل: أراد بالجوف البطن والفرج. كما جاء في حديث آخر ((أكثر ما تدخل أمتي النار الأجوفان))، وقيل: أراد به القلب وما وعى من معرفة الله تعالي والعلم بالحلال والحرام.." (٢)

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٧٦/١

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٣٦٦/٤

"الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء ". خرجه الترمذي وغيره (١) . وخرج البخاري في " تفسيره " (٢) عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ [هود: ٥] أنها نزلت في قوم كانوا يجامعون نساءهم ويتخلون فيستحيون من الله فنزلت الآية.

وكان الصديق يقول: استحيوا من الله؛ فإني أذهب إلى الغائط فأظل متقنعا بثوبي حياء من ربي عز وجل (٣) . وكان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم لا يقيم صلبه حياء من الله عز وجل (٤) .

قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستحيي منه على قدر قربه منك. وقد **يتولد الحياء من الله من** مطالعة النعم فيستحيي العبد من الله أن يستعين بنعمته على معاصيه، فهذا كله من أعلى خصال الإيمان.

---

(١) الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد (١ / ٣٨٧) من طريق الصباح بن محمد، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود. والصباح ضعيف، واستنكروا عليه هذا الحديث، وصوبوا وقفه على ابن مسعود وانظر " جامع العلوم " (١ / ٢٨٨) .

(٢) (فتح: ٤٦٨١) .

(٣) " الزهد " لابن المبارك ــ ص: ١٠٧) وانظره في " علل الدارقطني " (١ / ١٨٦) .

(٤) أخرجه أحمد في " الزهد " (ص: ٢٤٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في " الحلية " (١ / ٢٦٠) .."[1]

"سورة هود

قوله تعالى: (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (٥)

وخرج البخاري في "تفسيره" عن ابن عباس: في قوله تعالى.

(ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) : إنها نزلت في قوم كانوا يجامعون نساءهم، ويتخلون، فيستحيون من الله، فنزلت الآية.

وكان الصديق يقول: استحيوا من الله، فإني أذهب إلى الغائط فأظل متقنعا بثوبي حياء من ربي عز وجل.

وكان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم، لا يقيم صلبه، حياء من الله عز وجل.

قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك.

وقد **يتولد الحياء من الله من** مطالعة النعم، فيستحيي العبد من الله أن

---

(١) فتح الباري لابن رجب ابن رجب الحنبلي ١٠٤/١

يستعين بنعمته على معاصيه، فهذا كله من أعلى خصال الإيمان.

* * *". (١)

"(وله المثل الأعلى في السموات والأرض) ، بهذا

ومثله قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية، وقد فسرها أبي ابن كعب وغيره من السلف بأن المراد:

مثل نور الله في قلب المؤمن.

ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: "وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا؛ وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها" فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:

"عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه ".

وهذا الحديث مروي مرسلا، وروي مسندا متصلا لكن من وجوه ضعيفة.

وخطب عروة إلى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يجبه بشيء، ثم رآه

بعد ذلك فاعتذر إليه وقال: "كنا فى الطواف نتخايل الله بين أعيننا".

خرجه أبو نعيم وغيره.

ويتولد من هذين المقامين للعارفين **مقام الحياء من الله -** عز وجل -، وقد

أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سئل عن كشف العورة خاليا؟

فقال: "الله أحق أن يستحيا منه "

وقد ندب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى دوام استحضار معية الله وقربه وإلى الحياء منه بذلك في غير حديث.

كما دل عليه قوله تعالى: (وهو معكم أين ما كنتم) الآية.

وقوله تعالى: (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) .

وخرج البزار من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري أن رجلا قال:." (٢)

""إذا أراد الله أن يستر على عبده يوم القيامة أراه ذنوبه فيما بينه وبينه ثم غفرها له "

ولهذا كان أشهر القولين أن هذا الحكم عام في حق التائب وغيره، وقد ذكره

أبو سليمان الدمشقي عن أكثر العلماء، واحتجوا بعموم هذه الأحاديث مع

قوله تعالى: (ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا) .

وقد نقل ذلك صريحا عن غير واحد من السلف كالحسن البصري وبلال بن سعد - حكيم أهل الشام -

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ١/٥٤٧

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٢/٧٢

كما روى ابن أبي الدنيا، وابن المنادي وغيرهما عن الحسن:

"أنه سئل عن الرجل يذنب ثم يتوب هل يمحى من صحيفته؟

قال: لا، دون أن يوقفه عليه ثم يسأله عنه "

ثم في رواية ابن المنادي وغير: "ثم بكى الحسن، وقال:

لو لم تبك الأحياء من ذلك المقام لكان يحق لنا أن نبكي فنطيل البكاء".

وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف أنه قال:

"ما يمر علي أشد من الحياء من الله عز وجل ".

وفي الأثر المعروف الذي رواه أبو نعيم وغيره عن علقمة بن مرثد:

"أن الأسود بن يزيد لما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟

قال: ما لي لا أجزع، ومن أحق بذلك مني.

والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل، لهمني الحياء منه

مما قد صنعته، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير

فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه ".

ومن هذا قول الفضيل بن عياض:

"بالموقف واسوءتاه منك وإن عفوت ".

المقصود هنا أن آلام الذنوب ومشاقها وشداتها التي تزيد على لذاتها

أضعافا مضاعفة، لا يتخلف عن صاحبها، لا مع توبة ولا عفو، فكيف إذا

لم يوجد واحد منهما، ويتضح هذا بما نذكره في الوجه السابع.." (١)

"شرعيا أو عقليا أو عرفيا ومقابل الأول فاسق والثاني مجنون والثالث أبله قال وقوله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الإيمان أي أثر من آثار الإيمان وقال الحليمي حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه وقال غيره إن كان في محرم فهو واجب وإن كان في مكروه فهو مندوب وإن كان في مباح فهو العرفي وهو المراد بقوله الحياء لا يأتي إلا بخير ويجمع كل ذلك أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع إثباتا ونفيا وحكي عن بعض السلف رأيت المعاصي مذلة فتركتها مروأة فصارت ديانة وقد يتولد الحياء من الله تعالى من التقلب في نعمه فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته وقد قال بعض السلف خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك والله أعلم

(قوله باب هو منون في الرواية والتقدير هذا باب في تفسير قوله تعالى فإن تابوا وتجوز الإضافة أي باب تفسير)

قوله وإنما جعل الحديث تفسيرا للآية لأن المراد بالتوبة في الآية الرجوع عن الكفر إلى التوحيد ففسره قوله صلى الله عليه

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ١٣٢/٢

وسلم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وبين الآية والحديث مناسبة أخرى لأن التخلية في الآية والعصمة في الحديث بمعنى واحد ومناسبة الحديث لأبواب الإيمان من جهة أخرى وهي الرد على المرجئة حيث زعموا أن الإيمان لا يحتاج إلى الأعمال

[٢٥] قوله حدثنا عبد الله بن محمد زاد بن عساكر المسندي وهو بفتح النون كما مضى قال حدثنا أبو روح هو بفتح الراء قوله الحرمي هو بفتح المهملتين وللأصيلي حرمي وهو اسم بلفظ النسب تثبت فيه الألف واللام وتحذف مثل مكي بن إبراهيم الآتي بعد وقال الكرماني أبو روح كنيته واسمه ثابت والحرمي نسبته كذا قال وهو خطأ من وجهين أحدهما في جعله اسمه نسبته والثاني في جعله اسم جده اسمه وذلك أنه حرمي بن عمارة بن أبي حفصة واسم أبي حفصة نابت وكأنه رأى في كلام بعضهم واسمه نابت فظن أن الضمير يعود على حرمي لأنه المتحدث عنه وليس كذلك بل الضمير يعود على أبي حفصة لأنه الأقرب وأكد ذلك عنده وروده في هذا السند الحرمي بالألف واللام وليس هو منسوبا إلى الحرم بحال لأنه بصري الأصل والمولد والمنشأ والمسكن والوفاة ولم يضبط نابتا كعادته وكأنه ظنه بالمثلثة كالجادة والصحيح أن أوله نون قوله عن واقد بن محمد زاد الأصيلي يعني بن زيد بن عبد الله بن عمر فهو من رواية الأبناء عن الآباء وهو كثير لكن رواية الشخص عن أبيه عن جده أقل وواقد هنا روى عن أبيه عن جد أبيه وهذا الحديث غريب الإسناد تفرد بروايته شعبة عن واقد قاله بن حبان وهو عن شعبة عزيز تفرد بروايته عنه حرمي هذا وعبد الملك بن الصباح وهو عزيز عن حرمي تفرد به عنه المسندي وإبراهيم بن محمد بن عرعرة ومن جهة إبراهيم أخرجه أبو عوانة وبن حبان والإسماعيلي وغيرهم وهو غريب عن عبد الملك." (١)

"والضغن. الثامنة والعشرون: ترك الغضب. التاسعة والعشرون: ترك الغش، ويدخل فيه الظن السوء والمكر. الثلاثون: ترك حب الدنيا، ويدخل فيه: ترك حب المال وحب الجاه، فإذا وجدت شيئا من أعمال القلب من الفضائل والرذائل خارجا عما ذكر بحسب الظاهر، فإنه في الحقيقة داخل في فصل من الفصول يظهر ذلك عند التأمل. والقسم الثاني: يرجع إلى أعمال اللسان، وهي تتشعب إلى سبع شعب. الأولى: التلفظ بالتوحيد. الثانية: تلاوة القرآن. الثالثة: تعلم العلم. الرابعة: تعليم العلم. الخامسة: الدعاء. السادسة: الذكر ويدخل فيه الاستغفار. السابعة: اجتناب اللغو. والقسم الثالث: يرجع إلى أعمال البدن، وهي تتشعب إلى أربعين شعبة، وهي على ثلاثة أنواع. الأول: ما يختص بالأعيان وهي ستة عشر شعبة. الأولى: التطهر، ويدخل فيه طهارة البدن والثوب والمكان، ويدخل في طهارة البدن الوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس. الثانية: إقامة الصلاة، ويدخل فيها الفرض والنفل والقضاء. الثالثة: أداء الزكاة، ويدخل فيها الصدقة، ويدخل فيها أداء الزكاة، ويدخل فيها صدقة الفطر، ويدخل في هذا الباب الجود وإطعام الطعام وإكرام الضيف. الرابعة: الصوم فرضا ونفلا. الخامسة: الحج، ويدخل فيه العمرة. السادسة: الاعتكاف، ويدخل فيه التماس ليلة القدر. السابعة: الفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك. الثامنة: الوفاء بالنذر. التاسعة: التحري في الإيمان. العاشرة:

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٧٥/١

أداء الكفارة. الحادية عشر: ستر العورة في الصلاة وخارجها. الثانية عشرة: ذبح الضحايا والقيام بها إذا كانت منذورة. الثالثة عشر: القيام بأمر الجنائز. الرابعة عشر: أداء الدين. الخامسة عشر: الصدق في المعاملات والاحتراز عن الرياء. السادسة عشر: أداء الشهادة بالحق وترك كتمانها. النوع الثاني: ما يختص بالاتباع، وهو ست شعب. الأولى: التعفف بالنكاح. الثانية: القيام بحقوق العيال، ويدخل فيه الرفق بالخدم. الثالثة: بر الوالدين، ويدخل فيه الاجتناب عن العقوق، الرابعة: تربية الأولاد. الخامسة: صلة الرحم. السادسة: طاعة الموالي. النوع الثالث: ما يتعلق بالعامة، وهو ثماني عشرة شعبة. الأولى: القيام بالإمارة مع العدل. الثانية: متابعة الجماعة. الثالثة: طاعة أولي الأمر. الرابعة: الإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة. الخامسة: المعاونة على البر. السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. السابعة: إقامة الحدود. الثامنة: الجهاد، ويدخل فيه المرابطة. التاسعة: أداء الأمانة، ويدخل فيه أداء الخمس. العاشرة: القرض مع الوفاء به. الحادية عشرة: إكرام الجار. الثانية عشرة: حسن المعاملة، ويدخل فيه جمع المال من حله. الثالثة عشر: إنفاق المال في حقه، ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف. الرابعة عشر: رد السلام. الخامسة عشر: تشميت العاطس. السادسة عشر: كف الضرر عن الناس. السابعة عشر: اجتناب اللهو، الثامنة عشر: إماطة الأذى عن الطريق، فهذه سبع وسبعون شعبة.
(الأسئلة والأجوبة) منها ما قيل: لم جعل الحياء من الإيمان؟ وأجيب: بأنه باعث على أفعال الخير، ومانع عن المعاصي، ولكنه ربما يكون تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر، وربما يكون غريزة، لكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية، فهو من الإيمان لهذا. الثاني: ما قيل: إنه قد ورد: (الحياء لا يأتي إلا بخير) وورد: (الحياء خير كله) ، فصاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فكيف يكون هذا من الإيمان؟ وأجيب: بأنه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز ومهانة، وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازا لمشابهته الحياء الحقيقي، وحقيقته: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحوه، وأولى **الحياء: الحياء من الله تعالى**، وهو أن لا يراك الله حيث نهاك، وذاك إنما يكون عن معرفة ومراقبة، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، وقد خرج الترمذي عنه عليه السلام، أنه قال: (استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: إنا نستحي والحمد لله، فقال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله تعالى حق الحياء أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى، وتذكر الموت والبلى، فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء) . وقال الجنيد: رؤية الآلاء أي: النعم، ورؤية التقصير يتولد بينهما حالة تسمى الحياء الثالث. ما قيل: لم أفرد الحياء بالذكر من بين سائر الشعب؟ وأجيب: بأنه كالداعي إلى سائر الشعب، فإن الحي يخاف فضيحة." (١)

"وقوله تعالى: أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم نزلت لأن بعض الكفار قال: إن كانت ثم آخرة وجنة فنحن أهلها لأن الله تعالى لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين، وغير ذلك إلا لرضاه عنا.
وقوله تعالى: كلا رد لقولهم وطمعهم، أي: ليس الأمر كذلك، ثم أخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قدرة، وأحال في العبارة على علم الناس، أي: فمن خلق من ذلك فليس بنفس خلقه يعطى الجنة، بل بالإيمان والأعمال الصالحة، وروى ابن المبارك

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١/١٢٩

في «رقائقه» قال: أخبرنا مالك بن مغول قال: سمعت أبا ربيعة يحدث عن الحسن قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم يحب أن يدخل الجنة؟ قالوا: نعم، جعلنا الله فداءك، قال:

فأقصروا من الأمل، وثبتوا آجالكم بين أبصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء، قالوا:

يا رسول الله، كلنا نستحي من الله، قال: ليس كذلك الحياء، **ولكن الحياء من الله ألا** تنسوا المقابر والبلى، ولا تنسوا الجوف وما وعى، ولا تنسوا الرأس وما حوى/، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، هنالك استحيا العبد من الله، هنالك أصاب ولاية الله» «١» ، انتهى، وقد روينا أكثر هذا الحديث، من طريق أبي عيسى الترمذي، وباقي الآية تقدم تفسير نظيره، والأجداث القبور، والنصب: ما نصب للإنسان فهو يقصده مسرعا إليه من علم أو بناء، وقال أبو العالية: إلى نصب يوفضون: معناه: إلى غايات يستبقون، ويوفضون: معناه: يسرعون، وخاشعة: أي: ذليلة منكسرة.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص: (١٠٧) (٣١٧) .." [1]

"أفضل لأنه مقام الأنبياء ووراثهم ولا يخصون إلا بالأكمل، ولأن نفعه متعد ولقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة» ، وإن اختل شرط من ذلك فالإسرار أفضل.

وعلى هذا التفصيل يحمل إطلاق من أطلق أفضلية الإسرار.

نعم مرتبة الإظهار الفاضل مزلة قدم للعباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء، والتفطن لذلك غامض وعلامة الحق فيه أن من قام به مع علمه من نفسه أن غيره لو قام به مثله من أقرانه لم يتأثر به كان مخلصا، وإن لم يعلم من نفسه ذلك كان مرائيا، إذ لولا ملاحظة نظره للخلق لما آثر نفسه على غيره مع علمه بكفاية غيره، فليحذر العبد خدع النفس فإنها خدوع، والشيطان مترصد، وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات والأخطار.

فالسلامة الإخفاء، ومن الإظهار التحدث بالعمل بعد فراغه، بل هذا أشد خطرا من جهة أنه قد يجري على اللسان زيادة أو مبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوى، وأهون من جهة أن الرياء به لا يحبط ما مضى خالصا.

واعلم أن كثيرين ربما يتركون الطاعات خوف الرياء، وليس ذلك بمحمود مطلقا، فإن الأعمال إما لازمة للبدن لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلاة والصوم والحج، فإن كان باعث الابتداء فيها رؤية الناس وحدها فهذا محض معصية فيجب تركه ولا رخصة فيها على هذه الكيفية، وإن كان الباعث نية التقرب إلى الله تعالى؛ لكن عرض الرياء عند عقدها شرع فيها وجاهد نفسه في دفع ذلك العارض، وكذا لو عرض في أثنائها فيرد نفسه للإخلاص قهرا حتى يتمها فإن الشيطان يدعوك أولا إلى الترك، فإذا عصيته وعزمت وشرعت دعاك للرياء، فإذا أعرضت عنه وجاهدته إلى أن فرغت ندمك حينئذ، وقال: لك أنت مراء، ولا ينفعك الله بهذا العمل شيئا حتى تترك العود إلى مثل ذلك العمل فيحصل غرضه منك فكن منه على حذر فإنه لا أمكر منه، وألزم **قلبك الحياء من الله تعالى** إذ أوجد فيك باعثا دينيا على العمل فلم تتركه بل جاهدت نفسك

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٨٧/٥

في الإخلاص فيه ولم تغتر بمكائد عدوك وعدو أبيك آدم – صلى الله عليه وسلم –.
وإما متعلقة بالخلق وهذه تعظم فيها الآفات والأخطار فأعظمها الخلافة، ثم القضاء، ثم التذكير والتدريس والإفتاء، ثم إنفاق المال فمن لا تستميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وأعرض عن الدنيا وأهلها جملة ولا يتحرك إلا للحق ولا يسكن إلا له." (١)

"سائر خلقه ﴿لا تعتذروا﴾ أي: تبالغوا في إظهار العذر هو إيساغ الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير ﴿اليوم﴾ فإنه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار، وقد فات زمان الاعتذار وصار الأمر إلى ما صار وهذا النهي لتحقيق اليأس ﴿إنما تجزون﴾ أي: في هذا اليوم ﴿ما كنتم﴾ أي: ما هو لكم كالجبلة والطبع ﴿تعملون﴾ في الدنيا، ونظيره ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ (الروم: ٥٧) قال البقاعي: ولا بعد على الله في أن يصور لكل إنسان صورة عمله بحيث لا يشك أنه عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الألم ما علم الله تعالى أنه بمقدار استحقاقه.
ولما بين تعالى أن المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم أمر بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا﴾ أي: ارجعوا رجوعا تاما ﴿إلى الله﴾ أي: الملك الذي لا نظير له ﴿توبة﴾ وقوله: ﴿نصوحا﴾ صيغة مبالغة أسند النصح إليها مجازا، وهي من نصح الثوب إذا خاطه فكأن التائب يرقع بالمعصية. وقيل: من قولهم: ناصح، أي: خالص. وقرأ شعبة بضم النون، والباقون بفتحها.
تنبيه: أمرهم بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وفي كل الأزمان. واختلفوا في معناها، فقال عمر ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن في الضرع، وقال الحسن: هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه. وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

وعن حوشب: أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار، وعن سماك: أن تنصب الذنب الذي أقللت **فيه الحياء من الله تعالى** أمام عينيك، وتتبعه نظرك. وعن السدي: لا تصح إلا بنصيحة النفس، ونصيحة المؤمنين لأن من صحت توتبته أحب أن يكون الناس مثله.
وقال سعيد بن المسيب: توبة ينصحون فيها أنفسهم. وقال القرطبي: يجمعها أربع أشياء: الإستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان.
وقال الفقهاء: التوبة التي لا تعلق لحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية، وثانيها: أن يندم على ما فعله، وثالثها: أن يعزم على أن لا يعود إليها. فإذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وإن فقد شرط منها لم تصح توبته. وإن كانت تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة المتقدمة، والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت المعصية مالا ونحوه رده إلى مالكه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه من نفسه، أو طلب العفو منه، وإن كانت غيبة

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٧٨/١

استحله منها.

قال العلماء: التوبة واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور، ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب، وإن تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه، وبقي عليه الذي لم يتب منه، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» . وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» .

وعن علي أنه سمع أعرابيا يقول:." (١)

"٤٤٧ - وعن يعلى رضي الله عنه، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يغتسل بالبراز، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: " إن الله حيي ستير يحب الحياء والتستر ؛ فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» ". رواه أبو داود والنسائي، وفي روايته قال: " «إن الله ستير، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار بشيء» ".

---

٤٤٧ - (وعن يعلى) : رضي الله عنه، وهو يعلى بن أمية، أو يعلى بن مرة، وهما صحابيان ذكرهما المصنف في أسماء رجاله، لكن كان عليه أن يقيده هنا والله تعالى أعلم. (قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يغتسل») : أي: من غير سترة (بالبراز) : بفتح الباء أي: بالفضاء الواسع عريانا (فصعد) : بكسر العين أي: طلع (المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه) عطف تفسيري، أو الحمد بمعنى الشكر (ثم قال: (" «إن الله حيي» ") بياءين ؛ الأولى مخففة مكسورة، والثانية مشددة، أي: كريم معامل عبده معاملة الحيي بالعفو والصفح، (" ستير ") : فعيل للمبالغة (" يحب ") أي: من عبده (" الحياء ") : فإنه من الإيمان (" والتستر ") أي: الذي يقتضيه الحياء، وفي نسخة: السترة، قال الطيبي: يعني: إن الله تبارك وتعالى تارك للقبائح ساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والتستر من العبد ؛ لأنهما خصلتان تفضيان به إلى التخلق بأخلاق الله تعالى. قيل: هذا من باب التعريض، وصفه الله تعالى بذلك تهجينا لفعل الرجل، وحثا له على تحري الحياء والتستر، كما وصف حملة العرش بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ويؤمنون به﴾ [غافر: ٧] حثا للمؤمنين على الاتصاف بصفات الملائكة المقربين (فإذا اغتسل أحدكم) : أي: أراد الغسل في فضاء فليستتر) أي: فليجعل لنفسه سترة كيلا يراه أحد. قال ابن حجر: في هذا إرشاد لنحو المغتسل بمحل لا يراه الناس بأن لا يعود لذلك استحياء من الله، ومن ثم قال أئمتنا: يحرم كشف العورة في الخلوة لغير حاجة ؛ لأن فيه **ترك الحياء من الله تعالى**. وأرد عليهم: إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، فيستوي بالنسبة لاطلاعه وعلمه المستور، وردوه بأنه تعالى وإن أحاط علمه بهما إلا أنه يرى المستور على حالة تقتضي

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣٣٢/٤

الأدب، وشتان ما بينهما. (رواه أبو داود) وسكت عليه، قاله ميرك. (والنسائي) وفي روايته قال: (" «إن الله ستير، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار» ") : أمر من التواري بمعنى التستر، (" بشيء ") من الثوب أو الجدار أو الحجر أو الشجر. قال ابن حجر: وحاصل حكم من اغتسل عاريا أنه إن كان بمحل خال لا يراه أحد ممن يحرم عليه نظر عورته حل له ذلك، لكن الأفضل التستر حياء من الله تعالى، وإن كان بحيث يراه أحد يحرم عليه نظر عورته، وجب عليه التستر منه إجماعا." (١)

" ٥٠٧٠ - وعن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «الحياء لا يأتي إلا بخير ". وفي رواية: " الحياء خير كله» ". متفق عليه.

٥٠٧٠ - (وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير») أي: لا يغري الإنسان إلا بخير. والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم، ذكره الطيبي. وقال النووي: قد يشكل على بعض الناس هذا الحديث من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله ويعظمه، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك ما هو معروف في العادة، والجواب ما أجاب عنه جماعة من العلماء منهم: الشيخ أبو عمرو بن الصلاح أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس حياء حقيقة، بل هو عجز وخور، وتسميته حياء، بحسب اللغة، وإنما حقيقة الحياء في اصطلاح أهل الشرع خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق يدل عليه ما روى الإمام أبو القاسم القشيري عن السيد الجليل أبي القاسم الجنيد. قال: الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. قال القاضي عياض وغيره: إنما جعل الحياء من الإيمان ؛ لأنه قد يكون تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، وهذا المعني بقوله صلى الله عليه وسلم: («الحياء من الإيمان») . قال الطيبي: ويمكن أن يحمل التعريف فيه على العهد، ويكون إشارة إلى ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: " «الاستحياء من الله أن يحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى» " الحديث اهـ. وهو معنى حسن وقيد مستحسن يزول به الإشكال السابق، وبيانه **أن الحياء من الله هو** الذي خير كله، وهو الذي لا يأتي إلا بخير، وهو الذي لا ينفك عن الإيمان، وأما الحياء من الخلق فالغالب فيه أيضا أن يكون محمودا، فالحصر ادعائي أو كله محمود إلا إذا عارضه ترك الحياء من الله، فيترك جانبه من أداء الحقوق ويراعي جانب المخلوق، فحينئذ يستحق ذلك الحياء أن لا يسمى حياء فالحياء كله خير والله أعلم. (وفي رواية) أي: لهما على ما هو ظاهر لكن في الجامع أسندها إلى مسلم وأبي داود (الحياء خير كله) : قيل عام أريد به الخاص أي: الحياء عن فعل ما لا يرضاه الله سبحانه (متفق عليه) : وفي رواية الطبراني عن قرة: الحياء هو الدين كله.." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٤٣١/٢

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣١٧٢/٨

"الفصل الثالث

٥٠٩٠ – عن زيد بن طلحة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء» ".

رواه مالك مرسلا.

الفصل الثالث

٥٠٩٠ – (عن زيد بن طلحة) : تابعي روى عنه سلمة بن صوان الزرقي، أخرج حديثه مالك في الحياء ذكره المؤلف. (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل دين خلقا) أي: مختصا به أو غالبا فيه (وخلق الإسلام الحياء) أي: فيما شرع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع فيه كتعلم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بالحق، والقيام به، وأداء الشهادات على وجهها، كذا ذكره السيوطي، وفيه أن ارتكاب المذكورات لا يخلو عن الحياء عن الحق، وعدم الالتفات إلى الخلق على ما سبق تحقيقه وحقق طريقه، فالحكم على عمومه من **استعمال الحياء من الله في** جميع الأحكام بأن يستحيي من فعل الآثام، ومن ترك شعبة من شعب الإسلام، بل ولا عبرة بالحياء من الأنام لا فعلا ولا تركا عند علماء الأعلام. وفي النهاية: الخلق الدين والطبع والسجية. قلت: المراد هنا السجية أي: بمعنى الخصلة أي: لكل دين سجية شرعت فيه، وحض أهل ذلك الدين عليها. قال الطيبي: والمعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء، والغالب على أهل ديننا الحياء لأنه متمم لمكارم الأخلاق، وإنما بعث – صلى الله عليه وسلم – لإتمامها، وقال يوما لأصحابه: " «استحيوا من الله تعالى حق الحياء» ". الحديث. قلت: الظاهر أن المعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء، فإنها مختصة بالغلبة لنا مع اشتراكنا بجميع الملل في سائر السجيات، لقوله عليه الصلاة والسلام: " «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، بل الأظهر أن الأخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا، وإنما كملت في ديننا ببركة نبينا – صلى الله عليه وسلم – ولذا قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية. (رواه مالك) أي: عن زيد بن طلحة (مرسلا) : لأنه تابعي.." (١)

"٩٧٣ – (استحيوا من الله حق الحياء) بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد ويقرر علمه فيعيش غنيا بالله ما عاش

قال البيضاوي: ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول. وقال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟ (من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أي رأسه (وما وعى) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا –[٤٨٨]– فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أي وما جمعه باتصاله من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يوازيه شيء وعبر في الأول بوعي وفي الثاني يحوي للتفنن

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣١٨٢/٨

قال الطيبي: جعل الرأس وعاء وظرفا لكل مالا ينبغي من رزائل الأخلاق كالفم والعين والأذن وما يتصل بها وأمر أن يصونها كأنه قيل كف عنك لسانك فلا تنطق به إلا خيرا. ولعمري أنه شطر الإنسان قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده. . . فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولهذا سيجيء في خبر من صمت نجا. ولم يصرح بذكر اللسان ليشمل ما يتعلق بالفم من أكل الحرام والشبهات وكأنه قيل: وسد سمعك أيضا عن الإصغاء إلى ما لا يعنيك من الأباطيل والشواغل واغضض عينك عن المحرمات والشبهات ولا تمدن عينيك إلى ما تمتع به الكفار كيف لا وهو رائد القلب الذي هو سلطان الجسد ومضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله؟ وهنا نكتة وهي عطف ما وعى على الرأس فحفظ الرأس مجملا عبارة عن التنزه عن الشرك فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا ولا يرفعه تكبرا على عبادة الله وجعل البطن قطبا يدور على سرية الأعضاء من القلب والفرج واليدين والرجلين. وفي عطف وما حوى على البطن إشارة إلى حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح وقد تضمن ذلك كله قوله (وليذكر الموت والبلى) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضاؤه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه وهذا معنى قوله (ومن أراد الآخرة) أي الفوز بنعيمها (ترك زينة الدنيا) لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح وقرة عين الإنسان والدنيا خلقت لمرافق النفوس وهما ضرتان: إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته وعلى عاتقه جيفة والملك بينه وبين الدار عليه طريقه وبين يديه ممره وسلوكه فكيف يكون حياؤه منه؟ فكذا مريد الآخرة مع تمسكه بالدنيا فإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فكيف بمن أراد من ليس كمثله شيء؟ فمن أراد الله فليرفض جميع ما سواه استحياء منه بحيث لا يرى إلا إياه (فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) قال الطيبي: المشار إليه بقوله ذلك جميع ما مر فمن أهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء وظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلى قدمه ظاهره وباطنه معدن العيب ومكان المخازي وأنه تعالى هو العالم بها

فحق الحياء أن يستحيي منه ويصونها عما يعاب فيها. وأصل ذلك ورأسه ترك المرء ما لا يعنيه في الإسلام وشغله بما يعينه عليه فمن فعل ذلك أورثه الاستحياء من الله. والحياء مراتب: أعلاها الاستحياء من الله تعالى ظاهرا وباطنا وهو مقام المراقبة الموصل إلى مقام المشاهدة. قال في المجموع عن الشيخ أبي حامد: يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث بحيث يصير نصب عينيه والمريض أولى

(حم ت ك هب عن ابن مسعود) قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه استحيوا من الله قالوا إنا نستحي من الله يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ إلخ. صححه المؤلف اغترارا بتصحيح الحاكم وتقرير الذهبي له في التصحيح وليس هو منه بسديد مع تعقبه هو وغيره كالصدر المناوي له بأن فيه أبان بن إسحاق. قال الأزدي تركوه لكن وثقه العجلي عن الصباح بن مرة. قال في الميزان: والصباح واه وقال المنذري رواه

الترمذي وقال غريب فعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح قال – أعني المنذري – وأبان فيه مقال والصباح مختلف فيه وتكلم فيه لرفعه هذا الحديث وقالوا: الصواب موقوف والترمذي قال لا يعرف إلا من هذا الوجه." (١)

"٣٨٥٩ – (الحياء) بالمد وسيق تعريفه وأنه غريزي أصلا واكتسابي كمالا (من الإيمان) أي من أسباب أصل الإيمان وأخلاق أهله تمنع من الفواحش وتحمل على البر والخير كما يمنع الإنسان صاحبه من ذلك فعلم أن أول الحياء **وأولاه الحياء من الله وهو** أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة

(م ت عن ابن عمر) بن الخطاب قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يعظ أخاه في الحياء أي في تركه فقال دعه ثم ذكره وكلام المصنف كالصريح في أن ذا مما تفرد به مسلم عن صاحبه وهو ذهول فقد عزاه هو في الدرر إلى الشيخين معا من حديث ابن عمر وعزاه لهما أيضا في الأحاديث المتواترة وذكر أنه متواتر." (٢)

"ويقول: إن الله تعالى أخر طلبي، ولم يجعل لي، ولربما ظن أن تأخير الله في طلبه وإجابته عدم قدرته عليه، واستطاعته، فيقع في الهلاك. نسأل الله العافية.

وألا يستحي أحدنا من الله جل ذكره، فيقدم على المعاصي، ولا يبالي؛ لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، وإن لم يكن تقية، **وأن الحياء من الله فوق** ذلك.

روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا يا نبي الله! إنا لنستحي والحمد لله! قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، ولتذكر الموت، والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" ١ وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا، فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا؛ نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة؛ لم تلقه إلا خائنا مخونا؛ فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا؛ نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة؛ لم تلقه إلا رجيما ملعنا، نزعت منه ربقة الإسلام"٢ والربقة بكسر الراء وفتحها: واحدة الربق، وهي عرا في حبل تشد به إليهم، وتستعار لغيره. وروي البخاري، ومسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية لمسلم: "الحياء خير كله" ٣ وروى الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله

---

١ رواه الترمذي رقم "٢٤٦٠". والحاكم في المستدرك "٤/ ٣٢٣ "وصححه. ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفي سنده الصباح بن محمد بن أبي حازم العجلي الأحمسي الكوفي ضعيف، وللحديث شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه الطبراني فهو به حسن.

---

(١) فيض القدير المناوي ٤٨٧/١

(٢) فيض القدير المناوي ٤٢٦/٣

٢ رواه ابن ماجه رقم "٤٠٥٤"في الفتن. باب ذهاب الأمانة. من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جدا.
٣ رواه البخاري رقم "٦١١٧"في الأدب، ومسلم رقم" ٩٧"في الحياء، وأبو داود رقم" "٤٧٩٦ في الأدب، ومسلم رقم "٩٧"في الحياء، وأبو داود رقم "٤٧٩٦"في الأدب من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.." (١)

"ملك) من ملوك العرب (حمى) يحميه عن غيره ويتوعد من قرب منه بالعقوبة (ألا وان حمى الله) تعالى الذي هو ملك الملوك (في أرضه محارمه) أي المعاصي التي حرمها الله تعالى وأريد بها هنا ما يشمل المنهي وترك المأمور ومن دخل حمى الله تعالى بارتكاب شيء منها استحق عقابه ومن قاربه يوشك الوقوع فيه فالمحتاط لدينه لا يقرب مما يقربه للخطيئة (ألا وأن في الجسد مضغة) قطعة لحم بقدر ما يمضع تقريبا (اذا صلحت) بفتح اللام انشرحت بالهداية (صلح الجسد كله) أي استعملت الجوارح في الطاعة لانها متبوعة له (وإذا فسدت) أظلمت بالضلالة (فسد الجسد كله) باستعماله في المنكرات (الا وهي القلب) لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة أو فاسدة ففاسدة فهو ملك والاعضاء رعية قال الامام أحمد أصول الاسلام ثلاثة وذكر منها هذا الحديث قال المؤلف أراد أنه أحد القواعد التي ترد جميع الاحكام إليها عنده (ق ٤ عن النعمان بن بشير) هذا حديث عليه نور النبوة
(الحلال بين) أي جلى الحل (والحرام بين) لا تخفى حرمته بالادلة الظاهرة (فدع ما يريبك الى ما لا يريبك) فما اطمأن إليه القلب فهو بالحلال أشبه وما نفر عنه فهو بالحرام أشبه (طص عن عمر) // (باسناد حسن) //
(الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه) فلم ينص على حله ولا على حرمته (فهو مما عفى عنه) فيحل تناوله وذا قاله لما سئل عن الجبن والسمن والفراء (ت هـ عن سلمان) الفارسي // (باسناد ضعيف) //
(الحياء) بالمد (من الايمان) أي من أسباب أصل الايمان واخلاق أهله لمنعه من الفواحش وحمله على البر والخير (م ت عن ابن عمر) بن الخطاب وهذا متواتر
(الحياء والايمان مقرونان لا يفترقان الا جميعا) أي كأنهما رضيعا لبان ثدي أو تقاسما أن لا يفترقا قال بعضهم لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ولا فعله حتى ترضى عقله ولا عقله حتى ترضى حياءه وقال بشار
(واعرض عن مطاعم قد أراها ... فأتركها وفي بطني انطواء)

(فلا وأبيك ما في العيش خير ... ولا الدنيا اذا اذهب الحياء)
(طس عن أبي موسى) // (باسناد ضعيف) //
(الحياء والايمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) أي معظمه أو كماله (حل ك هب عن ابن عمر) // (صحيح غريب لكن في رفعه خلف) //
(الحياء هو الدين كله) لان مبتداه ومنتهاه يقضيان إلى ترك القبيح وتركه خير لا محالة (طب عن قرة) بالضم ابن اياس // (باسناد ضعيف) //

(١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية المناوي ص/١٤٥

(الحياء خير كله) لما تقرر فيما قبله ولان من استحيا كان خاشع القلب لله تعالى متواضعا قد برئ الكبر ونحوه وقالوا لا يزال الوجه كريما ما دام حياؤه ولم يرق باللجاج ماؤه وقالوا حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه (م د ن عن عمر أن بن حصين)

(الحياء لا يأتي إلا بخير) لان من استحيا من الناس أن يروه يفعل قبحا دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يهمل فرضا ولا يعمل ذنبا قال بعضهم الحياء دليل الدين الصحيح وشاهد الفضل الصريح وسمة الصلاح الشامل وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه نظم قلائد المحامد ونسق وجمع من خلال الكمال ما افترق وهو اسم جامع يدخل **فيه الحياء من الله لان** ذمه فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح (ق عن عمران بن حصين)

(الحياء من الايمان) لانه يمنع من المعاصي كما يمنع الايمان (والايمان في الجنة) أي يوصل اليها (والبذاء) بذال معجمة." [١]

"حال صاحبه وغيره (هـ عن ابن عمر) بن الخطاب ورجاله ثقات الا جبارة بن المغلس ففيه كلام

(ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا فيعيره به يوم القيامة) المراد عبد مؤمن متق متحرز سقط في ذنب ولم يصر بل ندم واستغفر (البزار طب عن أبي موسى) ضعيف لضعف عمر الاشج

(ما سلط الله القحط) أي الجدب (على قوم الا بتمردهم على الله) أي بعتوهم واستكبارهم وطغيانهم وشرادهم على الله شراد البعير على أهله (قط في) كتاب (رواة مالك) بن أنس (عن جابر ابن عبد الله باسناد ضعيف

(ما شئت ان أرى جبريل متعلقا باستار الكعبة وهو يقول يا واحد يا ماجد لا تزل عني نعمة أنعمت بها علي الا رأيته) يعني كلما وجه خاطره نحو الكعبة أبصره بعين قلبه متعلقا باستارها وهو يقول ذلك لما يرى جبريل من شدة عقاب الله لمن غضب عليه (هـ ابن عساكر عن علي) أمير المؤمنين

(ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا) بالموت (الا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة الى روح الدنيا) بفتح الراء سعتها ونسيمها والمراد بالمؤمن هنا الكامل كما يفيده قول مخرجه الحكيم عقب الحديث فامؤمن البالغ في ايمانه الدنيا سجنه قال وهذا غير موجود في العامة انتهى (واعلم ان) للنفس أربعة دور كل دار منها أعظم من التي قبلها الاولى بطن الام وذلك الحصر والغم والضيق والظلمات الثلاث الثانية هذه الدار التي نشأت فيها واكتسبت فيها الخير والشر الثالثة دار البرزخ وهي أوسع من هذه وأعظم ونسبة هذه الدار اليها كنسبة الاولى الى هذه الرابعة الدار التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار (الحكيم عن أنس) بن مالك

(ما شد سليمان) نبي الله (طرفه الى السماء) أي ما رفع بصره اليها وحدقه (تخشعا حيث أعطاه الله ما أعطاه) من الحكم والعلم والنبوة والملك فكان لذلك **عظيم الحياء من الله جدا** ومقصود الحديث بيان أن شأن أهل الكمال أنه كلما عظمت نعمة الله على أحد اشتد حياؤه وخوفه منه (ابن عساكر عن ابن عمرو) بن العاص باسناد ضعيف

(ما صبر أهل بيت على جهد) شدة جوع (ثلاثا) من الايام (الا أتاهم الله برزق) من حيث لا يحتسبون لان ذلك اختبار من الله فاذا انقضت الثلاثة أيام المحنة آتاهم الله ما هو مضمون لهم (الحكيم) الترمذي (عن ابن عمر) باسناد ضعيف

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٥١٠/١

(ما صدقة أفضل من ذكر الله) أي مع رعاية تطهير القلب عن مرعى الشيطان وقوته وهو الشهوات (طس عن ابن عباس) باسناد صحيح وقول المؤلف حسن تقصير

(ما صف صفوف ثلاثة من المسلمين على ميت) أي في الصلاة عليه (الا أوجب) أي غفر له كما صرحت به رواية الحاكم (ه ك عن مالك بن هبيرة) السكوني

(ما صلت امرأة صلاة أحب الى الله من صلاتها في أشد بيتها ظلمة) لتكامل سترها من نظر الناس مع حصول الاخلاص وانتقاء الرياء (هق عن ابن مسعود) واسناده حسن

(ما صيد صيد ولا قطعت شجرة الا بتضييع التسبيح) قال الزمخشري لا يبعد أن يلهم الله الطير والشجر دعاؤه وتسبيحه كما ألهمنا العلوم الدقيقة التي لا يهتدي اليها (حل عن ابي هريرة) رمز المؤلف لحسنه ونوزع لكن له شواهد منها ما خرجه ابن راهوية أتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقال سمعت رسول الله بقول ما صيد صيد ولا عضدت عضاء ولا قطعت وشيجة الا بقلة التسبيح وما أخرجه أبو الشيخ ما أخذ طائر ولا حوت الا بتضييع التسبيح

(ما ضاق مجلس بمتحابين) ولهذا قيل سم الخياط مع المحبوب ميدان

(خط عن أنس

ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)." [1]

"لأنه يحجز صاحبه عن المعاصي، إذا الحيي يخاف فضيحة الدارين فينزجر عن كل معصية ويمتثل كل طاعة، وأرفع **الحياء الحياء من الله وهو** ألا يراك حيث نهاك، وإنما ينشأ هذا من مراقبة ثابتة للحق والمعرفة به وهي مقام الإحسان. والإيمان لا يخرج عن فعل المأمور واجتناب المنهي، فلذا أفرد الحياء بالذكر لأن رتبته متوسطة بين الأعلى والأدنى.

ولما أشار إلى أعلى الشعب وأوسطها وأدناها ترك بيان الباقي للعلم به بالمقايسة إلى أحد تلك الثلاثة، فمن عرف تلك المقايسة فواضح، ومن لا فيلزمه الإيمان بعموم العدد وإن لم يعرف جميع أفراده، كما يجب الإيمان بالملائكة وإن جهلت أعيانهم وأسماؤهم، كذا في «شرح المشكاة» لابن حجر. وقال الدميري: إنما جعله بعض الإيمان. وسيأتي في الحياء وفضله بسط (متفق عليه) فيه نظر فإن قوله: «فأفضلها قول لا إله إلاالله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» لمسلم فقط، فيؤول كلامه على أن أصل الحديث بدون هذه الزيادة فيهما، وقد تنبه لذلك الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» فقال بعد إيراده باللفظ المذكور: أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه، ووقع لصاحب «المشكاة» كما وقع للمصنف واعترضه شارحها الشيخ ابن حجر المكي بما ذكر. ثم الإخبار عن الإيمان بأنه كذا وكذا شعبة من باب إطلاق الأصل وهو الإيمان على الفرع وهو الأعمال، والحقيقة أنها تنشأ عنه لا أنها هو (والبضع من ثلاثة إلى تسعة) تقديم التاء: أي: ما بينها هذا هو الأشهر وفيه حديث مرفوع «البضع ما بين الثلاث إلى التسع» رواه الطبراني وابن مردويه عن نيارين مكرم، وقيل: ما بين الثلاثة،

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٣٥١

وقيل: اثنين والعشرة، وقيل: من واحد إلى تسعة. وفي «القاموس» : هو ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس، أو ما بين الواحد إلى الأربعة، أو من أربع إلى تسع، أو هو سبع، وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع، لا يقال بضع وعشرون أو يقال ذلك اهـ (والشعبة) في اللغة (القطعة) والغصن من الشجر وفرع كل أصل، وأريد بها في هذا الحديث الخصلة أو الجزء: أي: الإيمان ذو
خصال أو أجزاء متعددة.

١٢٦ – (العاشر: عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: بينما رجل يمشي بطريق) أي: فيها (اشتد عليه." [1]
"المعاصي كما يمنع الإيمان، فسمي إيمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه، وحاصله أن إطلاق كونه من الإيمان مجاز، والظاهر أن الناهي ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان ؛ فلهذا وقع التأكيد، وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية نفسها مما يهتم به وإن لم يكن هناك منكر انتهى.
قال القرطبي: وزجره صلى الله عليه وسلم للواعظ لعلمه أن الرجل لا يضره كثرة الحياء وإلا فقد تكون كثرته مذمومة، وعبر بعضهم في تفسير الوعظ بالعتاب واللوم بأنه بعيد من حيث اللغة فإن معنى الوعظ الزجر وبه فسره التيمي هنا، ومعنى العتب الوجد، يقال: عتب عليه إذا وجد، على أن الروايتين يدلان على معنيين جليلين ليس في واحد منهما حقا حتى يفسر أحدهما بالآخر، غايته أنه وعظ أخاه في استعمال الحياء وعاتبه عليه، والراوي حكى في إحدى روايتيه بلفظ الوعظ وفي الآخر بلفظ المعاتبة انتهى.
والحافظ أبدى هذا احتمالا ثم استدرك عليه باتحاد المخرج، وتفسير أحدهما بالآخر ليس للخفاء إنما هو للاتحاد، فالروايات لا سيما المتحدة المخرج يفسر بعضها بعضا وإن سلم بعده لغة فلا معنى لهذا التعقيب سوى تسويد وجه الطرس بالتغبير في وجوه الحسان، وفيه الحث على الحياء وأجله الاستحياء من الله، قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك.
وقال بعضهم: رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فصارت دينا، وقد **يتولد الحياء من الله تعالى** من التقلب في نعمه فيستحيي العاقل أن يستعين بها على معصيته.
وأخرجه البخاري في الإيمان عن عبد الله بن يوسف عن مالك به وتابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عنده في الأدب من صحيحه وسفيان بن عيينة ومعمر عند مسلم ثلاثتهم عن ابن شهاب نحوه.." [2]
"فيهما حياء فما فيهما هو الرياء في الأغلب فيشكل أن ما يتصور في العبادة وشيء منهما ليس من العبادة فتأمل أولا وثانيا (وهو) أي الحياء (فيهما) أي القبائح والذنوب ولا يخفى أن إرجاع ضمير هو إلى الرجل وضمير فيهما إلى المشي والضحك غير صحيح كإرجاع الأول إلى الحياء مع إرجاع الثاني إلى المشي والضحك (محمود) لكن يشكل أن هذا يقتضي

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٣٦٥/٢
(٢) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٠٧/٤

مساغ الترك والحكم الشرعي هو الوجوب وتعميم المحمودية إلى رتبة الوجوب أو إرادته منها وإن صح أصلا لكن بعيد استعمالا فيرد أنه إن أريد من المرجح المشي والضحك فكونه محمودا في نفسه ممنوع وإن القبائح والذنوب فاللازم هو الوجوب لا المحمودية المحضة فإما يختار الأول بنحو قوله تعالى – ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ [الفرقان: ٦٣]– وقوله تعالى – ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ [الإسراء: ٣٧]– والثاني بنحو ما أشير وبادعاء أن كل محمود فواجب فتأمل (ولو من الناس) لا من الله تعالى فإن الحياء كله خير ولما كان في نفسه مجملا مع إيهامه خلاف الأصل لكونه من الناس واحتاج إلى بيان قال (وسيجيء) إن شاء الله تعالى.

(وأما الحياء من المندوبات والسنن والواجبات فمذموم جدا) لأن الله لا يستحيي من الحق، والاستحياء إنما يكون من الباطل (ويسمى عجزا) وهو في الأصل ترك الطاعة لعدم القدرة عليها (وضعفا) خلاف القوة (خورا) بفتحتين ومعجمة أي لينا خلاف الشدة فإن قيل عدم القدرة يقتضي عند التكليف فكيف يكون مذموما قلنا هو في معناه الأصلي وأما هنا فمعناه الاصطلاحي المنقول (كمن يستحيي من الوعظ) لعظم الحاضرين عنده في الصورة فيتركه إجلالا لهم أو خوفا من تعييرهم وتخطئتهم (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لرفعة المأمور وجاهه (والإمامة والأذان ونحوها) كقراءة القرآن والذكر وتقرير المسائل وفتوى المستفتي فإن قيل قد ورد في الحديث «الحياء خير كله» وفي حديث آخر «الحياء هو الدين كله» وفي حديث آخر «الحياء لا يأتي إلا بخير كله» ، فكيف يكون مذموما؟ قلت قال المناوي في شرح هذه الأحاديث إنه ليس بحياء حقيقة بل عجز ومهانة وخور وإنما يطلق عليه أهل العرف مجازا وحقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الغير.

وقال أيضا سئل بعضهم عن كون الحياء من الإيمان هل هو مقيد أو مطلق فقال مقيد بترك الحياء في المذموم شرعا وإلا فعدمه مطلوب وتركه من النعوت الإلهية ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما﴾ [البقرة: ٢٦] ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ [الأحزاب: ٥٣] (ف) المؤمن (القوي **يؤثر الحياء من الله تعالى**) بانقباض نفسه عن القبائح (على الحياء من الناس) فيأتي بما ذكر من الطاعات بالصدق والإخلاص ولا يبالي." [1]

"بقوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] باق لعل التحقيق في الجواب عن الكل أن يجعل ذلك من قبيل العام الذي خص منه البعض، ولو بنوع التحمل.

(واستعاذة النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – منه) أي الكسل (رواها) في الاستعاذة (خ م عن عائشة – رضي الله تعالى عنها –) ، وعن أبويها (، وأنس – رضي الله تعالى عنه –) القياس تقديم الذكر على الإناث كما في الشهادات لكن لما تقدم من عائشة على أنس في العلم والفقاهة، وقرب النبوة والشرف والفضيلة قدمها في الترتيب فأما عن عائشة فعلى ما في الجامع الصغير برمز الشيخين والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عائشة «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم» إلى آخره قال المناوي الكسل التثاقل والتراخي عما ينبغي مع القدرة أو هو عدم انبعاث النفس لفعل الخير والعاجز معذور

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٦٦/٢

والكسلان لا ومع ذلك هو حالة رديئة، ولو مع عذر فلذلك تعوذ منه.

وأما عن أنس فكما في الجامع برمز الشيخين، وأحمد، وأبي داود والترمذي والنسائي «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل» إلخ عن النووي الكسل انبعاث النفس للخير، وقلة الرغبة فيه مع إمكانه.

(وكون مقتضاه هلاك النفس والبدن) عند التفريط في أمرهما (وكونه تشبها بالجماد) في عدم التحرك وكمال الجمود في الباطن والظاهر كأنه ليس له حركة إرادية (و) كونه (إبطالا للحكمة) من خلقه تعالى وجوده ليعبده تعالى أو من خلقه الحواس ليصرفها للمنافع التي تنبغي لكل منها.

(والعلاج العملي للكسل مجالسة أرباب الجد والسعي) فإن الصحبة سارية والطبيعة سارقة، وعليه يحمل قول بعض السلف استكثر من الإخوان ما قدرت فإن لكل مؤمن شفاعة في تعليم المتعلم قيل

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شر فجنبه سرعة ... وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

وينبغي أن يحبهم حتى تنعكس منهم أحواله كما قيل ومن آثار حب الله تعالى أن يتعدى من المحبوب إلى من يتعلق به ويناسبه، ولو من بعد من محبوب محبوبه ومن يثني عليه حتى منزله ومحلته وجيرانه حتى قيل إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه وينبغي فيمن تريد صحبته خمس خصال العقل وحسن الخلق وترك الفسق والابتداع والحرص على الدنيا (ومجانبة الكسالى والبطالين) قال الله تعالى ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ [الكهف: ٢٨] لئلا يسري إليه حالهم قال في تعليم المتعلم، وأنشدت هذا الشعر عندي

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

وفي مفتاح السعادة قال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكتم ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك في الرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك (والضعف يعالج بالتأمل في **أن الحياء من الله تعالى** أحق، وعذابه أشد) فلا تدع الطاعة لشيء من الأشياء، وفي الحديث «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» (ومجالسة الأقوياء) في عمل الطاعة (وذوي الصلابة في الدين) قال في الحكم العطائية في باب الصحبة لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدل على الله تعالى مقاله قال في شرحه: الصحبة أصل كبير من أصول القوم، وفيها منافع، وفوائد والحال هناك كون همته منحصرة به تعالى معرضا عما سواه وحصر التجائه إليه تعالى، وإسقاط نظره عن غيره تعالى في النفع والضر وإسقاط نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا فصحبة من هذه حاله، وإن قلت عبادته جالبة لكل نفع ديني ودنيوي.

قال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلا من تزيد عنده ببر وتنقص عنده بإثم. وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت، وقال علي – رضي الله تعالى عنه – شر الأصدقاء من أحوجك." [١]

"بكثرة العمل بمقتضاه ورؤية مرضياته، والناس فيه على أربع مراتب:

الأول أن يخلو عن العلم بالقبح والحسن وبقي على الأصل فطرته فهذا أسرع القبول للعلاج فإن صادف مرشدا يحسن خلقه في أقرب زمان.

الثاني أن يعرف القبيح وزين له سوء عمله ومع ذلك علم تقصيره، وهذا أضعف من الأول إذ تضاعفت فيه الوظيفة بقلع ما رسخ فيه أولا وبغرس مواد الصلاح ثانيا.

الثالث أن يعتقد الأخلاق القبيحة حقا وجميلا وتربى على ذلك فهذا يكاد يمتنع معالجته، ولن يرجى صلاحه إلا على الندرة وذلك تضاعف فيه أسباب الضلال.

الرابع أن يكون نشؤه على الضلال الفاسد ومع ذلك يرى الفضل فيه ويتباهى به، وهذا هو أضعف المراتب فالأول جاهل، والثاني جاهل وضال، والثالث جاهل وضال وفاسق، والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير.

(ت عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «استحيوا من الله تعالى حق الحياء» بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد فيقرر علمه بالله فيعيش غنيا بالله ما عاش.

قال البيضاوي: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه بل إنه يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل أو قول.

وقال سفيان بن عيينة الحياء حق التقوى، ولا يخاف العبد حتى يستحيي، وهل وجل أهل التقوى إلا من الحياء. «قلنا إنا لنستحيي من الله تعالى يا رسول الله والحمد لله قال ليس ذلك» أي ليس ما تستحيون حياء في نفس الأمر «، ولكن الاستحياء من الله تعالى حق الحياء أن تحفظ الرأس» كعدم السجدة لغيره تعالى، وعدم صلاة برياء «وما وعى» أي ما جمعه الرأس من اللسان والبصر والسمع قيل من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا تستعملها فيما لا يحل «والبطن» بأكل الحلال بل الطيب منه «وما حوى» ما جمعه البطن من نحو الفرج والرجلين واليدين والقلب فإن هذه لأعضاء متصلة بالجوف أي البطن، والتعبير في الأول بما وعى، وفي الثاني بما حوى للتفنن فكأنه قال كف عنك لسانك فلا تنطق بها إلا خيرا، وأنه شطر الإنسان كما قيل

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

كما في خبر «من صمت نجا» ، وعدم ذكر اللسان ليشمل نحو الفم من أكل الحرام والشبهات، وكأنه قال سد سمعك أيضا من الإصغار إلى ما لا يعنيك واغضض عينيك عن المحرمات والشبهات، ولا تمد عينيك إلى ما تمتع به أعداؤه تعالى من زهرة الدنيا كيف لا، وهو رائد القلب الذي هو سلطان الجسد ومضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. وهنا نكتة في عطف ما وعى على الرأس فحفظ الرأس مجملا عبارة عن التنزه عن الشرك فلا يضع رأسه

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٦١/٣

لغير الله ساجدا ولا يرفعه تكبرا على عباد الله تعالى وجعل البطن قطبا يدور على سائر الأعضاء من نحو القلب والفرج، وفي عطف ما حوى على البطن إشارة إلى حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح، وقد تضمن ذلك كله قوله «وتذكر الموت والبلى» يعني، وليذكر صيرورته في القبر عظاما بالية؛ لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية، وأعضاءه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله تعالى وتعظيمه. وهذا معنى قوله «ومن أراد» سعادة «الآخرة» ، وفوزه بنعيمها «ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى» ؛ لأنهما ضرتان متى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى؛ لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح والدنيا للميولات الهوائية النفسانية فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته، وعلى عاتقه جيفة فكيف يكون حياؤه من الملك فكذا مريد الآخرة مع تمسكه بالدنيا فمن أراد الله فليرفض جميع ما سواه استحياء منه بحيث لا يرى إلا إياه «فمن فعل ذلك» كله." (١)

"رفع أحدهما رفع الآخر قيل عن الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح، وهو مركب من خير وعفة؛ ولذلك لا يكون المستحيي فاسقا، ولا الفاسق مستحيا لتنافي اجتماع العفة والفسق، وقلما يكون الشجاع مستحيا لتنافي الشجاعة مع الجبن، وفي حديث آخر «الحياء خير كله» وفي آخر «الحياء لا يأتي إلا بخير» ؛ لأن الحياء من الناس يفضي **إلى الحياء من الله تعالى**.

فإن قيل قد يكون الحياء في الشرعيات كالأمر بالمعروف وتلاوة القرآن والإمامة والوعظ والنصيحة وتبليغ الشريعة، وأداء بعض العبادات قلنا هذا ليس بحياء حقيقة، وإن اصطلحه الناس بل عجز ومهانة وخور إذ كما عرفت أنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الغير.

وقال بعض الحكماء من كسا الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه، وفي حديث آخر «الحياء والعي» أي سكوت اللسان تحرزا عن الوقوع في البهتان «شعبتان من الإيمان» فإن الإيمان يحمله على الحياء فيترك القبائح ويمنع الاجتراء على الكلام خوفا من عثر اللسان والوقيعة في البهتان، وفي حديث آخر «الحياء والإيمان في قرن – أي هما في حبل – فإذا أسلب أحدهما تبعه الآخر» والمراد هو الحياء الشرعي، وأما ما يكون سببا لترك أمر شرعي فمذموم جدا كما عرفت، وفي آخر أيضا «الحياء زينة» ؛ لأنه من فعل الروح والروح سماوي، وعمل أهل السماء يشبه بعضه بعضا في العبودية، والنفس شهواني أرضي ميال إلى شهوة أخرى، وهكذا لا يهدأ، ولا يستقر فأعمالنا مختلفة فمرة عبودية ومرة ربوبية ومرة عجز ومرة اقتدار فإذا ريضت وذللت وأدبت، وكان السلطان والغلبة للروح جاء الحياء، وهو خجل الروح من كل ما لا يصلح في السماء، وذلك يزين الجوارح الظاهرة والباطنة.

ومنه الوقار والحلم والأناة، وفي حديث آخر «الحياء عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحدة في الرجال» كل ذلك من الجامع الصغير وشرحه فيض القدير. (ت عن أنس – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال «ما كان الفحش» مثل قبح وزنا، والمعنى: كل شيء جاوز الحد فهو فاحش والقول السيئ. «في شيء إلا شانه» من الشين أي العيب «وما كان الحياء في شيء» من الأقوال والأفعال «إلا زانه» من الزينة عن الطيبي أي لو قدر أن يكون الفحش

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٧٢/٣

أو الحياء في جماد لشانه أو زانه فكيف بالإنسان، وأشار بهذين إلى أن الأخلاق الرذيلة مفتاح كل شر بل هي الشر كله والحسنة مفتاح كل خير بل هي الخير كله (، وأفضل **الحياء الحياء من الله تعالى**) ؛ لأنه مانع من مخالفته في الأوامر والنواهي (ثم) الحياء (من الناس فيما لا معصية، ولا كراهة فيه. وأما ما فيه إحداهما كالحياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك السنن كالسواك)

لا سيما عند الوضوء، وكذا عند كل صلاة، وإن قيل بعدم سنيته عند الصلاة على ما حققنا في رسالة (والطيلسان) هو ثوب يجعل فوق العمامة قال المناوي هو ثوب طويل عريض قريب من الرداء مربع يجعل فوق العمامة إلخ ثم قال هو مندوب اتفاقا ويتأكد لصلاة وجمعة، وعيد ومجمع ويقال له القناع أيضا كما يقال للتطيلس التقنع، وصح عن ابن مسعود التقنع من أخلاق الأنبياء، وفي خبر «لا يقنع إلا من استكمل الحكمة» في قوله وفعله وللطيلسان فوائد جليلة كصلاح الظاهر والباطن واستحياء الله وخوفه إذ شأن الخائف الآبق تغطية الرأس، وكجمعه الكفر؛ لأنه يغطي أكثر الوجه فيجمع همته ويحضر قلبه مع ربه ويمتلئ بشهوده وذكره وتصان جوارحه عن المخالفات ونفسه عن الشهوات، وهذه أسباب لإفاضة أنواع الجلالة والمهابة؛ ولذلك قال بعض: الطيلسان الخلوة الصغرى. انتهى ملخصا.

ثم قال ابن حجر الهيتمي التقنع تغطية الرأس بطرف العمامة وبرداء أو نحو ذلك ليقي نحو العمامة مما به من الدهن وصح أنه – عليه الصلاة والسلام – «أتى بيت أبي بكر للهجرة متقنعا بثوبه» ثم قال أنكر ابن القيم الطيلسان لعدم النقل عنه – عليه الصلاة والسلام –، ولا عن صحابته بل هو فعل الدجال ولإنكار أنس؛ ولكراهة جمع من السلف والخلف ثم قال: وأما فعله – عليه الصلاة والسلام – فلضرورة الاختفاء بلا عادة، وكذا ما روي أنه يكثر التقنع ثم أجاب الهيتمي بأن قوله لم يلبسه يرده خبر «كان يكثر القناع» . وقوله." (١)

"المرفوع بغير عمد ومجاري هذه البحار والأنهار وفي النصائح املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها وفي حديث آخر «تفكروا في خلق الله تعالى» .

قال المناوي أيضا كالسموات بكواكبها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والأرض بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيواناتها ونباتها وما بينهما وهو الجو بغيومه وأمطاره ورعده وبرقه وصواعقه فلا تتحرك ذرة منه إلا ولله تعالى ألوف من الحكمة فيها شاهدة له بالوحدانية دالة على عظمته وكبريائه ثم قال قالوا كان الرجل من بني إسرائيل إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته سحابة ففعله رجل فلم تظله فشكا لأمه فقالت لعلك أذنبت قال لا فقالت هل نظرت إلى السماء فرددت طرفك غير متفكر فيها قال نعم قالت من هنا أذنبت فعلى العاقل أن لا يهمل التفكر ومن الجوائز أن تروح غدا مع الجنائز فالعاقل يتفكر في نهار يحول وليل يزول وشمس تجري وقمر يسري وسحاب مكفهر وبحر مستطر وخلق تمور ووالد يتلف وولد يخلف ما خلق الله تعالى هذا باطلا وإن بعد ذلك أشوابا وأحقابا وحشرا ونشرا وثوابا وعقابا والتفكر أربعة فكر في آيات الله وفكر في خلقه وعلامته تولد المحبة وفكر في وعد الله بالثواب وعلامته تولد الرغبة وفكر في وعيده بالعذاب وعلامته تولد الرهبة وفكر في جفاء النفس مع إحسان الله وعلامته **تولد الحياء من الله تعالى** (حتى يزيد ويعظم) أي بسبب

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٧٤/٣

ذلك التفكر (معرفة عظمة الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فيحصل فيه محبة الله تعالى والشوق إليه والأنس به قال الله تعالى ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات.
كما روي عنه – صلى الله تعالى عليه وسلم – «لا عبادة كالتفكر» ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ [آل عمران: ١٩١] أي يتفكرون قائلين ذلك وفي الجامع فكر ساعة أي صرف الذهن لحظة من العبد في تدبر تقصيره وتفريطه في حقوق الحق ووعده ووعيده وحضوره بين يديه ومحاسبته وخوف خسرانه وجوازه على الصراط وشدته وحدته ونحوها خير من عبادة ستين سنة بلا تفكر في مثل هذه الأحوال لأن تفكره بنحو ما ذكر يقوي خوفه ويجمع همته وصارت الآخرة نصب عينه فتقع العبادة بفراغ قلب ونشاط وجد ومن قل تفكره." (١)

"لم يدهشهم ذلك بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال وهم يجمعون بين ممارسة الأعمال والمراقبة **بغلبة الحياء من الله تعالى** عليهم فيثبت أحدهم فيه ويفر من الفضيحة في القيامة فينظر قبل العمل إن لله فيمضيه أو لغير الله فيستحي من الله فيكف عنه فيلوم نفسه في رغبتها فيه ويردها فإنها عدوة نفسه إن لم يتداركها الله بعصمته ثم مراقبة الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الآداب وحراستها من الآفات ومراقبة المعصية بالتوبة والندم والحياء والتفكر.
ومراقبة المباح بمراعات الآدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر (ثم المحاسبة بعد العمل) هل أتم المشروط بشرائطه وأركانه (أو نقص) منه اعلم أن تفصيل المحاسبة على ما في المفتاح كالمراقبة أن التاجر يستعين بشريكه فيشارطه أولا ثم يراقبه ثانيا ثم يحاسبه ثالثا ثم يعاتبه رابعا كذلك العقل هو التاجر في متاع الآخرة وشريكه النفس فعليه أن يحاسبها لأن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عرض يمكن أن يشترى بها كنوز لا تتناهى أبد الآباد فيقول للنفس في صبيحة كل يوم مالي بضاعة إلا العمر فمهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس من التجارة وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله تعالى فيه وأنسأ في أجلي ولو توفاني لأتمنى أن أرجع إلى الدنيا وأعمل صالحا وإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم فإن كل نفس جوهرة لا قيمة لها فهذه وصية لنفسه في أوقاته ثم يستأنف لها وصية في أعضائه السبعة ويسلمها إليها فإنها رعايا خادمة لها في هذه التجارة وإن لم يحفظ هذه الأعضاء صارت سبعة أبواب لجهنم.
أما العين فيحفظها عن المحرمات بل عن مطلق الفضول ثم يأمر بصرفها إلى ما خلقت له وكذا سائر الأعضاء ثم يراقب عند العمل والمراقبة من مبادئ مرتبة الإحسان ثم رأس مال السالك في دينه الفرائض وربحه النوافل وخسرانه المعاصي وموسم التجارة جملة النهار فإن وقع أداء الفرائض على الكمال فيشكر ويرغب في مثلها وإن فوتها يقضي وإن أداها ناقصة يجبرها بالنوافل وإن صدرت معصية اشتغل بتعذيب النفس ومعاتبتها ليتداركها ثم يحاسب نفسه عن خواطره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت مثلا إذا أكل لقمة بشبهة يعاقبها بالجوع وإذا نظر إلى محرم يعاقب العين بمنع النظر وهكذا وهكذا (ثم المعاتبة والمعاقبة) إن نقص منه (بنحو الجوع والعطش والسهر والنذر بالتصدق ونحوه) من الأفعال الشاقة كالصوم والاعتكاف والحج (حتى لا يرجع إليه ثانيا) .

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٤٨/٣

ثم اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء فإن أهملت في منعها عن شهواتها شردت وجمحت وإن عاتبتها تكون لوامة وعسى أن تصير مطمئنة فلا تغفل عن وعظها ساعة وقل لها أنت تدعين الحكمة والفطنة وأنت الحمقاء أما تعرفين الجنة والنار وأنك صائرة إلى إحداهما فمالك تشتغلين بالهوى واللهو أما تعلمين أن كل آت قريب (فمجموع ما ذكر من الأخلاق الحميدة تبعا) أي في ضمن آفات القلب (وأصالة) كما بعد تمام ذلك (ثمانية وسبعون) لعله تقسيم استقرائي بل جعلي (إيمان اعتقاد أهل السنة إخلاص، إحسان، تواضع، ذكر، منه نصيحة، تصوف، غيرة، غبطة، في عمل الآخرة سخاء، إيثار، مروءة، قوة، حكمة، شكر، رضا صبر، خوف، من الله حزن له رجاء، بغض، في الله حب في الله توكل، حب، خمول، استواء، ذم، ومدح، مجاهدة، تحقيق، قصر أمل ذكر موت تفويض، تسليم، تملق، في طلب العلم سلامة صدر عن حقد شجاعة، حلم، رفق، أمانة، وفاء عهد إنجاز وعد حسن ظن زهد، قناعة، رشد، سعي، أناة، مبادرة في عمل الآخرة رقة، شفقة، حياء، صلابة، في أمر الدين أنس بالله شوق إليه محبة الله تعالى وقار، ذكاء، عفة، استقامة، أدب، فراسة،." (١)

"قوله ﴿قل للمؤمنين﴾ [النور: ٣٠] إلى آخره من قبيل الأمر بالأمر وقرر في الأصول أنا الأمر بالأمر ليس بالحقيقة كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين» فتأمل حتى يظهر الجواب ثم لا شك أن بعضية غض البصر مستفادة من كون كلمة من للتبعيض أقول إنما يحتاج إلى ذلك إذا لم يعقبها الاستثناء بقوله إلا لبعولتهن فإن هذه الآية وإن دلت بعبارتها على النسوان لكن لا يخفى أن المقصود دلالتها على الرجال بطريق الدلالة فعلى هذا يلزم حملها على غير التبعيض حتى يستقيم الاستثناء وحمل استفادة التبعيض على ما بعد الاستثناء بعيد بالنظر إلى السوق وإن كان قريبا بالنظر إلى ذات المقام فتأمل جدا أيضا (أعني ما كان نحو المحرم وتنبيه على فائدة الغض وهي التزكية والطهارة) من قوله ﴿أزكى لهم﴾ [النور: ٣٠] (للقلوب) إذ بالنظر إلى المحرم يتحصل تشه وميل وترقب فرصة معصية في القلب (أو تكثير الخير والطاعة) على أحد احتمال قوله ﴿أزكى﴾ [النور: ٣٠] .

والأولى أن يجعل مضمون قوله ﴿ذلك أزكى﴾ [النور: ٣٠] علة للنهي فتكون من النصوص المعللة الموجبة لتأكيد الحكم (إذ بالنظر) إلى المحرم (تحصل خواطر تشغل عن ذكر الله تعالى) بل خواطر توجب المؤاخذة كالنية المصممة على فعل الفساد (ويفوت حضور القلب وجمعية الخاطر) عليه لاشتغاله بما ينشأ عن ذلك النظر وقد قال الله تعالى ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ [الإسراء: ٣٦]- لعل المراد بحضور القلب وجمعية الخاطر هو الاستغراق في ملاحظة جلاله وجماله تعالى ويحتمل أن يراد بهما المحاسبة والمراقبة المشار إليهما فيما مر قال في مفتاح السعادة اعلم أن التاجر يستعين بشريكه فيشارطه أولا ثم يراقبه ثانيا ثم يحاسبه ثالثا ثم يعاقبه رابعا كذلك العقل هو التاجر في متاع الآخرة وشريكه النفس فعليه أن يحاسبها الآن، كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفسية لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنوزا لا تتناهى أبد الآباد فيقول في صبيحة كل يوم مالي بضاعة إلا العمر فمهما فقد فني رأس المال ووقع اليأس من التجارة وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله تعالى فيه وأنسأ لي أجلي ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا أعمل فيه صالحا

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٥٠/٣

فإياك ثم إياك أن تضيع هذا اليوم فإن كل نفس جوهرة لا قيمة لها، ثم يستأنف وصية في أعضائه السبعة ويسلمها إليها فإنها رعايا خادمة لها وإن لم يحفظ هذه الأعضاء صارت سبعة أبواب لجهنم أما العين فيحفظها عن المحرمات بل عن الفضول فإنها مسئولة عن فضول كل كلام ثم يؤمر بصرفها إلى ما خلقت هي له وكذا سائر السبعة ثم لا يخفى أن حقيقة المراقبة مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه ولا يتم هذا إلا بمعرفة أن الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب بالأعمال وإذا استولت على القلب هذه المعرفة مالت إلى جانب ملاحظته، والموافقون لهذه المعرفة هم المقربون المنقسمون إلى الصديقين وإلى صاحب اليمين.

وأما مراقبة الصديقين فهي مراقبة التعظيم والإجلال بأن يستغرق قلبه في ملاحظة ذي الجلال والإكرام ويصير منكسرا تحت الهيبة فلا يبقى معه متسع للغير أصلا وتبقى جوارحه متعطلة عن المناجاة فضلا عن المحظورات ومثل هذا يغفل عن الخلق كلهم حتى لا يبصر من عنده وعينه ناظرة إليه ولا يسمع الكلام وليس به صمم وقد يمر على ابنه ولا يكلمه وقال بعضهم لمن عاتبه على عدم الالتفات إذا مررت بي فحركني ومثل هذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه إذ لا يتحرك إلا بما هو فيه وأما مراقبة الورعين وهم قوم غلبت مطالعة جمال الله على قلوبهم وبواطنهم وظواهرهم ولكن لم يدهشهم ذلك بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال يجمعون بين ممارسة الأعمال والمراقبة بغلبة الحياء من الله تعالى عليهم فيثبت فيه فيفر من الفضيحة في القيامة (وتدعوك إلى أمور محرمة ويجد الشيطان حينئذ فرصة) إذ هو سهم من سهام إبليس يصيد به عباده (وطريقا إلى الإضلال ويملأ." (١)

"الأخلاق (كما قسم بينكم أرزاقكم) ولا يعطي ولا يمنع [١/ ٢٧٢] إلا لحكمة له في ذلك فاستحيوا منه ولا تأتوا ما لا يرضاه فليستعمل هذا الخلق الذي وهبه فيما يرضيه كما أنه لما كان قاسم الأرزاق واهبها فلا تنفق إلا فيما يرضيه، وفي الحديث دليل على أن الأخلاق عزيزة يهبها الله لمن يشاء من عباده، قال القرطبي (١): الخلق جبلة في نوع الإنسان وهم في ذلك متقاربون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة حتى يصير محمودا وكذا إن كان ضعيفا فإنه يرتاض صاحبه حتى يقوى فإن من أعطاكم الأرزاق والأخلاق هو الذي يجب الحياء من مخالفته رعاية لسابق نعمته ويأتي بيان الحياء من الله في الحديث الثاني (تخ عن ابن مسعود) (٢) رمز المصنف لحسنه.

٩٦٧ - "استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء (حم ت ك هب) عن ابن مسعود (صح) ".

(استحيوا من الله حق الحياء) وكأنه قيل وكيف نستحي منه تعالى حق الحياء؟ وفي رواية: قالوا يا رسول الله إنا نستحي من الله، كما في رواية الترمذي فقال: (من استحى من الله حق الحياء) من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الحياء الحق الذي لا باطل فيه إشارة إلى أن من الحياء ما هو باطل وهو الذي يفضي بصاحبه إلى الإخلال بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٤/ ٥٨

المنكر

---

(١) نقل ذلك عن المفهم للقرطبي نقله الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣١٣) في ترجمة صباح بن محمد بن أبي حازم البجلي ليس فيه "استحيوا من الله تعالى حق الحياء". وصباح بن محمد قال ابن حبان يروي الموضوعات. انظر الميزان (٣/ ٤٢٠).

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٨٠٦) وفي السلسلة الضعيفة (٢٨٢٢).." [1]

"والد يتلف وولد يخلف ما خلق الله هذا باطلا وإن بعد ذلك شوابا وأحقابا وحشرا ونشرا وثوابا وعقابا، قال بعضهم التفكر على أربعة أنحاء: فكرة في آلاء الله وعلامتها تولد المحبة.

قلت: وعليها قوله - صلى الله عليه وسلم -: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه" (١)، وفكرة في وعد الله وعلامتها تولد الرغبة، وفكرة في وعيده بالعذاب وعلامتها تولد الرهبة، وفكرة في جفاء النفس مع إحسان الله وعلامتها **تولد الحياء من الله عز** وجل. (ولا تفكروا في الله). (حل) (٢) عن ابن عباس) قال الهيثمي فيه الوازع متروك، وقال شيخه العراقي: سنده ضعيف جدا ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه أصح من هذا، وقال السخاوي (٣): هذه الأسانيد كلها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٦)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (١/ ٨١)، وكشف الخفاء (١/ ٣٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٧٦).

(٣) انظر: المقاصد الحسنة (ص: ٢٦١).." [2]

"من خصال الإيمان وهذا الحصر ادعائي لا حقيقي. (طب) (١) عن قرة) هو ابن إياس قال: ذكر الحياء عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: الحياء من الدين فقال: "بل هو الدين كله" وضعفه المنذري وقال الهيثمي: فيه عبد الحميد بن سوار ضعيف.

٣٨٤٧ - "الحياء خير كله". (م د) عن عمران بن حصين (صح).

(الحياء خير كله) لأنه مبدأ الخير فلا يأتي منه إلا الخير وأما الحياء الذي ينبع عن المواجهة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلا فإنه لا يعد حياء بل ضعف في القلب وخور في الطبع ورعونة في الأخلاق فإنه لا يؤثر **على الحياء من الله غيره** إلا من كان كذلك وأما من آثر الله سبحانه وتعالى على عباده فلا يستحي عن أمرهم بما أمر الله به ونهيهم عما نهى عنه. (م

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣١٤/٢

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٨٤/٥

د) (٢) عن عمران بن حصين) وفي الباب عن أنس وغيره.

٣٨٤٨ - "الحياء لا يأتي إلا بخير". (ق) عن عمران بن حصين (صح).
(الحياء لا يأتي إلا بخير) لأن من استحيا من الناس أن يروه على قبيح دعاه ذلك إلى الحياء من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة. (ق) (٣) عن عمران بن حصين) ورواه عنه أيضا أحمد وغيره.

٣٨٤٩ - "الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار". (ت ك هب) عن أبي هريرة (خد هـ ك هب) عن أبي بكرة (طب هب) عن عمران بن حصين.
(الحياء من الإيمان) قال جار الله (٤): جعل كالبعض منه لمناسبته له لأنه يمنع

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٩) (٦٣)، وانظر الترغيب والترهيب (٣/ ٢٦٨)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٨٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).
(٤) انظر: الفائق (١/ ٣٤٠).." [1]

"إلا كنا عليكم شهودا: رقباء مطلعين عليه ظاهرا وباطنا، إذ تفيضون فيه: حين تخوضون فيه وتندفعون إليه، يقال: أفاض الرجل في الأمر: إذا أخذ فيه بجد واندفع إليه، ومنه: فإذا أفضتم من عرفات «١» ، وما يعزب عن ربك أي: ما يغيب عنه من مثقال ذرة: ما يوازن نملة، في الأرض ولا في السماء والمراد: لا يغيب عنه شيء في الوجود بأسره، وخصهما لأن العامة لا تعرف غيرهما. قال في الكشاف: فإن قلت: لم قدم هنا الأرض بخلاف سورة سبأ»
؟ فالجواب: أن السماء قدمت في سبأ لأن حقها التقديم، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض. هـ.
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين أي: اللوح المحفوظ، أو علمه تعالى المحيط، المبين للأشياء على ما هي عليه.
الإشارة: هذه الآية وأمثالها هي أصل المراقبة عند القوم، وهي على ثلاثة أقسام: مراقبة الظواهر، ومراقبة القلوب، ومراقبة السرائر. فالأولى للعوام، والثانية للخواص، والثالثة لخواص الخواص.
فأما مراقبة الظواهر: فهي اعتقاد العبد أن الله يراه، ومطلع عليه في كل مكان، فينتج له الحياء من الله، فيستحيي أن يسيء الأدب معه وهو بين يديه، وفي بعض الأخبار القدسية: «إن كنتم تعتقدون أني لا أراكم، فالخلل في إيمانكم، وإن كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم؟» .
وقال- عليه الصلاة والسلام-: «أفضل الناس إيمانا من يعلم أن الله معه في كل مكان» أو كما قال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٤٨/٥

وروي إن عبد الله بن عمر رضى الله عنه مر براعي غنم، فقال له: أعطنا شاة من غنمك، فقال له: ليست لى. فقال له: قل لصاحبها أكلها الذئب، فقال له الراعي: وأين الله؟!. وروي أن رجلا خلا بجارية فراودها على المعصية، وقال لها: لا ترانا إلا الكواكب، فقالت له: وأين مكوكبها؟.

وأما مراقبة القلوب فهي: تحقيق العبد أن الله مطلع على قلبه، فيستحي منه أن يجول فيما لا يعني، أو يدبر ما لا يفيد ولا يجدي، أو يهم بسوء أدب فإن جال في ذلك استغفر وتاب.

وأما مراقبة السرائر فهي: كشف الحجاب عن الروح، حتى ترى الله أقرب إليها من كل شيء، فتستحي أن تجول فيما سواه من المحسوسات، فإن فعلت بادرت إلى التوبة والاستغفار، فالتوبة لا تفارق أهل المراقبة مطلقا، وقد تقدم في أول سورة النساء «٣» بعض الكلام على المراقبة، فمن لم يحكم أمر المراقبة، لم يذق أسرار المشاهدة.

---

(١) من الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

(٢) فى قوله تعالى «عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض ... » الآية: ٣.

(٣) راجع إشارة الآية الأولى من سورة النساء.." [1]

"بيان الخطأ في ترك الطاعات خوفا من الرياء:

من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به، وذلك غلط وموافقة للشيطان وجر إلى البطالة وترك للخير، فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم **قلبك الحياء من الله إذا** دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين، وهو مطلع على قلبك، بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل، فإن قال لك الشيطان: أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهية الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى، وإن لم يبق باعث ديني، بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك.

بيان ما على المريد قبل العمل وبعده وفيه:

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته، ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله ؛ فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله، فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وإحباط العمل، وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة، فإن النفس تكاد تغلي حرصا على الإفشاء، فينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله ملك الآخرة ونعيم الجنة أبد الآباد، وعظم غضب الله على من طلب بطاعته ثوابا من عباده، ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره، ولا يتحدث به، وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده، مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها، ويكون هذا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٨٣/٢

الشك والخوف في دوام عمله وبعده، وأما في الابتداء فيكون متيقنا أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله، وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق، وهو غافل عنه.

والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط، ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه، فإن ذلك يحبط الأجر، فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكبر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره ؛ نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا يريده، ولا يستبعده منه لو قطعه.

ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله ويتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله، لا ليكون له في قلبه منزلة، ولا في قلب الخلق، فإن العباد أمروا ألا يعبدوا إلا الله، ولا يريدوا بطاعتهم غيره.

وأما المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه، ولا يخطر بقلبه." (١)

"كتاب (الرد على الجهمية) في باب (بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن) وساق مثل ما تقدم عن ابن عباس. ثم قال: فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النساء (٤) : آية ٤٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (٤٣)

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر في جماعة كانوا يشربونها ثم يصلون. أي من مقتضى إيمانكم الحياء من الله. ومن الحياء منه أن لا تقوموا إلى الصلاة وأنتم سكارى لا تعلمون ما تخاطبونه. فالحياء من الله يوجب ذلك. وتصدير الكلام بحرفي النداء والتنبيه، للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي. وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة، مع أن المراد هو النهي عن إقامتها، للمبالغة في ذلك.

قال الحافظ ابن كثير: كان هذا النهي قبل تحريم الخمر. كما دل عليه الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى: يسئلونك عن الخمر والميسر [البقرة: ٢١٩] . الآية. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر. فقال: اللهم! بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه. فقال: اللهم! بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات. حتى نزلت: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إلى قوله تعالى: فهل أنتم منتهون [المائدة:

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٢٤١

٩٠- ٩١] . فقال عمر: انتهينا. انتهينا.

ولفظ أبي داود «١» عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر فذكر الحديث.

وفيه: نزلت الآية التي في النساء: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون. فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قامت الصلاة، ينادي: لا يقربن الصلاة سكران.

---

(١) أخرجه في: الأشربة، ١- باب في تحريم الخمر، حديث ٣٦٧٠.." [١]

"حق الحياء» ، قلنا: إنا نستحي من الله يا رسول الله، والحمد لله، قال: «ليس ذلك.

ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى- كالسمع والبصر واللسان- والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا- لم يفتتن بها حتى تشغله عن الواجبات- وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» ، وعن بعض السلف. رأيت المعاصي مذلة فتركتها مروءة. فصارت ديانة، وقد **يتولد الحياء من الله تعالى** من التقلب في نعمه.

فيستحي العاقل أو يستعين بها على معصية.

وليس من أثر الحياء قعودك عن مواجهة من يرتكب إثما، ونهيه عن ذنبه، ولا عدم مطالبتك بحق أنت في حاجة إليه. ولا تركك السؤال لأستاذك عن مسألة خفيت عليك، أو ترى فيها غير ما يرى، خجلا منه أو من إخوانك أو خشية أن تكون مخطئا في رأيك، ولا تركك القول في مجلس رفع الباطل فيه أو الخطأ رأسه. وأنت بالحق والصواب عليم كل ذلك وأشباهه ليس من أثر الحياء المحمود؛ إنما ذلك أثر العجز والمهانة، والجبن والحقارة، وإطلاق الحياء عليه للشبه بينه وبين الحياء الحقيقي.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشد حياء من الكبر في خدرها «١» ، وما ترك النهي عن المنكر، ولا أقر باطلا، ولا سكت على خطأ، وفي الصحيح عن عائشة قالت: رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن، وأن يتفقهن في الدين. وروى البخاري عن أم سلمة أنها قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق؛ فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال: «نعم إذا رأت الماء» «٢» .

وروي أيضا عن أنس قال: «جاءت امرأة إلي النبي صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها؛ فقالت: هل لك حاجة في؟ (تريد الزواج به) فقالت ابنته: ما أقل حياءها فقال: «هي خير منك. عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسها» «٣» .

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحياء (٦١١٩) .

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١١٥/٣

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين (٦١٢١) .

(٣) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين (٦١٢٣) .." [١]

"الكاتب: محمد رشيد رضا

أمالي دينية

(الدرس السابع عشر)

] ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [[*]

(٤٧) السمع والبصر

قام البرهان على أن واجب الوجود الذي استمد منه وجوده كل موجود، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ومن المعلومات ما يسمى العلم به سمعا ، ومنها ما يسمى العلم به بصرا ، ولهذا سمى الله نفسه سميعا بصيرا كما سمى نفسه عالما وعلاما وعليما ، ولا يمكن أن يكتنه العقل كيفية علم الله تعالى بالمسموعات والمبصرات كما يستحيل أن يكتنه كيفية علمه بسائر الأشياء إليه. بل الإنسان عاجز عن اكتناه علمه وسمعه وبصره وعقله ، وهي أقرب الأشياء وبها يدرك ويحكم ، ويقول الفلاسفة: إنه عاجز عن اكتناه أي شيء من الأشياء كما قررناه من قبل. ولكن الذين ساروا في تقرير العقائد على طريق قياس الغائب على الشاهد ، والقديم على الحادث قالوا في صفتي السمع والبصر نحو ما تقدم في صفة (العلم) أي أنهم لاحظوا أن لفظي السميع والبصير يطلقان على من يسمع ويبصر بالفعل ، وعلى من له قوة بها يدرك المسموعات وهي ما يسمى السمع ، وقوة يدرك بها المبصرات وهي ما يسمى البصر ، فقالوا: إن لله تعالى صفتين قائمتين بذاته تعالى يدرك بهما المسموعات والمبصرات وهما: السمع والبصر.

ثم اضطروا إلى التفرقة بين الحادث والقديم فقالوا: إن سمع الله تعالى بغير أذنين ، وبصره بغير عينين ، ولا يشترط فيهما ما يشترط في الصفتين الحادثتين ، وإن ما ورد في الكتاب من إضافة العين والأعين إليه تعالى في قوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾ (طه: ٣٩) وقوله: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ (الطور:

---

(١) الأدب النبوي محمد عبد العزيز الخَوْلي ص/١٥٤

٤٨) فهو من المتشابه ، وفيه المذهبان المعروفان. وبالغ بعضهم في التحكم بالتفرقة فقال: إن سمع الله تعالى وبصره يتعلقان بجميع الموجودات ، بمعنى أنه تعالى يسمع الأجسام نفسها وجميع أعراضها من لون ومقدار وطعم وريح ، كما يسمع الأصوات ويبصر الأصوات كما يبصر سائر الموجودات ، وجرى أكثر المؤلفين بعد صاحب هذا القول على تقرير قوله ، وجعلوه من أصول العقائد وأسس الدين. ثم غلوا في هذه الفلسفة ، وزاد بعضهم صفة أخرى سموها (الإدراك) ، وطفقوا يدققون في الإيرادات وأجوبتها ، والذي استقر رأيهم عليه أن الله تعالى يعلم الشيء الواحد على ما هو عليه بعدة صفات ، وأن علمه به بواسطة كل صفة منها غير علمه به بواسطة الأخريات. مثال ذلك أن الله تعالى يعلم صوتي بصفة العلم وبصفة السمع وبصفة البصر وبصفة الإدراك عند من يقول بها منهم ، وأن أنواع العلم وطرقه مختلفة والمعلوم واحد.

أوجبوا على الناس أن يعتقدوا بهذه الفلسفة الدينية والتحكم النظري. وإن كان لم يشهد لهما كتاب ولا سنة ولا لغة ، ولم يقل بهما أحد من سلف الأمة مع اعتراف هؤلاء كلهم بأن صفتي السمع والبصر من الصفات السمعية التي لا وظيفة للعقل فيها إلا حملها على معنى غير محال أن يوصف به واجب الوجود. على أن اللغة تنافيها. والعقل لا يقتضيها، إذ لو كانت من أصول الإيمان لما سكتت عنها السنة والقرآن. الذي نعتقد أنه لم يفرط فيه من شيء يتعلق بأصل الدين. لا سيما ما يجب لرب العالمين.

(٤٨) الواجب اعتقاده

هو الوقوف عند ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وهو أن الله تبارك وتعالى سميع لأقوال العباد بصير بأعمالهم وأحوالهم من غير بحث في كنه هذا السمع وهذا البصر ، وكيف يحصلان ، وهل هما بصفتين زائدتين على الذات أو داخلتين في مفهومها أو غير ذلك ، ومن غير مقارنة بينهما وبين العلم ، ولا بحث في النسبة بين الأمرين فإن الله تعالى عندما أخبرنا بسمعه وبصره ابتدأ بتنزيهه عن مشابهة أي شيء من الأشياء ، فقال عز من قائل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: ١١) ، وهذا الاعتقاد يسهل فهمه وقبوله على الجهول والعليم والعامي البليد والفيلسوف الحكيم. وأما تلك التحليلات والتعمقات فإنها تتعاصى على أفهام العامة. وتكون مثار الشبهات عند الخاصة. ولا يليق هذا بدين الفطرة والحنيفية السمحة.

(٤٩) الاعتبار

من أراد أن يطيل الكلام في مثل هذا المقام؛ فالأولى له أن يستعين بهذا الاعتقاد على إنذار الغافلين من العباد. فيستثير العبرة من أعماق القلوب ، ويستنزل العبرة من سماء العيون ، وينبه النفوس **إلى الحياء من الله تعالى** أن يراها حيث نهاها فيكون عندها أهون الناظرين ، وأن يسمع منها ما لا يرضاه ، فإنه لا يحب الجهر بالسوء من القول. ذلك ما كان يفهمه العرب من إطلاق هذه الصفات القدسية ، وهذا هو التأثير الذي كان يودعه في قلوبهم ، وهذا الذي يليق بحكمة الله تعالى وجلاله ، ويجعل دينه مصلحا للنفوس ومثقفا للعقول. بتذكيرها بمراقبته ، وحملها على خشيته. ولم يكن بناء دينه على نظريات أرسطو وأفلاطون. والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

((يتبع بمقال تال))

(*) (الشورى: ١١) .." [1]

"الكاتب: محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

عرض أعمال الأمة على النبي

صلى الله عليه وسلم

(س ٩١) عبد الحميد أفندي السوسي بالإسكندرية: أرفع لفضيلتكم هذا السؤال وهو أني سمعت فقيها يقول: إن أعمال الأمة المحمدية تعرض على الحضرة المصطفوية كل أسبوع، وبالسؤال منه عن الكيفية أجابني بأنها تعرض عليه مقيدة في كشف ، فلم أرتح لجوابه وطالبته بزيادة الإيضاح بكل احترام فما كان منه إلا أن رماني بالكفر ونهرني (وأنا السائل) وشتمني وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام يقول: (ما بعثت سبابا ، ولكن بعثت رحمة للعالمين) حصل بيني وبينه ما حصل ولم أستفد منه شيئا غير ما تقدم. ولما كنتم فضيلتكم من الذين يجب علينا أن نأخذ الدين عنهم لا عن سواهم عولت على أن أستفهم من سيادتكم عن صحة ما

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣/٦٧٥

سمعته من الفقيه راجيا إجابتي بجواب مؤيد بالدليل كما هي عادتكم مع بسط الكلام عن حكمة العرض وكيفيته ولكم من الله الأجر ومن المؤمنين الشكر

(ج) إن هذا الذي قاله لك من سميته فقيها غير صحيح، على أنه من أمور الآخرة أي من عالم الغيب الذي لا يبيح الدين لأحد أنك يقول فيه برأيه واجتهاده، وإنما يجب الوقوف فيه عند النصوص الثابتة عن الشارع فإذا كانت هذه النصوص قطعية كآيات القرآن العظيم كان الإيمان بما ورد فيها حكاية عن عالم الغيب واجبا وتكذيبها كفرا، وإذا لم تكن قطعية كأحاديث الآحاد ولو صحيحة السند لا يكون التسليم بها وجبا بأن تعد من أركان الإيمان التي يكفر منكرها، فكيف يكفر من يسأل عن كيفيتها وبيانها؟

نعم، إن من ثبت عنده حديث في ذلك لابد أن يصدقه ويسلم بمضمونه إذا كان ممكنا شرعا وعقلا أو بحمله على وجه ممكن. ثم إن ما ثبت من النصوص عن عالم الغيب يجب أن تؤخذ على ظاهرها أي من غير اجتهاد فيها ولا بحث عن كيفية ما لم يرد في النصوص ولا بيان كيفيته، فإذا فرضنا أن عندنا آية على أن الأعمال تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، لم يكن لنا أن نسأل عن كيفية العرض؛ لأنه من عالم الغيب الذي لا نعرفه وإنما نؤمن بما جاء فيه عن الله تعالى لأنه جاء عن الله تعالى، وهذا لا يمنعنا عن البحث في فائدة إخبار الله تعالى به إذ ليس في الدين شيء إلا وهو لمنفعة الناس وإصلاح حالهم. ولو كانت مسألة عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته من قواعد الإيمان التي يكفر منكرها لما خلت كتب العقائد من ذكرها، ولكن هؤلاء الشيوخ قد تعودوا على تكفير كل من يعارضهم في مسألة دينية كأن الدين من مقتنياتهم يهبونه لمن شاؤوا ويمنعونه من أرادوا، وقد يكون بعضهم أجدر بالكفر لكذبه على الله وتكفير المؤمنين.

هذه المسألة لم ترد في كتاب الله تعالى ولا في أحاديث الصحيحين أو السنن أو المسانيد، وإنما ورد فيها خبر آحادي مرسل عن بكر بن عبد الله المزني عند ابن سعد وهو (حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تحدثون فيحدث لكم، فإذا أنا مت عرضت علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله تعالى، وإن رأيت شرا استغفرت الله لكم) وورد بلفظ آخر، وقد اختلف العلماء في الاحتجاج بالحديث المرسل في الأحكام العملية فذهب بعضهم كالشافعية إلى أنه لا يحتج به فكيف يجعل حجة في العقائد وأصول الإيمان؟ على أن هذا معارض بمثل حديث عائشة عند البخاري إذ قالت: وارأساه! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ذاك لو كان وأنا حي

فأستغفر لك وأدعو لك) .. الحديث ، وهو أصح سندا ومسند لا خلاف في الاحتجاج به. ثم إن الرواية المرسلة ليس فيها بيان للكيفية التي ذكرها فقيه السؤال ولا للتوقيت بالأسبوع فهو مفتات على الدين وعلى عالم الغيب.

أما حكمة الإخبار بعرض الأعمال على تقدير سلامته من المعارضة وما يمنع الاحتجاج به فهي أن المؤمن بذلك إذا تذكره يكون من أسباب إحجامه عن السيئات حياء من الرسول **مع الحياء من الله تعالى**.

* * *

حكم حلق اللحية

(س ٩٢) أحد القراء في (الجزائر) ما قولكم خلدت إفادتكم في حكم حلق اللحية.

(ج) هو مكروه والأصل فيه التخنث بالتشبه بالنساء.

* * *

حكم تعليق الوسامات في الصدور

(س٩٣) ومنه: وما قولكم في حكم تعليق النياشين والوسامات في الصدور خصوصا المهداة من الدول الأوربية؟

(ج) ينظر في التحلي بهذه الأوسمة المعروفة بالنياشين من وجهين:

أحدهما: مادتها، فإذا كانت ذهبا أو فضة فالمذاهب الأربعة متفقة على تحريم تعليقها على الرجال، وقد تقدم في جواب السؤال السابع والخمسين من الجزء الحادي عشر من هذا ما ورد في ذلك وحكمته.

وثانيهما: معناها وطريق الوصول إليها وما أنشئت لأجله وتأثير ذلك في حاملها وفي الناس، وهذا لم يرد فيه شيء في السنة لأنه من المحدثات بعد التشريع فالحكم فيه راجع إلى قاعدة تحريم كل ضار وإباحة كل نافع، ونعني بالمباح هنا ما يقابل المحرم والمكروه. وإننا نعلم أن هذه الأوسمة قد وضعت في الأصل لتكون سمة وعلامة تميز من يخدم دولته وأمته خدمة جليلة ليرغب غيره في مثل تلك الخدمة حبا بالامتياز الذي هو ركن للشرف ركين، وهذا شيء يختلف باختلاف البلاد والأشخاص، وإننا نرى أن نيل هذه الأوسمة وكذلك رتب التشريف التي تقارنها غالبا قد خرجت في هذه البلاد وفي الدولة العثمانية عن وضعها وصار الناس يتوسلون إلى نيلها بالمال وبسيئات الأعمال، حتى عرف الخاص والعام أن لها

سماسرة في مصر والأستانة وأن لها أثمانا معينة تختلف باختلاف درجاتها وأسمائها، وأن بعض الأعمال السيئة كالتجسس والسعاية قد تغني عن المال في ذلك. ولا شك أن ابتغاء هذه الوسائل الخسيسة إلى مثل هذا الشرف الوهمي، من الأعمال المحرمة في الدين القبيحة في نظر العقل. وللحكومة المصرية اصطلاح في إعطاء الرتب والأوسمة للمستخدمين فيها وهي أنهم يعطون على حسب درجات وظائفهم وأنواعها ويطلبها لهم رؤساؤهم فلا يبذلون في ذلك مالا، ولا يقدمون للقصور أعمالا، ثم إننا نشاهد لها في هذه البلاد مضرات أخرى في الأخلاق والاقتصاد، فإن بعض محبي الفخفخة يبيع ما يملك ليشتري رتبة أو وساما حتى افتقر بعضهم، ونرى من ينال منها شيئا يدخل غالبا في طور جديد من السرف والخيلاء ومنافسة القرناء بالباطل حتى يحملهم على السعي في مساواته أو مساماته.

وكثيرا ما يقع التنازع والتعادي في النسب والصهر للتفاوت العارض بينهم بأخذ بعضهم رتبة أو وساما دون عشيرته، وكل هذه مفاسد محرمة، وقد بلغتنا وقائع منها لا سيما بين نساء العشيرة، فإن المرأة التي ينال أبوها أو أخوها وساما أو رتبة أو لقب (بك) يسرع إليها الصلف والتكبر على زوجها ويتلوه الشقاق فالفراق أو يسعى الزوج في مساواة أبيها في ذلك. ومن هذه المضرات تعالي الوضيع برتبته أو وسامه على الرفيع بفضله وعلمه أو مجده وشرفه حتى تبرم الفضلاء، وتبظرم السفهاء، وصرنا نرى في الناس من يلهج بذم هذه الزينة الباطلة وذم باعتها ومشتريها وسماسرتها. وعندي أنه لم يبق لهذه الرتب والأوسمة من الشرف في الشرق الأدنى إلا بقية في رؤساء الجند وما كان من جمعيات أوربا العلمية.

أما حكم هذه الأوسمة من الدول الأوربية فهو تابع لسبب إعطائها فإن كان من يعطاها قد خدم الدولة الأجنبية خدمة جائزة شرعا بأن كانت نافعة غير ضارة بأمته ولا بلاده فلا يحظر حمله الوسام من هذا الوجه إلا إذا كان مرغبا في خدمة الأجنبي ولو بغير حق وسببا للاعتزاز به من دون الحق. وإن كانت الخدمة غير جائزة شرعا فلا شك أن حمل الوسام يكون آية على الإصرار ودوام الرضا بالذنب وأن المعصية الصغيرة لتكون بالإصرار عليها كبيرة.

* * *

اللباس الرسمي وكساوي التشريف

(س ٩٤) ومنه: وما قولكم في اتخاذ الولاة والحكام لباسا رسميا خصوصيا

(كالبرنس الأحمر عندنا) وتحلي العلماء والوجهاء بالكساوي التشريفية؟ أفيدونا مأجورين.

(ج) إن الإسلام لم يشرع للناس لباسا خاصا ولم يحظر عليهم زيا من الأزياء، فلكل فرد ولكل صنف أن يلبس ما أحب واختار إلا ما ورد في لبس الحرير والذهب والفضة، وقد تقدم شرحه في الجزء الحادي عشر، وما ورد من النهي عن لباس الشهرة وتقدم أيضا.

وأنت تعلم أن هذا اللباس تابع للرتب بل هو مظهرها ومجلاها، وقد علمت ما فيها. ونزيد هنا التذكير بما ألمعنا به من قبل من أن الدولة العثمانية قد أخذت ملابسها الرسمية عن الروم، وأقدمها ملابس العلماء وهي مرتبة على نحو ترتيب الروم في أزياء البطارقة والقسيسين وهو ما يسمونه ملابس الكهنوت المطرزة أو الموشاة بالذهب والفضة وأعلاها الحلة البيضاء التي يلبسها بطريق القسطنطينية في المواسم والأعياد وهي في الدولة لشيخ الإسلام وقد أشرك السلطان معه الشيخ أبا الهدى في السنة الماضية. ومن مفاسد السياسة أن العلماء صاروا يتنافسون في هذه الملابس مع اتفاق مذاهبهم على تحريم التحلي بالذهب والفضة في اللباس وغيره وتحريم التشبه بغير المسلمين في الشعائر الدينية ونحوها، وهم مع ذلك يحرمون لبس القلنسوة المعروفة بالبرنيطة مطلقا على أنها ليست لبوسا دينيا! وقصارى ما قال فقهاؤهم في قصد التشبه بالكافر في غير أمور الدين أنه مكروه، ولم يقولوا إنه محرم، فليحظروا على أنفسهم ما يسمونه كساوي التشريف (الكسوة بالضم ويكسر اللباس ج كسى) أولا ليسمع قولهم فيما هو دونها، والبرنس الأحمر المعروف عندكم خير من الجبب المفضضة والمذهبة عندنا إذا لم يكن مثلها أو من الحرير المصمت والله أعلم.

". (١)

"العلم، لا إذا كان من تاجر – مثلا –. وقد يعد ذلك الفعل من مثل ذلك الرجل خرما للمروءة في الحجاز – مثلا – لا في الهند. وقد يعد خرما للمروءة إذا كان في الصيف لا إذا كان في الشتاء. أو يعد خرما في عصر ثم يأتي عصر آخر لا يعد فيه خرما.

ثم أقول: لا يخلو ذلك الفعل الذي يعده أهل العرف خرما للمروءة عن واحد من ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون – مع صرف النظر عن عرف الناس – مطلوبا فعله شرعا، وجوبا أو استحبابا.

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٧٣٣/٧

الثاني: أن يكون مطلوبا تركه بأن يكون حراما أو مكروها أو خلاف الأولى.

الثالث: أن يكون مباحا.

[ص ٢١] فأما الأول، فلا وجه للالتفات إلى العرف فيه؛ لأنه عرف مصادم للشرع، بل إذا ترك ذلك الفعل رجل حفظا لمروءته في زعمه، كان أحق بالذم ممن يفعله لمجرد هواه وشهوته.

وأما الثاني، فالعرف فيه معاضد للشرع، فالاعتداد به في الجملة متجه؛ إذ يقال في فاعله: إنه لم يستحي من الله عز وجل ولا من الناس، **وضعف الحياء من الله عز** وجل ومن الناس أبلغ في الذم من **ضعف الحياء من الله عز** وجل فقط، وقد مر حديث "كل أمتي معافى إلا المجاهرين" (١).

---

(١) سبق (ص ٣٥).." [١]

"فربما لا يكون هناك معارضة كالاستحياء من الزناء. وربما تكون معارضة، فإذا وجدت المعارضة فغريزة الحياء تحمل صاحبها على التخلص من العيب الأكبر، ولو بارتكاب الأصغر. مثلا: نساء الأنصار اللاتي كن يسألن النبي - صلى الله عليه وسلم -، تعارض عندهن ضربان من الحياء:

الأول: الحياء من الله عز وجل ومن نبيه والناس أن يكن جاهلات بأحكام الله؛ الذي هو مظنة الوقوع في معصيته.

والثاني: الحياء من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن حضره، أن يظهرن ما يعد إظهاره عيبا عند الناس. فحملتهن غريزة الحياء على التخلص من العيب الأكبر، وهو الجهل ومظنة الوقوع في المعصية، ولو بارتكاب العيب الأصغر.

وكذلك ما روي عن المأمون - ما معناه - أنه أمر عما له شيخا أن يتعلم. فقال عمه: أليس قبيحا بالشيخ أن يتعلم؟ فأجابه المأمون: إذا كان [ليس] (١) قبيحا بالشيخ أن يكون جاهلا، فليس قبيحا به أن يتعلم! أو كما قال (٢).

فها هنا عيبان: أحدهما أكبر، وهو كون الشيخ جاهلا، والآخر كون الشيخ يطلب العلم.

فغريزة الحياء تحمل صاحبها على التخلص من أكبر ولو بارتكاب الأصغر.

وقد يمكن الجمع بين الأمرين، فهو حسن.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر القصة في "تاريخ دمشق": (٦٠/ ٣٥٠)، و"أدب الدين والدنيا" للماوردي (ص ٣٠).." [٢]

"٦٠- (١٢) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا زنى العبد خرج منه الإيمان

ويحي بن العلاء وغيرهما، وتارة يكون من اختلاف الرواة عنه، وهو الأكثر، فإن في رواية أبي الحسن بن العبد عنه من الكلام

---

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ٣٩/١٥

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني عبد الرحمن المعلمي اليماني ١٣٩/٢٤

على جماعة من الرواة والأسانيد ما ليس في رواية اللؤلؤي، وإن كانت روايته عنه أشهر. ثم عد أمثلة من أحاديث السنن تؤيد ما قاله، ثم قال: والصواب عدم الاعتماد على مجرد سكوته لما وصفنا من أنه يحتج بالأحاديث الضعيفة ويقدمها على القياس إن ثبت ذلك عنه. والمعتمد أن مجرد سكوته لا يدل على ذلك، فكيف يقلده فيه، هذا جميعه إن حملنا قوله "وما لم أقل فيه بشيء فهو صالح" على أن مراده صالحة للحجة، وهو الظاهر. وإن حملناه على ما هو أعم من ذلك وهو الصلاحية للحجية وللاستشهاد والمتابعة فلا يلزم منه أنه يحتج بالضعيف. ويحتاج إلى تأمل تلك المواضع التي سكت عليها وهي ضعيفة هل منها إفراد أو لا، إن وجد فيها إفراد تعين الحمل على الأول، وإلا حمل على الثاني، وعلى كل تقدير فلا يصلح ما سكت عليه للاحتجاج مطلقا – انتهى. وقال النووي: إلا أن يظهر في بعضها أمر يقدح في الصحة أو الحسن وجب ترك ذلك، أو كما قال. ولفظ الحافظ ابن حجر نقلا عن النووي أنه قال: في سنن أبي داود أحاديث ظاهرها الضعف لم يبينها مع أنه متفق على ضعفها، فلا بد من تأويل كلامه. قال: والحق أن ما وجدناه في سننه مما لم ينبه عليه ولم ينص على صحته أو حسنه من يعتمد عليه فهو حسن، وإن نص على ضعفه من يعتمد عليه أو رأي العارف في سنده ما يقتضي الضعف، ولا جابر له حكم بضعفه، ولا يلتفت إلى سكوت أبي داود. قال الأمير اليماني: وهو الحق، لكن خالف ذلك في مواضع كثيرة في شرح المهذب وفي غيره من تصانيفه، فاحتج بأحاديث كثيرة من أجل سكوت أبي داود عليها، فلا يغتر بذلك، انتهى كلام الأمير اليماني في تلقيح الأفكار. هذا وقد اعتنى الحافظ المنذري في مختصره بنقد الأحاديث المذكورة في سنن أبي داود بين ضعف كثير مما سكت عنه، فيكون ذلك خارجا عما يجوز العمل به، وما سكتا عليه جميعا فلا شك أنه صالح للاحتجاج إلا في مواضع يسيرة قد نبهت على بعضها في هذا الشرح، ومنها حديث أنس هذا، فقد سكتا عنه جميعا مع أن فيه يزيد بن أبي نشبة، وهو مجهول.

٦٠– قوله: (إذا زنى) أي أخذ وشرع في الزنا (العبد) أي المؤمن (خرج منه الإيمان) حمله بعضهم على ظاهرة وقال: يسلب الإيمان حال تلبس الرجل بالزنا، فإذا فارقه وتاب عاد إليه. وقيل: المراد نور الإيمان وكماله. وقد تقدم أن الإيمان اسم لمجموع الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح. ونور الإيمان وكماله هي الأعمال الصالحة واجتناب المناهي، فإذا زنى ذهب منه نوره وبقي صاحبه في الظلمة. وقيل: معناه خرج منه أعظم شعب الإيمان، **وهو الحياء من الله تعالى**. أو يصير كأنه خرج، إذ لا يمنع إيمانه عن ذلك كما لا يمنع من خرج منه الإيمان. وقال التوربشتي: هذا من باب الزجر والتهديد، وهو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية والمروءة ثم فعل ما ينافي شيمته: عدم عند الرجولية والمروءة، تعييرا أو تنكيرا لينتهي عما صنع، واعتبارا وزجرا للسامعين لطفا بهم، وتنبيها على أن." (١)

"قالوا: إنا نستحي من الله يا نبي الله! والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن من استحي من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء))

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١٣٧/١

أي اتقوا الله حق تقاته (قالوا إنا نستحي من الله يا نبي الله) وفي المسند: قال قلنا يا رسول الله إنا نستحي، وفي الترمذي: قلنا يا نبي الله إنا لنستحي. قال القاري: لم يقولوا حق الحياء اعترافا بالعجز عنه (والحمد لله) على توفيقنا به (قال ليس ذلك) أي ليس **حق الحياء من الله تعالى** ما تحسبونه (فليحفظ الرأس) أي عن استعماله في غير طاعة الله بأن لا تسجد لغيره ولا تصلي للرياء ولا تخضع به لغير الله ولا ترفعه تكبرا على عباد الله (وما وعى) من الوعي وهو الحفظ أي ما جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن عما لا يحل (وليحفظ البطن) أي عن أكل الحرام (وما حوى) أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي بل في مرضاة الله تعالى. قال الطيبي: أي ليس **حق الحياء من الله ما** تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه، وقوله: عما لا يرضاه فليحفظ رأسه وما وعاه من الحواس الظاهرة والباطنة من السمع والبصر واللسان حتى لا يستعملها إلا في ما يحل والبطن وما حوى أي لا يجمع فيها إلا الحلال ولا يأكل إلا الطيب، وقوله: ليس ذلك رد لحملهم الحياء على ما تعورف مطلقا لما ضم إليه من التقييد بقوله حتى الحياء ولذلك أعادها في الجواب يعني حق الحياء، أن لا يترك شيئا منها وما يتصل بها وما يتفرغ عليها إلا أن يتحرى ويقام به كما قال الله تعالى ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال صاحب الكشاف: أي واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا بالتقوى حتى لا تتركوا في المستطاع منها شيئا- انتهى. (وليذكروا الموت والبلى) بكسر الباء من بلى الشيء إذا صار خلقا متفتتا يعني وليذكر صيرورته في القبر عظاما بالية، لأن من ذكر هذا هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة وأهمه ما يجب عليه من طلب الآجلة (ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا) فإنهما لا يجتمعان على وجه الكمال حتى للأقوياء، قاله القاري. وقال المناوي: لأنهما ضرتان فمتى أرضيت أحديهما أغضبت الأخرى، واللفظ المذكور لأحمد، ولفظ الترمذي: ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ويذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى (فمن فعل ذلك) أي جميع ما ذكر (فقد استحي من الله حق الحياء) قال الطيبي: المشار إليه جميع ما سبق فمن أهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء فظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلى قدمه ظاهره وباطنه معدن العيب ومكان المخازي وأن الله سبحانه وتعالى." (١)

"أن يكمل نقصه بمثل هذه الولائم المسرفة إن هذا الإسراف كما أنه محذور شرعا وممقوت عادة فهو سفه عقلا لما فيه من إتلاف المال وإضاعة الوقت وشغل البال واتعاب الأبدان وامتهان النعمة إننا نرى الكثير من هذه الأطعمة واللحوم تبقى لا يأكلها أحد وقد سمعنا من بعض الناس أنها تلقى على الزبالات وجوانب الطرق والمتورع من الناس من يحملها إلى البر ويرمي بها هناك فهل هذا من الرشد هل هذا من شكر النعمة أفلا يذكر هؤلاء أن الناس كانوا منذ عهد قريب يتمنى الواحد لقمة أو تمرة يسد بها جوعته.

عباد الله: ولقد أحيطت نعمة الزواج بأعمال منحرفة في الزفاف فلقد سمعنا أن بعض الناس أضاعوا ليلة **العرس الحياء من الله والحياء** من عباد الله أضاعوا دينهم بإضاعة الحياء فإن الحياء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم شعبة من الإيمان، سمعنا

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٥/٢٩٩

أنه يحصل في بعض الزواجات دخول بعض السفهاء مع النساء لالتقاط صورة اللقاء بين الزوجين وسمعنا أن بعض النساء أيضا يحملن آلات التصوير لتصوير الحفل واللقاء بين الزوج وزوجته فيا سبحان الله ما أدري كيف بلغ الأمر بهؤلاء إلى هذا التدهور وكيف انحدروا إلى الهاوية بهذه السرعة كيف خرجوا عن الحدود الشرعية والمروءات المرعية إلى عادات أخذوها من الكفار أو من مقلدي الكفار كيف يدع هؤلاء ما يأمرهم به دينهم وما عليه مجتمعهم من الحياء والحشمة والبعد عن أسباب الفتنة إلى ما كانت عليه المجتمعات الفاسدة التي عثا بها الشر والفساد فيقلدونهم ذلك التقليد الأعمى فمثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

عباد الله تصوروا عظم الفتنة وفداحتها في هذا التصوير في غمرة الفرح بالعرس وتحت سيطرة نشوة النكاح وفي وسط التبرج ونكهة الطيب وتصوروا عظم الفتنة وفداحتها حينما تلتقط هذه الصور في تلك الحال لتكون بأيدي الناس يعرضونها على من شاؤوا ويتمتعون بالنظر إلى الجميل منها متى شاؤوا ويشمتون بالقبيح منها متى شاؤوا هل يرضى أحد منكم أن تكون صورة ابنته أو أخته أو زوجته بأيدي الناس ينظرون إليها كيف شاؤوا هل يرضى عاقل أن تكون صورته في أول لقاء بينه وبين زوجته معروضة يتداولها الناس بينهم إن هذا مما تنكره الفطر وتسفهه العقول فارجعوا عباد الله إلى فطركم وعقولكم وتفكروا هل لهذا العمل المنكر ما يبرره." (١)

"[الخطبة السادسة في التحذير من أخذ الصور في الأعراس]

الخطبة السادسة

في التحذير من أخذ الصور في الأعراس إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واشكروا نعمة الله عليكم بهذا الدين الذي أكمله لكم وأتم عليكم به النعمة وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ليتمم به مكارم الأخلاق فكان هذا الدين دين عبادة ودين أخلاق ومعاملة ألا وأن من أفضل الأخلاق التي بعث بها نبيه خلق الحياء فإن الحياء من الإيمان والحياء خلق النبي صلى الله عليه وسلم فكان حييا سخيا كريم الخلق.

إن الحياء من الله والحياء من الناس من صميم دينكم فاستحيوا أيها المؤمنون من الله واستحيوا أيها المؤمنون من الناس لا تضيعوا دينكم أيها المؤمنون بالتهور والتدهور والانحطاط.

لقد سمعنا أيها الناس أنه حصل زواج دخل فيه مع النساء بعض شباب دخلوا لأخذ صور للحفل وأن هؤلاء المصورين كانوا بين النساء يلتقطون صورهن فيا سبحان الله كيف بلغ بنا الحد إلى هذا التدهور وفي هذه السرعة الخاطفة تصوروا عظم الفتنة في تجول هؤلاء الشباب وأخذهم صور النساء وهم في غمرة الفرح بالعرس تحت سيطرة نشوة النكاح وفي ظل التبرج والتطيب ماذا يحصل للجميع من الفتنة إنها لفتنة كبيرة ومحنة عظيمة. أما يستحي هؤلاء من الله أولا ومن الناس ثانيا ما الذي سوغ

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٥٦٦/٨

لهم وما الذي أباح لهم أن يتجولوا بين النساء لأخذ صورهن هل يرضى أحد من الناس أن تؤخذ صورة ابنته أو أخته أو زوجته لتكون بين هؤلاء يعرضونها متى شاؤوا على من يريدون أو يستمتعون بالنظر إليها متى يشاؤون هل يرضى أحد أن تكون نساؤه محلا للسخرية عند عرض صورتها إن كانت قبيحة أو محلا للفتنة عند عرضها إن كانت جميلة.

عباد الله ما بالنا ننحدر إلى الهاوية في تقاليد الكفار وأشباه الكفار الذين لا دين لهم ولا أخلاق كيف ندع تقاليدنا المبنية على التستر والحياء بوحي من شريعة الله ورسوله إلى تقاليد جلبناها من غيرنا وغيرنا تلقاها من اليهود والنصارى المستعمرين لأراضيهم مدة طويلة من." (١)

"القائل، وإنما نظر في شر ما في وعائه فأفرغها في وعائك.

إذا أخبرت عن رجل بريء ... من الآفات ظاهره صحيح

فسلهم عنه هل هو آدمي ... فإن قالوا نعم فالقول ريح

ولكن بعضنا أهل استتار ... وعند الله أجمعنا جريح

ومن إنعام خالقنا علينا ... بأن ذنوبنا ليست تفوح

فلو فاحت لأصبحنا هروبا ... فرادى في الفلا ما نستريح

وضاق بكل منتحل صلاحا ... لنتن ذنوبه البلد الفسيح

المعاصي تنقسم إلى قسمين، قسم ذنوب جوارح ظاهرة مثل القذف والغيبة والظلم والاغتصاب والقتل والزنا واللواط والسرقة ونحو ذلك.

والقسم الثاني: وهي ذنوب القلوب وهن المهلكات القاصمات ومنها: الشرك والشك والنفاق والكفر والاغترار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله.

ومنها احتقار الذنوب والتهاون بها والتسويف بالتوبة والإنابة والإصرار على المعاصي والرياء والتيه والكبر والعجب والخيانة والغدر والحسد والغل والحقد والبغض.

وسوء الظن والجفاء والقطيعة والعقوق والقسوة والشح والحرص والشره على ما لا ينبغي الحرص والشره عليه.

ومنها: الطغيان بالمال والقوة والجاه واحتقار النعم والاحتقار بمصائب الدين ومنها الاستهانة بعلم الله ونظره وسمعه واطلاعه.

ومنها **قلة الحياء من الله عز** وجل وتقدس وقلة الحياء ممن على اليمين وعلى الشمال من الملائكة عند فعلك ما يكرهه الله ونحو ذلك من الذنوب." (٢)

"تقول قال: «اللهم بك أحاول وبك أصاول، وبك أقاتل» ، ويستحب الجهر بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير لقول ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته. وفي رواية: كنت أعرف انقضاء صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٥٧٣/٨

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢٥٧/٣

بالتكبير. متفق عليه.

اللهم قوي إيماننا بك وبملائكتك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك ووفقنا لطاعتك وامتثال أمرك واجعلنا من عبادك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

ومن تمام المحافظة على الصلاة حسن المحافظة على الرواتب والنوافل وهذه المطلقة فيها فوائد كثيرة منها تكفير السيئات وتكثير الحسنات ورفع الدرجات وجعل القلوب متصلة بالله معظمة له وأنها سبب **لتقوية الحياء من الله ومنها** التلذذ بالمناجاة. ومنها الحصول في منزلة المباهاة فيمن أقيم من الملائكة في تلك الحالات. ومنها الشكر والنعم المتجددة والمواهب المتعددة، وعمارة للقلوب التي خلقت لذكر الله تعالى. ومنها حفظ الزمن عن ضياعه في غير طاعة الله.

ومنها تكميل ما نقص من الفرائض، كما ورد في الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيئا فإن الرب عز وجل يقول: (انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة) ثم يكون سائر عمله على ذلك» .." (١)

"وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار» . رواه أحمد والترمذي. وقال صلى الله عليه وسلم: «الحياء والعي من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» . رواه أحمد والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم: «الحياء نظام الإيمان» .

هذا بعض ما قاله صلى الله عليه وسلم في الحياء وهو كما ترى يتضمن وعد من اتصف بالحياء بالجنة ووعيد من اتصف بضده من البذاء والجفاء بالنار. ولا شك في أن ذلك من أجل الحكم وأفضل المواعظ فما من أحد يستمسك بالحياء ولا يحيد عنه إلا عاش في دنياه عيشة سعيدة حميدة راضية مرضية وظفر في آخرته بالسعادة الدائمة إذا وفقه الله لذلك.

وقد علمت أن الحياء ينقسم إلى قسمين حياء من الناس **فأما الحياء من الله فإنه** يترتب عليه كل الفضائل، التي يسعد بها الناس في دنياهم وآخرتهم فإن الذي يستحي من الله لا يفعل المعاصي بل يحفظ جوارحه كلها عنها ولا يترك واجبا ما دام يؤمن بأن الله مطلع عليه لا تخفى عليه خافية من أمره.

وأنه لا بد أن يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته كما قال تعالى ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ وأنه سبحانه هو الذي خلق الإنسان وسواه كما قال تعالى ﴿الذي خلق فسوى﴾ وأنه الذي أمده بنعمه كما قال تعالى ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢٦٣/١

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٦٨/٣

"يستطع إحداها، فقد بين سبحانه له حكما آخر فقال: فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

أي: فمن لم يجد ما يكفر حنثه في يمينه من إطعام أو كساء أو تحرير رقبة فعليه حينئذ أن يصوم ثلاثة أيام، تطهيرا لنفسه، وتكفيرا عن ذنبه، وتقوية لإرادته وعزيمته.

واسم الإشارة في قوله: ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم يعود إلى المذكور من الإطعام والكساء وتحرير الرقبة والصوم.

أي: ذلك الذي شرعناه لكم كفارة لأيمانكم إذا حلفتم وحنثتم فيها، وخالفتم طريق الحق الذي أمركم الله تعالى باتباعه.

وقوله: واحفظوا أيمانكم أمر من الله تعالى لعباده بأن يصونوا أنفسهم عن الحنث في أيمانهم، وعن الإكثار منها لغير ضرورة، فإن الإكثار من الحلف بغير ضرورة يؤدى إلى **قلة الحياء من الله تعالى**. كما أن الحلف الكاذب يؤدى إلى سخطه سبحانه على الحالف وبغضه له.

وقوله: كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون تذييل قصد به التذكير بنعم الله حتى يداوم الناس على شكرها وطاعة واهبها عز وجل.

أي: مثل هذا البيان البديع الجامع لوجوه الخير والفلاح، يبين الله لكم آياته المشتملة على الأحكام الميسرة، والتشريعات الحكيمة، والهدايات الجليلة لعلكم بذلك تستمرون على شكر الله وطاعته، وتواظبون على خشيته ومراقبته فتنالون ما وعدكم من فلاح وسعادة.

هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:

١- أن اليمين اللغو لا مؤاخذة فيها. أى: لا عقوبة عليها في الآخرة ولا كفارة لها في الدنيا لقوله تعالى: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم.

ونعنى بها- كما سبق أن أشرنا- أن يقول الرجل من غير قصد الحلف لا والله وبلى والله.

ومع هذا فمن الأفضل للمؤمن ألا يلجأ إلى الحلف إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو لذلك لأن الإكثار من الحلف يسقط مهابة الإنسان، وقد يفضى به إلى الاستهانة بالآداب الحميدة التي شرعها الله.

قال تعالى: ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم «١» .

٢- أن اليمين التي يحلفها الحالف بالقصد والنية وهو كاذب فيها، يستحق صاحبها العذاب

---

(١) سورة النحل الآية ٩٤.." (١)

"ونذرهم في طغيانهم يعمهون. ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون.

ثم تستطرد السورة الكريمة فتحكى بعض رذائل المشركين في مآكلهم وذبائحهم، وتنهى المؤمنين عن الأكل من الذبائح التي

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٤/٢٦٧

لم يذكر اسم الله عليها إلا في حالة الاضطرار، ثم تغرس فيهم **خلق الحياء من الله فتأمرهم** أن يتركوا الفواحش ما ظهر وما بطن، ثم تبين لهم أن المشركين سيثيرون الشكوك والشبهات حول عقيدتهم فعليهم أن يهملوا مجادلاتهم وأن يتركوهم في طغيانهم يعمهون:

قال تعالى: فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه، وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم، إن ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الإثم وباطنه، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون.

ثم تضرب السورة الأمثال للكفر والإيمان، فتشبه الكفر بالموت وتشبه الإيمان بالحياة، فكما أنه لا يتساوى الميت مع الحي، فكذلك لا يتساوى الضال الذي هو كالميت مع المؤمن الذي يحيا حياة طيبة وله نور يمشى به في الناس، ثم تبين أنه من دأب الجاحدين والحاقدين محاربة الحق، وأنه ليس بغريب أن يحارب زعماء قريش الدعوة الإسلامية لأنهم يحسدون صاحبها على ما آتاه الله من فضله، ويطلبون أن تكون النبوة فيهم مع أن النبوة هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده، وأنهم بسبب هذا الحقد سيصيبهم عذاب شديد من الله– عز وجل–.

قال تعالى: أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون.

فإذا ما وصلنا إلى الربع الثامن من سورة الأنعام، رأيناها تعرض مشهدا من مشاهد يوم القيامة، تعرض مشهد الحشر للجن والإنس وهم يتناقشون ويتلاومون ويتحسرون، ولكن ذلك لن يفيدهم لأنهم قد وسوس بعضهم إلى بعض زخارف من الأباطيل والأكاذيب. تعرض." (١)

"أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان ...

وقد **يتولد الحياء من الله من** مطالعة نعمه ورؤية التقصير في شكرها، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة، فصار كأنه لا إيمان له".

٢ مما يستفاد من الحديث:

١ أن خلق الحياء من الأخلاق الكريمة المأثورة عن النبوات السابقة.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٩/٥

٢ الحث على الحياء والتنويه بفضله.

٣ أن فقد الحياء يوقع صاحبه في كل شر.." (١)

"سبيل التشبيه والتصوير الحسي؛ ليكون أقوى تأثيرا وأسرع نفاذا إلى القلب والنفس، فقد شبه الإيمان ومكملاته بالشجرة الضخمة وشعبها، التي تحمل كل شعبة فروعا وأوراقا وأزهارا وثمارا، فشبه الإيمان بأصل الشجرة جذوعا وسيقانا، وشبه مكملات الإيمان بالسبعين شعبة، وما تحمل كل شعبة، وجاء هذا التشبيه التمثيلي البليغ على سبيل الاستعارة بالكناية؛ فحذف المشبه به وهو الشجرة وطوى ذكرها، وأثبت شعبها وفروعها وغيرها من مستلزمات الشجرة على سبيل المجاز والتخييل؛ لأن التصوير بالمحسنات من الواقع بالشجرة أبلغ تأثيرا في النفس من تصوير الإيمان بالمعاني الذهنية المجردة.

بلاغة التعبير بقوله: "والحياء شعبة من الإيمان":

ذكر الحديث الشريف الحياء وخصه بالذكر دون غيره من السبعين، لأن الحياء يشمل جميع شعب الإيمان الثلاث، وما يتفرع عنها وهي أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن؛ لأن معنى الحياء هو الخلق السامي الذي يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، لذلك ورد في حديث آخر "الحياء خير كله" **لأن الحياء من الله ألا** يراك حيث نهاك؛ لأن الله يراقبك ويراك وهو المراد من الحديث الشريف: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وأخرج الترمذي قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "واستحيوا من الله حق الحياء" قالوا: إنا نستحي والحمد لله فقال: "ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى؛ فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" قال الطيبي: أفرد الحياء بالذكر بعد دخوله في الشعب، كأنه يقول هذه شعبة واحدة من شعبة، فهل تحصى شعبه كلها." (٢)

"الله –صلى الله عليه وسلم– مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: ((دعه فإن الحياء من الإيمان))، في رواية ((دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير))، وفي رواية ثالثة ((دعه فإن الحياء خير كله)).

وإن من المشاهد والمجرب أن الحياء يمنع صاحبه المتخلق به من ارتكاب القبائح، والمنكرات، ويجعله بعيدا كل البعد عن كل ما يعيب الإنسان، وحين ينعدم الحياء؛ فإنه يهون على الإنسان أن يفعل المنكرات، ويستهين بالقبائح، ويفعل ما يشاء؛ لأن الذي لا حياء له يكون مستهترا بالناس، غير مبال بهم، ولا يهتم بما يقال فيه، أو عليه، أو عنه، فهو إنسان متبلد المشاعر ميت الأحاسيس، وكأنه بهيمة تأكل ما تشاء وترتع أينما شاءت، وتفعل ما تشاء، بل ترى عديم خلق الحياء يفاخر بالمعاصي، ويتباهي بالمجون، وبفعل القبائح، يسبل الله عليه ستره، فيكشف ستر الله عليه، وينادي: يا فلان يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، غير مبال بالناس، ولا بمشاعر الناس، وهذا العمل وهذا المجون والمجاهرة بالإثم والمعاصي؛ إنما سببه **فقدان الحياء من الله تعالى** ومن الناس، وهذا العمل لا يغفره الله تعالى؛ لأن الله تعالى وكما أخبر عنه –صلى الله عليه وسلم– بأنه

---

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله عبد المحسن العباد ص/٧٥

(٢) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف علي علي صبح ص/١٥

تعالى يغفر لكل المذنبين إلا المجاهرين بمعاصيهم، لفقدهم الحياء يسترهم الله فيفضحون أنفسهم، ويفضحون الناس.
ومن هنا قال -صلى الله عليه وسلم: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت))، وبين -صلى الله عليه وسلم- أن هذا الكلام ميراث من مواريث النبوة الأولى، وأنه من كلام الأنبياء السابقين، ومما أوحى الله به إليهم؛ إذ يقول -صلى الله عليه وسلم: ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت))، إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قضى بأن الإيمان والحياء قرناء، فإذا غاب أحدهما غاب الآخر، وإذا سلب أحدهما سلب الآخر، روى الإمام البيهقي." [١]

"ما حقره من أمر الجاهلية سواء في ذلك: ربا الجاهلية أو تبرج الجاهلية، أو دعوى الجاهلية، أو حكم الجاهلية، أو ظن الجاهلية، أو حمية الجاهلية، أو سنة الجاهلية.

ثاني عشر: التبرج انتكاس، وتخلف، وانحطاط:

من استعراض ما حدث لآدم عليه السلام مع عدوه إبليس نرى أن الحياء من التعري وانكشاف السوءة شيء مركوز في طبع الإنسان وفطرته، إذ يقول الله سبحانه: (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) [الأعراف: ٢٠] .

ويقول عز وجل: (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [الأعراف: ٢٢] .

ويقول سبحانه: (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) [الأعراف: ٢٧] ،.

وكل هذه الآيات توحي بأهمية هذه المسألة وعمقها في الفطرة البشرية، فاللباس، وستر العورة ة زينة للإنسان، وستر لعوراته الجسدية، كما أن التقوى لباس وستر لعوراته النفسية.

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوءاتهما الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها، والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى ومن الحياء من الله، ثم من الناس.

والذين يطلقون ألسنتهم، وأقلامهم، وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة – في شتى الصور والأساليب الخبيثة – هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته، وخصائص إنسانيته، التي بها صار إنسانا متميزا عن الحيوان (١) .

قال تبارك وتعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم

---

(١) "اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية" ص (١٦- ١٧) ،." [٢]

"على الخير، ورادع عن الشر، ولذلك كان من الإيمان، بل من كمال الإيمان.

قال العيني: " الحيي يخاف فضيحة الدنيا وفضيحة الآخرة. فينزجر عن المعاصي ويمتثل الطاعات، ولهذا أفرد النبي – صلى

---

(١) الحديث الموضوعي – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٤٤

(٢) عودة الحجاب محمد إسماعيل المقدم ١٤٧/٣

الله عليه وسلم – الحياء بالذكر دون سائر الأخلاق الأخرى، فقال: " الحياء من الإيمان ".

ويستفاد من الحديث ما يأتي: أولا: أن الأعمال جزء من الإيمان كما يقول جمهور أهل السنة لقوله – صلى الله عليه وسلم –: " الإيمان بضع وستون شعبة " ومن هذه الشعب أعمال اللسان والجوارح. ثانيا: أن الإسلام دين أخلاقي، أهم عناصر الأخلاق فيه الحياء، ولهذا قال في فيض الباري (١): " وإنما نبه الرسول – صلى الله عليه وسلم – على كون الحياء شعبة من الإيمان لكونه أمرا خلقيا يذهل الذهن عن كونه من الإيمان، فدل على أن الأخلاق الحسنة منه. ثالثا: أن الحياء من الله، كما قال الحليمي، هو طريق إلى فعل كل طاعة وترك كل معصية، فيفوز صاحبه بكمال الإيمان في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة –أي يوصل إليها– والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار " أخرجه الترمذي. رابعا: أن الحياء كما أفاده الماوردي (٢) على ثلاثة أوجه، **أحدها الحياء من الله تعالى**، بامتثال أوامره، والكف عن زواجره – وهو إنما ينشأ عن قوة الدين وصحة اليقين. والثاني: الحياء من الناس، وترك المجاهرة بالقبيح، واجتناب كل ما يدعو إلى إساءة الظن بفاعله ولو كان بريئا. فقد روي عن حذيفة أنه أتى الجمعة، فوجد الناس قد انصرفوا، فتنكب الطريق عن الناس، وقال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس، وذلك لأن الناس لا يعلمون عذره أما ربه فإنه مطلع عليه. والثالث: حياء المرء من نفسه بالعفة والصيانة في الخلوة. وذلك ينشأ عن معرفة المرء قدر نفسه، أو تكريمه

---

(١) " فيض الباري على صحيح البخاري " الشيخ محمد أنور الكشميرى، ج ١.

(٢) " أدب الدنيا والدين " للماوردي.." [(١)]

"الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا من الله فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عز وجل عنه".

بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر" أي عندما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – جالسا في مسجده بين أصحابه، أقبل ثلاثة رجال. والنفر من الثلاثة إلى العشرة من الرجال " فأما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة " أي فأما الأول منهم فرأى مكانا خاليا في حلقة النبي – صلى الله عليه وسلم – " فجلس فيها " أي في الحلقة نفسها " وأما الآخر فجلس خلفهم " أي وأما الثاني فلم يجد مكانا في الحلقة فجلس وراء الجالسين فيها، حيث انتهي به المجلس، " وأما الثالث فأدبر ذاهبا " أي فإنه تولى ذاهبا، ولم يحاول الجلوس خلف الحلقة، " فلما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة " أي ألا تحبون أن أخبركم عن حال هؤلاء الثلاثة ثم شرع – صلى الله عليه وسلم – في بيان أحوالهم فقال: " أما أحدهم فأوى " بقصر الهمزة " إلى الله فآواه " بمد الهمزة " الله " ومعنى " أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله " أي فأما الأول الذي جلس في نفس الحلقة فإنه قد تقرب إلى الله وانضم إلى حلقة العلم ومجلس النبي –

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري حمزة محمد قاسم ١/٨٤

صلى الله عليه وسلم – فقربه الله إليه، وأدخله في حيز مرضاته، فإذا كان يوم القيامة آواه الله إلى ظل عرشه، كما أفاده العيني " وأما الآخر فاستحيا من الله " أي وأما الثاني الذي لم يجد مكانا في الحلقة " فجلس خلفهم " أي فإنه قد **منعه الحياء من الله عن** مزاحمه غيره فجلس حيث ينتهي به المجلس، " أستحيا الله منه " وقبل عذره وأشركه مع أهل تلك الحلقة في فضلهم وثوابهم، لأنه تعالى حيي كريم لا يمنع فضله وجوده عمن **منعه الحياء من الله تعالى** عن مضايقة غيره مع حرصه على العلم ورياض جناته، فشمله فضل ذلك المجلس، وسعد بمجالسة أهله." (١)

"٢٩ – إذا لم تستحي، فاصنع ما شئت

ﷺ ارتباط الأخلاق والآداب بالعقيدة:

أيها المسلمون: إن للآداب والأخلاق صلة وثيقة بعقيدة الأمة ومبادئها، بل هي التجسيد العملي لقيمها ومثلها. الأخلاق والآداب هي عنوان التمسك بالعقيدة، ودليل الالتزام بالمبادئ والمثل. والحكم على مقدار الفضل وحسن السيرة راجع إلى الخلق العالي. ولا يتم التحلي بالخلق الفاضل والأدب الرفيع إلا بالترويض على نبيل الصفات، وكريم العوائد بالتعليم والتهذيب والاقتداء الحسن.

ﷺ اشتمال أخلاق الإسلام على جميع أحوال المسلم:

إن الإسلام قد شمل في أخلاقه أحوال المسلم كلها؛ صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، فردا وأسرة ومجتمعا، فالاستئذان والسلام، والمصافحة والصدق، والتأدب في المزاح والمداعبة، وحفظ حقوق الإخوان، والأدب مع الأقارب والجيران، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، وتجنب الظلم والاحتقار والعدوان، كل ذلك وغيره باب واسع عظيم، وهو ثابت لا يتغير بتغير الزمان ولا بتحول المكان. غير أن لهذا الباب الواسع مفتاحا وأن لهذه الأخلاق عنوانا وعليها دليلا .. ذلكم هو **خلق الحياء من الله والحياء** من الناس.

أيها المسلم: عندما ترى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي ويكسو الخجل وجهه إذا بدر ما لا يليق، فاعلم أنه حي الضمير، زكي العنصر نقي المعدن.

أما اذا رأيته صفيقا، بليد الشعور، معوج السلوك، لا يبالي ما يأخذ أو يترك، فهو بعيد عن الخير ليس لديه حياء يردعه، ولا وازع يمنعه، يقع في الآثام، ويسف في ارتكاب الدنايا.

إن المرء حين يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدركات السفلى.." (٢)

"وقد **يتولد الحياء من الله تعالى** من التقلب في نعمه فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته، وقد قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك. واستحي منه على قدر قربه منك.

والمراد بالحياء في هذا الحديث ما يكون شرعيا، والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعيا بل هو عجز

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري حمزة محمد قاسم ١٦٧/١

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٣٨٢/١

ومهانة، وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي، وهو خلق يبعث على ترك القبيح.
وفي (الصحيحين) عن أبي هريرة قال: «الحياء شعبة من الإيمان».
وفي (الصحيحين) عن عمران بن حصين، عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير».
قال أشج بن عصر: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «إن فيك خلتين يحبهما الله عز وجل» قلت: «ما هما؟» قال: «الحلم والحياء»، قلت: «أقديما كان في أم حديثا؟» قال: «بل قديما» قلت: «الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما». (صحيح رواه الإمام أحمد).
عليه السلام الحياء نوعان:
أحدهما: ما كان خلقا وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار، وقد روي عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: «من استحيي اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وقي».
وقال الجراح بن عبد الله الحكمي ـ وكان فارس أهل الشام ـ: «تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع».
ورب قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الداء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء." (١)
"كثيرة وقبيحة أصبحت على الألسنة أسهل من بلع الريق وشرب الماء.
وبعض الناس يسمي نباتا يخرج من الأرض باسم (فرج الأرض) ولكن بالاسم القبيح، وبعضهم إذا أراد أن يعبر عن أن فلانا جاءهم خالي اليد ولم يعطهم شيئا فيقول جاءنا فلان بفرج الحمار ويذكر الكلمة القبيحة. حياة كثير من الناس صارت على هذا الغرار، فأين الحياء من الله؟ ! وللأسف فإن الأبناء والبنات يشبون على هذه الضلالات والبذاءات.
وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه
والذنب والوزر كل الوزر على من سن تلك السنة السيئة. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم عن جرير بن عبد الله.." (٢)
"للعبد عن الدنايا والرذائل .. فيتصبر عنها .. فأول شيء يجب معرفته أن شرب السيجارة قبيح وإطلاق البصر قبيح .. وشرب الخمر قبيح .. والزنا قبيح .. الى آخره .. فعندما تعلم بقبحها تتصبر عن مواقعتها، قال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف: ٣٣]. فهي فواحش قبل التحريم وبعده .. والشارع كساها بنهيه عنها قبحا الى قبحها .. فكان قبحها من ذاتها .. وازدادت قبحا عند العاقل بنهي الرب تعالى عنها .. وذمة لها .. وإخباره

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٣٨٥/١
(٢) ولا تقربوا الفواحش جمال بن عبد الرحمن إسماعيل ١٦١/٢

ببغضها وبغض فاعلها .. فيعلم ان الله ما نهى إلا عن أمر قبيح بالذات .. فيترك المعصية لقبحها ولدناءتها .. حفظا لنفسه وصيانة لها ..

السبب الثاني: الحياء من الله:

فإن العبد متى علم بنظر الله اليه وأنه بمرأى من الله ومسمع .. فإن العبد يستحي منر به أن يراه وهو مقيم على المعاصي .. وهذا يستلزم أن تنفتح في قلبك عين ترى بها أنك أمام قائم أمام الله ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦].

السبب الثالث: مراعاة نعمة الله:

فإن مراعاة نعمة الله عليك وإحسانه إليك .. فترى أن الله يعطيك من نعمه وأنت تعصاه .. فهل هذا فعل الكرماء .. ؟؟

إن مراعاة نعم الله عليك بأنه." (١)

"وطريق التخلص من هذا الداء وهذه الأدواء، هو اتباع ما أرشد إليه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، بأن ينظر إلى من هو أسفل منه!.

نعم هذا هو الداء وهذا هو الدواء: نظرة خاطئة، دواؤها نظرة صائبة!.

ومعلوم أن مجال تطبيق هذه القاعدة هذه إنما هو الذي حدده الحديث، وهو المال والخلق، أما مجال الدين والخلق فالقاعدة فيه بعكس ذلك، وهي أن تنظر إلى من هو أفضل منك؛ لتتأسى به وتنافسه في ذلك الخير وذلك الفضل؛ ومن هنا جاءت أهمية القدوة الحسنة، ومن هنا كان الأمر بالتأسي بالرسل والأنبياء وأولي الفضل والتقى الذين أمرت بالاقتداء بهم نصوص القرآن والحديث، على عكس أمور الدنيا والحظوظ الشخصية.

يقول الإمام النووي: "قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا، طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد؛ ليلحق بذلك، أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه؛ فشكرها، وتواضع، وفعل الخير"١.

إن نظرك إلى من هو أسفل منك في المال أو الخلق يورثك رؤية نعم الله عليك، ويدعوك **إلى الحياء من الله والتواضع** له وشكره وحمده، فهل نحن فاعلون؟! اللهم آمين.

---

١ شرح النووي لصحيح مسلم: ٩٧/١٨.." (٢)

---

(١) كيف أتوب محمد حسين يعقوب ص/١١٨

(٢) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها عبد الله الرحيلي ص/٥٤

"هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال الله تعالى وتعظيمه، فإذا قارنها ذلك أوجبت هذه الطاعة (١).

٣ – الحياء من الله: فمن استحيا من الله حق الحياء منعه ذلك من التقصير في طاعة الله، ودفعه إلى تحمل مشاق العبادة والصبر عليها. يقول الجنيد – رحمه الله –: الحياء حالة تتولد من رؤية آلاء الله ورؤية التقصير في حقه تعالى (٢).

٤ – الخوف من الله: فهو سراج في قلب المؤمن، يحمله على المسارعة إلى فعل الطاعات والاستزادة منها، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله عز وجل إذا خفته هربت إليه (٣). يقول تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ (٤) ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ (٥) ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ (٦) ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ (٧) ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ (٨).

٥ – الرجاء: فهو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير إلى الله ويحثها عليه ويبعثها على ملازمته (٩).

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٧١.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ ص ١٩٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ١ ص ٣٨٧.

(٤) سورة المؤمنون الآية ٥٧

(٥) سورة المؤمنون الآية ٥٨

(٦) سورة المؤمنون الآية ٥٩

(٧) سورة المؤمنون الآية ٦٠

(٨) سورة المؤمنون الآية ٦١

(٩) انظر: المرجع السابق، ج ٢ ص ٢٧.." (١)

"وبين – صلى الله عليه وسلم – أن من **علامات الحياء من الله والرغبة** في الآخرة الإعراض عن زينة الدنيا:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء " (١)

وندبنا إلى التواضع في المظهر، ووعدنا عليه الأجر والكرامة: فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها " (٢)

وعلمنا أن قيمة الرجال بجوهرهم لا بمظهرهم، بأعمالهم لا بأسمائهم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢٠٤/٧٥

عليه وسلم -: " رب أشعث أغبر، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره " (٣)
وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر عليه رجل، فقال: " ما تقولون في هذا؟ "، قالوا: " حرى إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع "، ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال - صلى الله عليه وسلم -: " ما تقولون في هذا؟ "، قالوا: " حرى إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يستمع " فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " هذا خير من ملء الأرض مثل هذا " (٤).

(١) رواه الإمام أحمد في " المسند "، والترمذي، وغيرهما، وانظر: " صحيح الجامع " رقم (٩٤٨).
(٢) رواه الترمذي وغيره، انظر: " صحيح الجامع " رقم (٦٠٢١).
(٣) رواه الإمام أحمد في " مسنده "، ومسلم في " صحيحه " في البر والصلة والأدب: باب فضل الضعفاء والخاملين.
(٤) رواه البخاري رقم (٥٠٩١) في النكاح: باب الأكفاء في الدين.." [1]

"ثم يستحضر القدوم على الله والوفادة إليه وانتهاز فرصة التعرض لرحمته ومغفرته والعتق من النار، ويذهب إلى المسجد يدفعه الشوق والرغبة في الفضل، **ويكدره الحياء من الله وخوف** الرد والإعراض، ويطلب مساجد أهل السنة حتى يوهب للصالحين إن كان من غير المقبولين ثم يستحضر ما ذكرناه من وظائف عند الدخول في الصلاة وأثنائها.
أما محاسبة النفس على الطاعات فهذا من أنفع الوظائف التي يقوم بها العابدون في شهر رمضان، والأصل أن المحاسبة وظيفة لازمة للسالك طريق الآخرة، ولكنها تتأكد وتزداد في هذا الشهر.
والمحاسبة معناها: فحص الطاعة ظاهرا وباطنا، وأولا وآخرا، بحثا عن الثمرة ليعرف مأتاها فيحفظه، وقدرها فينميه، ووصولا للنقص سابقا، ليتداركه لاحقا.
والمحاسبة تكون قبل العمل وأثناءه وبعده.
أما قبله فبالاستعداد له واستحضار ما قصر فيه حتى يتلافاه، وأثناءه بمراقبة العمل ظاهرا وباطنا أوله وآخره، والمحاسبة بعد العمل بإعادة ذلك العمل.
وهذه المحاسبة إذا واظب عليها المرء صارت مسلكا لا يحتاج إلى تكلف ومعالجة وسيجد غب هذه المحاسبة وثمرتها تزايدا في مقام الإحسان الذي سعى إليه كل السالكون وهي أن يعبد الله كأنه يراه.
ومثل هذه المحاسبة ينبغي أن تكون في الخفاء، يحاور نفسه." [2]
"أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسيك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك خشوعا عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده؟ أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى؟ ولذلك لما قال أبو هريرة:

(١) تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب محمد إسماعيل المقدم ص/٤٦
(٢) القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان رضا أحمد صمدي ص/٣٨

كيف الحياء من الله؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -: "تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك" (١) ، وروي: "من أهلك".

وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه، متقلدا للمنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف.

وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله يشهد إنك لكاذب، وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم:

---

(١) رواه الخرائطي في "مكارم الأخلاق" وفي إسناده نظر.." [1]

"صلى الله عليه وسلم أنه خير كله ولا يأتي إلا بخير، وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، ومن أفضل **الحياء** **الحياء من الله أن** يراك في معصيته.

الفوائد:

- فضل الحياء وأنه من الإيمان.
- أن الحياء المشروع لا يأتي إلا بخير.
- شدة حياء الرسول صلى الله عليه وسلم.." [2]

---

(١) القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان رضا أحمد صمدي ص/٧٤

(٢) الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٣٦٧